جمهورية السودان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة شندي

كلية الدراسات العليا والبحث العلمي

أثر التشبيه في تكوين الصورة الفنية

دراسة تطبيقية على الربع الاخير من القرآن الكريم

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

اعداد الطالب :

ابراهيم حسين يعقوب

اشراف الدكتورة :

ابتسام قسم السيد عوض السيد

١٤٣٧ هـ – ٢٠١٦م

الاستهلال

أ

الآية

قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

سورة لقمان – الآية (27)

الإهـــداء

إلى من جاهدت في الحياة من أجلي وسامرت من أجل سعادتي

إلى التي كانت مصباحاً أضاء ظلمة الليل ...

أمي

إلى من علمني الكفاح والفلاح والصدق والأمانة ...

أبي

إلى الذين حببوا إليّ العلم ، بذلوا وما بخلوا إليهم أهدي ثمرة

جهدي قطرةً في محيط عطائهم ...

إخوتي

؛؛الباحث؛؛

الشكر والتقدير

الشكر أولاً وأخيراً لله ربّ العالمين ،أحمدك اللهم حمداً يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك ، لا أحص

ي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشكر جامعة شندي كلية الدراسات العليا التي أتاحت لي فرصة الدراسة .

والشكر أجذله وأوفره للدكتورة إبتسام قسم السيد عوض السيد التي تكرمت بقبول الإشراف على رسالتي ، فقد كانت لي نعم المعين ، وكانت لتوجيهاتها وملاحظاتها الأثر الكبير في إخراج هذا البحث فليجزيها الله عنّي خير الجزاء .

والشكر موصول لكل من أسهم في إخراج هذا البحث

؛؛ الباحث ؛؛

ملخص البحث

يعتبرالتشبيه من أعظم أساليب اللغة العربية وأكثرها استعمالاً، وقد جاءت تشبيهات القرآن وأمثاله في هذه الدراسة على حد الإعجاز والتي عبّر بها القرآن عن المعاني التي أوردها فوسعتها وأدّتها خير أداء، وقد انتشر التشبيه في اللغة وكثر في النظم القرآني ، وقد اهتمّ به العرب القدامى ورفعوا من قيمته فجعلوه أحد مقاييس التميز الأدبي وعدّوه من أشرف كلام العرب.

سخّر الله عزّ وجل في كتابه أرفع أسلوب وأقربه إلى النفوس والأذهان حتّى يصل إلى هدفه التوجيهي وغرضه الديني ،ولعل الأسلوب الذي نقصده هو الأسلوب التصويري ، فالقرآن الكريم يعبّر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية،وقد طرحت الصور القرآنيه هذه المواضيع طرحاً جديداً ، ذلك أنّ القرآن الكريم جاء بقراءة جديدة للكون ، اقتربت الصورة فيه من مناطق لم تكن مطروقة من قبل ، ظهر فيها أثر الثقافة والفكر بارزاً يواجه الإنسان بمعلومات عن الكون وعن نفسه لم يكن العلم البشري قد بلغها بعد ،ذلك لتكون دليلاً كاملاً إلى الإيمان بالله ، كل ذلك بمنهج يتفق مع جميع المستويات الفكرية قائم على الاستقراء التاريخي .

اتّبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، والاستقرائي والتاريخي.

ولقد تناولت في هذه الدراسة التشبيه ودوره في تكوين الصورة الفنية دراسة تطبيقية على الربع الأخير من القرآن الكريم ، ومن خلال هذه توصلت إلى مجموعة من النتائج نذكر منها :

1-تعريفات علماء البلاغة للتشبيه رغم اختلافها إلاّ أنّ غايتها واحدة.

2-الصورة الفنية عند العرب القدامى تميزت بطابع الحسية.

3-يعد التشبيه من أكثر مباحث علم البيان وروداً في الذكر الحكيم.

4-اشتملت موضوعات الصورة الفنية في القرآن الكريم على النماذج الإنسانية ومظاهر الطبيعة ومشاهد القيامة.

Abstract

It is a metaphor of the greatest Arabic language methods and the most widely used, and comparisons of the Koran and his ilk came in this study on the extent miracle and that through the Qur'an meanings cited by Vusatha and performed the best performance, has spread metaphor in language and many in the Quranic systems, were concerned by the ancient Arabs and unfurled of the value of wrath a literary excellence standards and the enemy of the noblest language of The Arabs.

Mocked God Almighty in his top-notch style and Oqrabh to the souls and minds until it reaches its target guideline religious purpose, and perhaps the way in which we mean is the imaging method, The Koran expresses image perceived imagined for meaning mental and psychological situation, and on the perceived incident and the scene perspective, and the human form and nature human, have been put forward images Quranic these subjects a new proposition, that the Koran came in a new universe, approached the image in which the regions were not forged before, appeared to show the impact of culture and thought a prominent faces of human information about the universe and himself was not human science has reached yet, in order to be a complete guide to faith in God, all of this approach is consistent with all intellectual levels based on historical extrapolation.

In this study followed the descriptive and analytical approach, and inductive and historical.

I have dealt with in this study metaphor and its role in the formation of the technical picture Empirical Study on the last quarter of the Koran, and through these come to the set of results, including:

1-Rhetoric definitions of scientists likened although different, but the purpose one.

2-technical picture at the old Arab characterized by sensual character.

3-The analogy of Investigation more aware of the statement and Roda JC in the Holy Quran.
4-topics included technical picture in the Koran on human forms and manifestations of nature scenes and resurrection.

المقدمــة

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار المكوّر الليل على النهار ، تذكرة لذوي القلوب والأبصار ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المختار، وبعد

تعد هذه الدراسة وقفة لتدبر آيات القرآن الكريم والتأمل فيها بذوق البلاغة التي تعد من أكبر عوامل الاعجاز القرآني ، وأرجو أن تكون هذه الدراسة مؤكدة لهذه الحقيقة والتي اشتملت على التشبيه الذي يعد من أهم مباحث البلاغة وأبلغها وأكثرها استعمالاً في القرآن الكريم والبلاغة العربية ، لا سيما إنّه من أبرز سمات التميز الأدبي.

وموضوع هذه الدراسة أثر التشبيه في تكوين الصورة الفنية دراسة تطبيقية على الربع الأخير من القرآن الكريم ، واشتملت هذه الدراسة على أربعة فصول وهي مايلي

الفصل الأول مفهوم التشبيه ويتكون من أربعة مباحث ، المبحث الأول التعريف بمفهوم التشبيه ، المبحث الثاني التمثيل في القرآن الكريم ، المبحث الثالث بين الحقيقة والتشبيه ، المبحث الرابع بين التشبيه والاستعارة ، الفصل الثاني الصورة الفنية في القرآن الكريم ويتكون من ثلاثة مباحث، المبحث الأول مفهوم الصورة الفنية ، المبحث الثاني خصائص الصورة الفنية في القرآن الكريم ، المبحث الثالث موضوعات الصورة الفنية في القرآن الكريم ، الفصل الثالث الدراسة التطبيقية ويتكون من مبحث واحد يشمل تطبيق التشبيه على الربع الأخير من القرآن الكريم ،الفصل الرابع خصائص التشبيهات القرآنية ويتكون من أربعة مباحث ، المبحث الأول الإعجاز، المبحث الثاني الابتكار ، المبحث الثالث الإيجاز، المبحث الرابع التفنن.

أهمية الدراسة :

1-التشبيه وسيلة من وسائل التفسير ؛ فلابد للمفسر أن يفهم التشبيه فهماً جيّداً فهو ينشط الحركة في ذهن المفسر وذلك يساعده في فهم آيات القرآن الكريم.

2-تحديد مفهوم التشبيه بأنواعه المتباينة.

3-الكتابة في التشبيه تمثل إضافة حقيقية إلى علوم اللغة العربية.

الدراسات السابقة :

بعد البحث الدقيق الذي أجريته أثناء قيامي بالكشف عن الدراسات السابقة في موضوع رسالتي التي هي بعنوان التشبيه ودوره في تكوين الصورة الفنية دراسة تطبيقية على الربع الأخير من القرآن الكريم ، وجدت دراسة ذات صلةٍ به غير أنها في الشعر العربي باسم الباحث فوزيه عبدالله علي والتي عنوانها التشبيه والاستعارة في مراثي أبي تمّام تحت إشراف الدكتور عبد الحافظ إبراهيم البقري ، جامعة أم درمان الإسلامية بتاريخ يونيو 2006،مع وجود رسائل علمية في التشبيه في القرآن الكريم إلاّ أنّها تختلف من موضوع رسالتي التطبيقي على الربع الأخير من القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع :

1-لم أقف على بحث متخصص تناول تطبيق التشبيه بالتفصيل على الربع الأخير من القرآن الكريم، وهذا لايعني عدم وجود رسائل أخرى في التشبيه.

2-ارتباطي الوثيق باللغة العربية ، وميلي إلى البحث في البلاغة وإعجاز القرآن.

3-كثرة ورود هذا اللون البلاغي في القرآن الكريم.

أهداف الدراسة :

1-أهداف تتعلق بالباحث أهمها المتعة العقلية ، والتأمل الفكري وغيرها.

2-تطبيق التشبيه على الربع الأخير من القرآن الكريم.

3- شرح وتفسير صور التشبيه وخصائصه البلاغية.

4- الاطلاع على خصائص وموضوعات الصورة الفنية في القرآن الكريم.

5- تحقيق إضافة جديدة وميسرة في التشبيه لتفيد الدارسين .

فروض الدراسة :

1-ماهي علاقة التشبيه بالإعجاز البلاغي في القرآن الكريم؟

2-أي نوع من أنواع التشبيه أكثر وروداً في القرآن الكريم؟

3-ماقيمة وجود الصورة الفنية في القرآن الكريم؟

4-ما الفرق بين التشبيه والاستعارة؟

ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها في هذه الدراسة بعد القرآن الكريم والحديث الشريف:

أ-كتب البلاغة وذلك في تحديد معرفة التشبيه بأنواعه المتباينة ، والصورة الفنية بكل أبعادها ، نذكر منها : السكاكي مفتاح العلوم ، الرماني النكت في إعجاز القرآن ، الجرجاني أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، القزويني الإيضاح في علوم البلاغة ، الخفاجي سر الفصاحة.

ب–كتب التفاسير وذلك في تفسير الآيات القرآنية نذكر منها :القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، ابن عاشور التحرير والتنوير ، ابن كثير تفسير القرآن العظيم ، الألوسي روح المعاني ، الزمخشري تفسير الكشاف ، أبوحيان الأندلسي البحر المحيط.

منهجية الدراسة :

اتّبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، وكذلك التاريخي.

هيكل الدراسة :

اشتملت هذه الدراسة على أربعة فصول وهي مايلي :

الفصل الأول: مفهوم التشبيه ، ويتكون من أربعة مباحث ،

– المبحث الأول التعريف بمفهوم التشبيه.

– المبحث الثاني التمثيل في القرآن الكريم.

– المبحث الثالث بين الحقيقة والتشبيه.

– المبحث الرابع بين التشبيه والاستعارة.

الفصل الثاني : الصورة الفنية في القرآن الكريم ، ويتكون من ثلاثة مباحث ،

– المبحث الأول مفهوم الصورة الفنية.

– المبحث الثاني خصائص الصورة الفنية في القرآن الكريم.

– المبحث الثالث موضوعات الصورة الفنية في القرآن الكريم.

الفصل الثالث : الدراسة التطبيقية :ويشمل تطبيق التشبيه على الربع الأخير من القرآن الكريم.

الفصل الرابع : خصائص التشبيهات القرآنية ، ويتكون من أربعة مباحث ،

- المبحث الأول الإعجاز .

- المبحث الثاني الإبتكار .

- المبحث الثالث الإيجاز .

- المبحث الرابع التفنن .

تكمن صعوبة البحث في هذا الموضوع في تفرق مادة البحث في القرآن الكريم والحديث الشريف ، وصفحات الكتب البلاغيه والتفاسير والدواوين الشعرية مما كلف مشقة جمع المادة ، وأرجو – من الله – أن أكون قد وُفقت فيما بذلت من جهد.

المبحث الأول : التعريف بمفهوم التشبيه

التشبيه في اللغة والاصطلاح :

التشبيه لغة : كالشَبه والشِبْه والشبيه ، والجمع أشباه وأشبه الشيء الشيء ماثله واشبهت فلاناً شابهته واشتبه علي ، وتشابه الشيئان واشتبها أي أشبه أحدهما الآخر والتشبيه التمثيل.[1]

أمّا في الاصطلاح : "هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى ".[2]

وهنالك العديد من التعريفات التي أوردها البلاغيون في تعريفهم للتشبيه منها :

ذكره سيبويه فقال : نحو "مررت برجل أسد أبوه إذا كنت تريد أن تجعله شديداً ، وذكره الجاحظ في كتابه ، ولعل المبرد من أوائل الذين تحدثوا عنه وقال فيه أعلم أن الأشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجوه وإنما ينظر إلي التشبيه من حيث وقعه " وعرّفه قدامة بن جعفر فقال : "إنّه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشتبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات فإذا كان الشيئان قد تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير اتحدا فصارا الاثنين واحداً فبقي أنّما يكون أن يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معاني "، وعرفه الرماني فقال : "التشبيه هو العقد على أنّ أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس وعقل ".[3]

وعرّفه أبو هلال العسكري فقال : "التشبيه الوصف بأنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة تشبيه ، وعرفه ابن رشيق القيرواني بقوله: التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته لأنّه لو ناسبه كلياً لكان إياه، "وعرّفه السكاكي فقال : " التشبيه هو أن تثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به " ، وعرّفه ابن الإصبع المصري "التشبيه هو مشاركة أمر لأمر آخر" وعرّفه القزويني

---

[1] - ابن منظورأبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم – لسان العرب – دار صادر – بيروت – د،ت،ط – ص2189

[2] - السكاكي أبويعقوب يوسف بن محمد علي – مفتاح العلوم – تحقيق:محمح هنداوي – بيروت – د،ت،ط – ص494

[3]- الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد– أسرار البلاغة في علم البيان - تعليق محمد عبد العزيز النجار – القاهرة مطبعة محمد علي – 1977م ص 43

كتعريف ابن الإصبع ، وعرّفه الزركشي فقال : "هو إلحاق شيء بذا وصف في صفة " أمّا السلجماني فقال : " هو وجود شيء في شيء ".[1]

والتشبيه يستدعي طرفين يشتركان في الحقيقة ويختلفان في الصفه أو العكس ، فالأول كالإنسان إذا اختلفا في صفة طول أو قصر والثاني كالطولين إذا اختلفا في الحقيقة وإلاّ فأنت تعتبر ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه ، حتّى التعيين يرفض التعدد فيبطل التشبيه ، لأنّ تشبيه الشيء لا يكون إلاّ وصفاً له بمشاركته المشبه به في أمر ، والشيء لا يتصف بنفسه كما أنّ عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما بالرجوع إلى طلب الوصف .[2]

وللتشبيه أربعة أركان وهي : المشبه ، والمشبه به ، وجه الشبه ، وأداة التشبيه:

فالمشبه هو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره ، أمّا المشبه به هو الأمر الذي يلحق به المشبه ويسميان طرفا التشبيه ، وإمّا أن يكونا مستندين إلى الحواس كالخد عند التشبيه بالورد، وكالنكهة عند التشبيه بالعنبر ، وكالريق عند التشبيه بالخمر، وكالجلد الناعم عن التشبيه بالحرير، وأمّا ما يستند إليه الخيال كالشقيق عند التشبيه بأعلام الياقوت منشرة على رماح من زبرجد ، وأمّا أن يكونا مستندين إلى العقل كالعلم إذا شبه بالحياة ، وإمّا أن يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوساً كالعدل إذا شبه بالقسطاس وكالمنية إذا شبهت بالسبع أما الوهميات المحضة في إذا قدرنا صورة وهمية محضة مع المنية مثلاً وشبهناها بالمخلب أو بالنار فقلنا افترست المنية فلاناً أوشبهت باللسان وقلنا نطقت الحال بشيء هو لها شبيه باللسان فملحقه بالعقليات وكذا الوجدانيات كاللذة والألم والشبع والجوع.[3] ومن أمثلة طرفي التشبيه الحسيان، مثل الكريم كالبحر،ومن أمثلة العقليين العلم حياة والجهل موت ومن أمثلة أحدهما عقلي والآخر حسي مثل قوله تعالى:(مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ***). (إبراهيم بعض الآية 18)

[1] - السكاكي – مفتاح العلوم - ص 372

[2] - الجرجاني – دلائل الأعجاز تحقيق أبو فهد محمود – مطبعة مدني الطبعة الثالثة د ت ط ص 190

[3] - سعد الدين مسعود بن عمر- المطول في شرح مفتاح العلوم – تحقيق الدكتور محمد هنداوي – دار الكتب العلمية بيروت د ط ت – ص 43

أمّا تشبيه المحسوس بالمعقول ذكر له البلاغيون لونين من التشبيه :

* الخيالي وهو المعدوم الذي فرض مجتمعاً من عدة أمور يدرك واحد منهما بالحس.

* الوهمي وهو ما لا وجود له وأجزاءه كلها أو بعضها في الخارج ولو وجد لكان مدركاً بإحدى الحواس الخمسة مثل قوله تعالى:(إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ).(الصافات الآيتان 64،65)

وليس الغرض من التشبيه عقد مماثلة تامة بين شيئين أو الطرفين المشبه والمشبه به وإنما القصد هو حاجة فنية تبنى عليها ضرورة السياق والتركيب وإلاّ ما كان التشابه والتفاوت والاختلاف بين المشبه والمشبه به أكثر جمالاً وروعة وبهذا يكون للتشبيه قيمة فنية عالية.[1]

ومن أركان التشبيه وجه الشبه فلما انحصر التشبيه بين أن يكون الاشتراك في الحقيقة والافتراق في الصفة تارة مثل جسمين أبيض وأسود وكذا أن يكون الاشتراك في الحقيقة وهو أن يفترقا باتصاف أحدهما اختصاصاً بالإنسان ، وبين أن يكون الاشتراك بالصفة تارة والاختلاف في حقيقة أخرى مثل طولين جسم وخط ، والوصف حين انحصر بين أن يكون مستنداً على الحس كالكيفيات الجسمانية مثل الاتصاف بما يدرك بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات وما يتصل بهما من الحسن والقبح وبما يدرك بالأصوات الضعيفة والقوية أو التي بين بين وبما يدرك بالذوق من أنواع الطعام أو بما يدرك بالشم من أنواع الروائح أو بما يدرك باللمس من الحرارة والبرودة ، وبين أن يكون مستنداً إلى العقل مثل الاتصاف بالذكاء والعلم والمعرفة والقدرة والكرم والسخاء والحلم والغضب وما جرى مجراهم من الغرائز والأخلاق وبين اعتباري نسبي اتصاف الشيء بكونه مطلوب الوجود أو العدم عند النفس لكونه مطموعاً فيه أو بعيداً عن الطمع أو شيء تصوري وهمي محض ، ومن المعلوم أن الحقائق المنقسمة إلى بسائط وذوات أجزاء مختلفة من هنا تقدر أن تحكم أن وجه الشبه هو الصفة

[1] -الخفاجي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان – سر الفصاحة ط1 198هـ دار الكتب العلمية – بيروت - ص 63

المشتركة بين المشبه والمشبه به وبامكانه التفاوت، وبين أصحاب علم البيان التصريح بوجه الشبه على ماهو به بل وقد يذكرونه على سبيل التسامح ، أمّا إذا امعنت فيه النظر لم تجده إلاّ شيئاً مستتبعاً مما يكون وجه الشبه في المآل ، فلابد من التشبيه عليه من ذلك قولهم في الألفاظ إذا وجدوها لا تتنقل على اللسان لتنافر حروفها وتكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية مستنكرة لكونها غير مألوفة حتّى تشمئز منها النفوس فهي كالعسل في الحلاوة وكالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة ، وقولهم في الحجة المطلوب بها فوجدوا الشبهه متى صودفت معلومة الأجزاء يقينية التأليف قطعية الالتزام ، فهي كالشمس في الظهور فيذكرون الحلاوة والسلاسة والرقة والظهور لوجه الشبه على أنّه في المآل[1]

ومن أركان التشبيه أداته ، فهي اللفظ الذي يدل على التشبيه ويربط المشبه والمشبه به ، وقد تذكر الأداة في التشبيه وقد تحذف وهي ثلاثة أنواع:

* أسماء:وهي:"مثل6 وشبه وشبيه ومثيل " وغيرها كقوله تعالى : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ***).(البقرة الآية 17)

* أفعال:وهي:"حَسِب ، خال ، ظن ، يشابه ، يضارع " وغيرها مثال لذلك قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ).(النور الآية 39)

* حروف : وهي : بسيطة كالكاف مثل فلان كالعمود في الطول ، ومن الحروف كأن وقد قال قوم هي (أن) دخلت عليها كاف التشبيه وفتحت وقد تخفف مثل قوله تعالى : (كأنْ لَمْ يَدْعُنا إلى ضُرٍ مَسّهُ).(آل عمران الآية 66)

ومثال المشددة قوله تعالى : (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ). (الصافات الآية 65)

ومنه قوله تعالى : (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً). (القصص بعض الآية 31)

[1] - ابن الأثير الجزري : نصر الدين بن أبي الكرم محمد الشيباني الملقب بضياء الدين – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- تحقيق أحمد الحوفي دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة د ت ط ص 112

نرى أن الضمير في(كأنها) العائد إلى العصا (مشبه) وكلمة (جان) مشبه به والاهتزاز الذي هو شدة الاضطراب في الحركة (وجه الشبه) وكأن هي (أداة التشبيه) [1]

وجاءت (كذلك) للتشبيه في القرآن الكريم كقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)(الأعراف الآية 57)

أحوال التشبيه :

* إدراك الشئ مجملاً أسهل من إدراكه مفصلاً.

* أن حضور صورة شيء تتكرر على الحس أقرب من حضور صورة شيء يقل وروده على الحس وحال هذين الأصلين واضح.

* إن الشيء مع ما يناسبه أقرب حضوراً منه مع ما لا يناسبه.

* استحضار الأمر الواحد أيسر من استحضار غير الواحد وحاله أيضاً مكشوف .

* ميل النفس إلى الحسيات أتم منه في العقليات وأعني بالحسيات ما تجرده منها بناءً على امتناع النفس من إدراك الجزئيات .

* إن النفس لما تعرف أقبل منها لما لا تعرف لمحبتها العلم طبعاً .

* إن تجدد الصور عندها أحب إليها وألذّ من مشاهد معاده.[2]

ومن أسباب قرب التشبيه أن يكون وجهه أمراً واحداً كالبياض في قولك شهد كالثلج وأن يكون المشبه به مناسباً للمشبه كما إذا شبهت الجزرة الضخمة المستطيلة بالفجلة ، وكذلك أن يكون المشبه به غالب الحضور في خزانة الصور بجهة من الجهات كما إذا شبهت الشعر الأسود بالليل أو الوجه الجميل بالبدر أو المحبوب بالروح،أمّا من أسباب بعده وغرابته أن يكون وجه الشبه أموراً كثيرة في تشبيه سقط النار بعين الديك أو تشبيه الثريا بالعنقود، كذلك بعد المشبه عن المشبه به كتشبيه الخنفساء

[1] - الرماني : أبو الحسن علي بن عيسي – النكت في إعجاز القرآن – تحقيق محمد خلف الله أحمد – دار المعارف القاهرة ط 4 ص 23

[2] - المرجع نفسه - ص 133

بالإنسان وأن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن لكونه شيئاً وهمياً لا يعرف كقول امرؤ القيس

أَيَقْتُلَنِي وَالمُشْرَفِي مَضَاجِعِي *** وَمَسْنُونَةٌ زُرَقٌ كأنْيَابِ أغْوَالِ [1]

أو أن يكون خيالياً في التركيب كقول الشاعر[2] :

وكأنّ مُحْمَرَ الشّقِيْقِ *** إذَا تَصَوّبَ أَوْ تَصَعّد

أَعْلامُ يَاقُوتٍ نُشِرْنَ *** عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرْجَد [3]

أو أن يكون مركباً عقلياً كما في قوله تعالى : (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ).(يونس الآية 24)

والتشبيه يكون قبوله إذا كان المشبه به محسوساً أعرف شيء بأمر لون مخصوص أو شكل أو مقدار إذا كان الغرض من التشبيه بيان حال المشبه بالزيادة والنقصان أدخل في القبول ، ويكون قبوله أقرب إذا كان المشبه أتم محسوس في أمر حسي هو وجه الشبه إذا قصد تنزيل المشبه الناقص منزلة الكامل أو قصده زيادة تقرير المشبه عند السامع ، وكذلك يكون التشبيه أقرب للقبول إذا كان المشبه به في التشبيه الاستطرافي نادر الحضور في الذهن لبعد نسبته إليه.

مراتب التشبيه وأغراضه وبلاغته :

له ثمان مراتب : وهي :

1- ذكر أركانه الأربعة وهي : المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه كقولك : زيد كالأسد في الشجاعة.

2- ترك المشبه كقولك : كالأسد في الشجاعة.

---

[1] - أمرؤ القيس أوس بن حجر بن الحارث بن عمرو – ديوان امرؤالقيس – تحقيق مصطفى عبد الشافي – بيروت – ص43

[2]- الصنوبري أحمد محمد بن حسين – ديوان الصنوبري – تحقيق إحسان عباس – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1998م – ص 33

[3]- محمر الشقيق : نوع من أنواع الزهور الأحمر ، أمّا الزبرجد : نوع من أنواع الحجار الكريمة أخضر اللون .

3- ترك كلمة التشبيه كقولك : زيد أسد في الشجاعة.

4- ترك المشبه به وكلمة التشبيه كقولك : أسد في الشجاعة.

5- ترك وجه الشبه كقولك : زيد كالأسد .

6- ترك المشبه ووجه الشبه كقولك: كالأسد .

7- ترك حكم التشبيه ووجه الشبه كقولك : زيد أسد.

8- إفراد المشبه به في الذكر كقولك : أسد.[1]

أغراضه :

التشبيه لون من ألوان التعبير الجميل المؤثر ، تعتمده النفوس البشرية بالفطرة حين يدعوها إلى ذلك غرض أو آخر من أغراضه التي قصدها البلاغيون القدامى والمعاصرون ، ولا بد لكل تشبيه من غرض وإلا كان وقوعه في الكلام عبثاً ، والتشبيه متنوع الأغراض وهي تعود في الغالب للمشبه وقد تعود إلى المشبه به وهذه الأغراض هي :

* بيان إمكان وجود المشبه : المقصود من هذا الغرض أن المشبه أمر جائز الوقوع على صفة مخصوصة .

* بيان حال المشبه : ويتمثل هذا الغرض حين تكون صفة المشبه به معلومة لدى المخاطب ، وتكون صفة المشبه مجهولة .

* تحسين حال المشبه والترغيب فيه والطريق إلى تحقيق هذا الغرض هو الموازنة بينه وبين مشبه به يستحسنه المخاطب ويميل إليه ويسري منه إلى ذلك المشبه صفاته التي يتعلق بها القلب وتأخذ بها المشاعر.

* تقبيح حال المشبه والتنفير منه ، والطريق إلى تحقيق هذا الغرض هو نقيض طريق تحسين حال المشبه والترغيب فيه ، إذ يقرن المشبه بمشبه به تستقبحه النفوس ولا ترغب فيه فيكتسب صفات الاستقباح والتنفير.

[1] - السكاكي – مفتاح العلوم – ص 11

* بيان مقدار حال المشبه ، ويتحد هذا الغرض في تجسيد قوة المشبه وضعفه وزيادته ونقصه وسموه وانخفاضه واتساعه وضيقه وما إلى ذلك من الصفات التي تخضع للمقاييس وتستجيب بالتحديد كقوله تعالى : (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).(النحل الآية 77) فالمخاطب المسلم يعرف أمر الساعة في قربها معرفة عامة إذا الساعة آتية لا ريب فيها وقد جاء المشبه به (كلمح البصر) وحدد مقدار هذا القرب ودرجته وبين أن أتيانه أقرب من القريب في سرعة وصوله ودنو وقوعه.

* تقرير حال المشبه ، ويتحقق هذا الغرض بتوضيح حال المشبه في ذهن السامع وترسيخها في نفسه ، ويتم ذلك بإبراز المشبه في صورة أقوى وأظهر وذلك عندما تشبه الأمور المعنوية المجردة بالأشياء الحسية المشاهدة عياناً والمتخيلة تحققاً.[1]

بلاغته :

إن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين الأولي : طريقة تأليف ألفاظه ، والثانية : ابتكار مشبه به بعيداً عن الأذهان لا يجول إلا في نفس أديب وهب الله له استعداداً سليماً في تعرف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء وقدرته على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد لا يكاد أن ينتهي.[2] من بلاغته أيضاً أن يأتي من الشيء الواحد بأشباه عدة مثلاً أن يعطي من القمر الكمال عن النقصان وبالعكس ينظر إلى بعده وارتفاعه وقرب ضوء شعاعه، والتشبيه في نظر الصناعة البلاغية تتفاوت درجاته فما استكملت فيه أركان التشبيه فهو أقلها بلاغة ، وما حذفت منه الأداة أبلغ مما ذكرت فيه الأداة والوجه ، وما حذفا منه أبلغ مما ذكرا فيه ، ولكن الأمر لا يقف عند حذف أحد الأركان أو بقائه ، وإنما تتوقف بلاغة التشبيه على إفادته الغرض المقصود منه ما دامت فائدته الإيضاح والبيان مع الإيجاز سواء ذكرت الأركان جميعها أم لم تذكر وهو مثل أي أسلوب بياني ليس على درجة واحدة من البلاغة في أنواعه كافة ، مع أنه ليس بمستوى رفيع من الجمال في أنواعه جمعاء ، وإنما يتفاوت ويتباين وفقاً للمقاييس النقدية.[3]

---

[1] - الجرجاني – أسرار البلاغة ص 143

[2] - القزويني الإمام الخطيب– الايضاح في علوم البلاغة - تحقيق محمد عبد المنعم -بيروت ط4 1395ه– ص 117

[3] - ابن الأثير – المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر – ص 53

أنواع التشبيه :

صنف البلاغيون القدامى التشبيه باعتبار الأداة إلى عدة أصناف وهي :

* التشبيه المؤكِد : وهو ما حذفت أداته مثل قوله تعالى : (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً).(الإنسان الآيتان 15،16)

*التشبيه المجمل : وهو ما حذف منه وجه الشبه ولم يذكر فيه ألفاظ ظاهرة كقوله تعالى : (خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ).(الرحمن الآية 14)

فوجه الشبه في هذه الآية الكريمة بين الصلصال المشبه والفخار المشبه به حيث لم يأت صريحاً ومنصوصاً عليه.[1]

* التشبيه المفصّل : وهو ما ذكر فيه وجه الشبه نحو العالم سراج أمته في الهداية .[2]

* التشبيه البليغ : وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه ، وسبب هذه التسمية ذكر الطرفين فقط ، يوهم اتحادهما وعدم تفاضلهما فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه.

وينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام :

1- التشبيه المفرد : وهو ما طرفاه مفردان مطلقان كتشبيه الضوء بالشمس والخد بالورد قال تعالى : (هُنّ لباسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لباسُ لَهُنّ).(البقرة بعض الآية 178)

في هذه الآية الكريمة التشبيه في الطرفان (هن) و(لباس) و(أنتم) و (لباس) غير مقيدان وقوله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً).(النبأ الآية 10)

فشبه الليل بالباس وذلك أنّه يستر الناس بعضهم من بعض لمن أراد هرباً من عدو أو ثباتاً لعدو أو إخفاء ما لا يجب الاطلاع عليه.[3]

أو مفردان مقيدان كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على شيء "هو كالقابض على الماء وكالراقم على الماء" فإن المشبه هو الساعي الذي يكون مقيّداً لا مطلقاً ، فالقيد في هذين

---

[1] - الباقلاني : أ[بو بكر محمد الطيب – إعجاز القرآن – تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف - القاهرة - ط 5 – ص 121

[2] - المرجع نفسه - ص 122

[3] - ابن عاشور الشيخ محمد الطاهر - التحرير والتنوير– دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1984م - ص 123

التشبيهين هو الجار والمجرور (على الماء) ، أو مختلفان نحو ثغره كالؤلؤ ، والعين الزرقاء كالأسنان ، والمشبه هو المقيد، ومن أمثلة التشبيه المفرد : نجد في القرآن الكريم كثيراً من التشبيهات لتجلية المعاني وتقريبها للأذهان قصد الفهم والإفادة وتشكيل الصور المختلفة في وعي المتلقي ومن نماذج التشبيه المفرد قوله تعالى : (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ).(يس الآية 39)

حيث أن المعنى هنا قدرنا مسيره في منازل يسير فيها ينزل القمر كل ليلة في واحدة منهما، و(عاد كالعرجون القديم) أي رقّ واستقوس ، وقوله تعالى: (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ). (القارعة الآية 4)

حيث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كتطاير الفراش إلى النار، وكذلك قوله تعالى : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ). (آل عمران 59)

فإن مثل عيسى أي كشأن عيسى وحالته الغريبة كشأن آدم وقوله (خلقه من تراب) أي خلق الله آدم من تراب ولم يكن له أب ولا أم فكذلك حال عيسى.[1]

التشبيه المركب : لقد تتبع البلاغيون المتأخرون تفرعات أضرب التشبيه المستندة على طرفيه وتراكيبها ففرّعوا عليها أربعة أنواع :

* التشبيه المفروق : وهو جمع كل طرف منهما مع مثله كجمع المشبه مع المشبه به بحيث يؤتى بالمشبهات معاً على طريق العطف أو غيره.

* التشبيه المقرون : ويسمى المقرون وهو ماأتت فيه الأطراف مقرونة كل مشبه ورد بعده مشبه به.

* التشبيه المتعدد : وهو أن يتعدد المشبه دون المشبه به.

* تشبيه الجمع : وهو أن يتعدد المشبه به دون المشبه.

[1] - ابن عاشور الشيخ محمد الطاهر– تفسيرالتحرير والتنوير – ص 135

ومن نماذج التشبيه المركب قوله تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ).(النور الآية 35)

فجاء التشبيه هنا مركب لأنّه شبه صفة نور الله العجيبة الشأن في الإضاءة (كمشكاة)أي كصلة لمشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب (في زجاجة) أراد قنديل من زجاج شامي أسهل شُبّه بأحد الدراري من الكواكب.[1] وكذلك قوله تعالى : (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمْ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).(آل عمران الآية 117)

ومن أمثلة التشبيه المركب أيضاً قوله تعالى : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ).(البقرة الآية 17)

حيث أن المشبه في هذه الآية الكريمة هو(حال المنافقين) والمشبه به رجل تتجسد أوضاعه في أنه أوقد ناراً في ليل مظلم لكي يستضيء حتّى أمن ما يخاف فبينما هو كذلك إذ اخمدت ناره فبقي خائفاً متحيراً.[2]

* التشبيه الضمني : وهو تشبيه لا يوضع فيه المشبه بالمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب ، وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن.[3] ويتميز بخمس خصائص مجتمعة :

1- إنّ المشبه والمشبه به كليهما يلمحان ويستنتجان بلا ترابط نحوي مباشر فيما بينهما.

2- إنّ المشبه جملة أو مجموعة جمل مستقلة منفصلة عن المشبه به الذي يجئ جملة أو طائفة من الجمل أيضاً .

---

[1] - ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني – الخصائص تحقيق محمد علي النجار دار الكتاب العربي بيروت – ص 66

[2] - حسين عبد القادرحسين – القرآن والصور البيانية – دار المنار للطبع والنشر والتوزيع القاهرة – ط 1 - 1412م – ص 116

[3] - الجرجاني – اسرار البلاغة ص 96

3- إنّ المشبه يغير فكرة فيها غرابة يحتاج في القبول إلى دليل يقنعه ويرسخ اعترافه بها.

4- إنّ المشبه به يستوي مثلاً مشاهداً تقربه العقول بداهة وتطمئن القلوب صحته سليقة.

5- إنّ حال المشبه والمشبه به الذين يلمحهما القارئ يتكافئان ويتساويان بلا زيادة لأحدهما على الآخر بلا نقصانٍ لطرف عن سواه، والفكرة الرئيسية التي ينهض عليها التشبيه الضمني هي أنّ هذا اللون مع التعبير لا يأتي فيه الطرفان في أسلوب من أساليب التشبيه التي مرت بنا ، وإنّما يلمح المشبه والمشبه به ويفهمان من سياق المعنى ويكون المشبه به دائماً برهان على إمكان ما أسند إليه المشبه ،ومن أمثلة التشبيه الضمني قوله تعالى : (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).(الحشر الآية 21)

في هذه الآية الكريمة تشبيه ضمني لعدم وجود المشبه والمشبه به وفيها أيضاً تمثيل وتخييل قد دل عليه قوله : (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ) والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره.[1] ومن أمثلة التشبيه الضمني قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ).(الفيل الآية 1) حيث جاء التشبيه هنا ضمني والمعنى أنك رأيت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة ، و(كيف) بموضع نصب بفعل ربك لا بألم ترى لما في كيف من معنى الاستفهام.

* التشبيه التمثيلي :

التمثيل عند أبو عبيدة هو التشبيه أو مجاز التمثيل كقوله تعالى : (عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ).(التوبة بعض الآية 109)

[1] - البيومي – محمد رجب البيومي – البيان القرآني – طبعة مجمع البحوث الأسلامية – 1391هـ ص 103

ومجاز الآية مجاز التمثيل كأنّ ما بنوه على التقوى أثبت أثاثاً من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق ، فهو على شفا جرف وهو ما يجرف من سيول الأودية فلا يثبت البناء عليه ، ولعل قدامة بن جعفر كان أوّل من عدّ التمثيل مخالفاً للتشبيه وهو عندهم من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى وقال في تعريفه : "هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر وذلك المعنى الآخر والكلام منبّآن عما أراد أن يشير إليه"، وفسر ابن سنان الخفاجي التمثيل كما فسره قدامه وفسره ابن الإصبع المصري مثل هذا التمثيل ونقل تعريف قدامه وبعض أمثلتهم وألحق به ما يخرج المتكلم مخرج المثل السائر كقوله تعالى : (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ).(النجم الآية 58) وقوله تعالى : (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ).(النمل الآية 88)

والتمثيل هو المماثلة عند بعضهم كأبي هلال العسكري والباقلاني وابن رشيق الذي ذكر معنى التمثيل أيضاً وقال : "والتمثيل والاستعارة من التشبيه إلا أنهما بغير أداته وعلى غير أسلوبه ".

ويسمى التشبيه تمثيلاً إذا كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، وغير تمثيل إذا لم يكن وجه الشبه كذلك.

وهو عند البلاغيين المتأخرين غير ذلك ويشير عبد القاهر الجرجاني إلى الربط بين التشبيه والتمثيل ويؤكد أن التمثيل خاص والتشبيه أعم منه فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل ، ويؤكد أن كل تشبيه يكون الوجه فيه حسياً مفرداً أو مركباً أو كان من الغرائز والطباع العقلية الحقيقية فهو تشبيه (غير تمثيل) أما إذا كان وجه الشبه فيه عقلياً مفرداً أو مركباً غير حقيقي ومحتاجاً في تحصيله إلى تأويل فهو تشبيه تمثيل.[1]

[1] - البيومي – البيان القرآني– ص 85

ومن نماذج التشبيه التمثيلي قوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ). (إبراهيم الآية 18)

حيث أن المعنى الجامع بينهما لعدم التلاقي وعدم الانتفاع ، وكذلك قوله تعالى : (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ). (الأعراف الآية 176)

والمعنى أن الكلب لا يطيعك في ترك على حال وكذلك الكافر لا يدخل إلى الإيمان في رفق ولا عنف،وكذلك قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ). (الرعد بعض الآية 14)

فالمعنى الذي يجمع بينهما الحاجة إلى المنفعة والحسرة لما يفوت من ترك الحاجة.

وأيضاً قوله تعالى : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ). (البقرة الآية 17)

من أمثلة التشبيه التمثيلي قوله تعالى : (فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). (البقرة بعض الآية 256)

فالكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض أصلاً بثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة بالحبل المحكم المأمون.[1] هذا ما صنفه البلاغيون القدامى للتشبيه وأنواعه وهنالك أقسام كثيرة للتشبيه نذكر منها:

تشبيه الإضمار الذي عرفه الوطواط فقال : "تشبيه الإضمار ، وتكون هذه الصفة بأن يشبه الشاعر شيء بشيء آخر حيث يبدو من ظاهر العبارة أن المقصود شيء آخر " ومثل لهذا الفن بقول الشاعر[2] :

---

[1] - الزمخشرى – محمود بن عمر – الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل تحقيق محمد الصادق قمحاوي القاهرة الطبعة الأخيرة سنة 1392هـ - 1972م – 211

2- ورد هذا البيت بلا نسبة في كتاب المعجم المفصل لعلوم البلاغة – إعداد إنعام فوّال عكّاري – مراجعة أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – ص 325

وإنْ كَانَ وَجْهُكَ شَمْعَاً *** فَمَا لَجِسْمِي يَذُوْبُ

إنّه يتعجب من ذوبان جسده في حين أن المقصود الذي يضمره هو تشبيه وجه المعشوق بالشمع.

ومن أقسام التشبيه(تشبيه التفضيل) وهو أن يشبه الشاعر شيئاً بشيئاً آخر ثم يعود فيفضل المشبه عن المشبه به.[1] ومنه قول الشاعر[2] :

حَسِبْتُ جَمَالَهُ بَدْراً مُنِيراً *** وَأَيْنَ البَدْرُ مِنْ ذَاكَ الجَمَالُ

ومن أقسام التشبيه (التشبيه الجيد) وعرّفه ثعلب فقال : "هو التشبيه الخارج عن التعدي والتقصير "ومثل لذلك بقول الشاعر[3] :

إذَا مَا الثّرَيّا فِي السّمَاءِ تَعَرّضَتْ *** تَعَرّضُ أَثْنَاءَ الوِشَاحِ المُفَصّلِ

وأيضاً من أنواع التشبيه (المشروط) الذي عرفه الوطواط بقوله : "هو أن يكون تشبيه شيء بشيء آخر بشرط من الشروط ويقولون لو كان هذا ما كان ذاك " ومنه قول الشاعر[4] :

عَزَمَاتُهُ مِثْلَ النّجُوْمِ ثَوَاقِبَاً *** لَوْ لَمْ يَكُنْ للثّاقِبَاتِ أُفُوْلُ

وكذلك (التشبيه المصيب) الذي ذكره المبرد وهوما خلا من المبالغة وأخرج الأغمض إلى الأوضح مثل قول الشاعر[5] :

كَأَنّ الثُرَيّا عُلّقَتْ فِي مُصَامُهَا ***** بأمْرَاسِ كِتّانٍ إلى صُمّ جَنْدَلِ[6]

وأيضاً من أنواع التشبيه (الوهمى) مثل قوله تعالى : (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ).(الصافات الآيتان 64،65)

---

[1] - السكاكي – مفتاح العلوم – ص 304

[2] - ورد هذا البيت بلا نسبة في كتاب المعجم المفصل لعلوم البلاغة- إعداد إنعام فوّال عكّاري – ص 328

[3] - امرؤالقيس أوس بن حجر بن الحارث بن عمرو – ديوان امرؤالقيس- تحقيق مصطفى عبدالشافي – بيروت – ط5- 1425هـ-ص37

[4] - ورد هذا البيت بلا نسبة في كتاب المعجم المفصل لعلوم البلاغة – إعداد إنعام فوّال عكّاري – ص 346

[5] - امرؤ القيس – ديوان امرؤ القيس – ص 63

[6] - الثريا : مجموعة من الكواكب الصغيرة ، المصام : أي المكان ، الأمراس : جمع مرس وهو الحبل ، الجندل : الصخرة

كذلك من أنواع التشبيهات (المجتمعة) التي عرفها الرازي فقال : "إنّما يكون ذلك إذا كان التشبيه في أمور كثيرة لا يتقيد البعض بالبعض لأغراض كثيرة وكل واحدٍ منفرداً بنفسه "، ولهذا النوع خاصيتان :

الأولي : لايجب فيها الترتيب ، ألا ترى إنك إذا قلت : "زيداً كالأسد بأساً والبحر جوداً والسيف مضاءً والبدر بهاءً لا يجب عليك أن تحفظ لها نظاماً " ، أما الثانية : إذا أسقط البعض فأنه لا يتغير حال الباقي كقولهم : "وهو يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو تركت ذكر الكدرة والمرارة وجد المعنى في تشبيهك له بالماء في الصفاء وبالعسل في الحلاوة باقياً على حقيقته " .[1]

[1] - ابن قتيبيه أبو محمدعبدالله بن مسلم – أدب الكاتب تحقيق محمد الدالي بيروت ط2 1407ه– ص 94

الوجه النفسي للتشبيه في القرآن :

إنّ ما يقصد به التشبيه هو بيان أنّ شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة ومقدرة.[1]

وقد انتشر التشبيه في اللغة وكثر في النظم القرآني ، واهتم به العرب القدامى وجعلوه أحد مقاييس التميز الأدبي ، كما أن بلاغته تنشأ من أنّه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء آخر ظريف يشبهه بصورة بارعة ، وكلما كان الانتقال بعيداً قليل الحضور بالبال أو ممتزجاً بقليل أو أكثر من الخيال فالتشبيه أروع للنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها.[2]

وقد رفع النقاد القدامى من قيمته فعدوه من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة ، ولذا جعلوه أبين دليل للشاعرية ومقياساً تعرف به البلاغة.[3]

وربما يرجع تفضيلهم للسهولة في جمال الصورة دون تعقيد وكذا ميلهم للوضوح والإبانة ووجدوا في التشبيه المجافي للعمق والمحافظ على المعالم والحدود بين الأطراف ما يرضي ذوقهم الفني لذا اطمأنوا عليه وجعلوه مقياساً للشاعرية.[4]

إنّ تعامل القدماء مع التشبيه كان على أساس المقارنة بين طرفين يشتركان في صفة أو أكثر وهذه الصفات في الغالب صفات خارجية لا تتصل بالقيمة النفسية للأشياء أو بالمحتوى العاطفي بالكلمات بقدر ما تتصل بالتناسب المنطقي بين الأطراف.[5]

مع أننا قد نجد أحياناً عند بعضهم إشارات توهم بأنهم انتبهوا إلى شيء من الأوجه النفسية للتشبيه كتعليق ابن رشيق باستهجان قول لبيد شاعر يوصف روضة فيقول[6] :

كَأَنّ شَقَائقُ النّعْمَانَ فِيْهِ *** ثِيَابٌ قَدْ رُوِيْنَ مِنْ الدّمَاءِ

فهذا التشبيه وإن كان مصيباً فيه بشاعة ذكر الدماء.

---

[1] - السكاكي – مفتاح العلوم ص 11

[2] - الجويني مصطفي الصاوي الجويني – بيان فن الصورة – دار المعرفة الجامعية عين شمس د ت ط – ص 48

[3] - البازجي :مصطفي ناصف – الصورة الأدبية – بيروت ط1ص 48

[4] - البيومي محمد رجب– الصورة الفنية في القرآن الكريم – طبعة مجمع البحوث الاسلامية د ت ط - ص 204

[5] - عصفور جابر أحمد عصفور– الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – القاهرة ط1 1974م ص 213

[6]- ورد هذا البيت في المعجم المفصل لعلوم البلاغة – إعداد إنعام فوّال عكّاري – ص 321

ولكن هذا لم ينطلق من وعي الأبعاد النفسية للتشبيه ، وإنما كان يتم من الميل الساذج لإيراد مظاهر الترف في التشبيه والبعد عن مظاهر البداوة.[1]

وكذلك بيت ابن المعتز الذي يقول فيه واصفاً الهلال* :

أَنْظُرْ إِلَيْهِ كَزَوْرَقٍ مِنْ فِضّةٍ *** قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُوْلَةً مِنْ عَنْبَرِ

وهذا دليل على حرصهم الزائد على تطابق أجزاء الصورة ، فشكل الهلال كشكل الزورق ولون الليل ينطبق على لون العنبر وهو تطابق منطقي بعيد كل البعد عن أي شعور أو إتجاه نفسي.[2]

لكننا عندما ننتقل بالهلال من هذا السياق إلى آخر متميز عن الأول في نظمه وتصويره وهو نظم القرآن الكريم نلقي صورته تعصف بأحاسيسنا وتشد نفوسنا لأنها صورة ينسجم فيها الحس البصري بالشعور النفسي وذلك في قوله تعالى : (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ).(يس الآية 39)

فتصوير الهلال في هيئة العرجون القديم أقرب للمعنى وأبلغ من زورق الفضة ذلك أننا نسبح في تشبيه القرآن مع القمر في مراحله ، من استدارته الجميلة إلى أواخره فنشعر ما تثيره فينا الصورة من إحساس بشدة نحافته وانحنائه ، وقلة شأنه وهو أثر لا يحدثه زورق الفضة.[3]

ومنه فإنّ غاية التشبيه ليست مجرد بيان لصفة ، وإنّما هي إثارة للوجدان حتّى تؤدي العقيدة غايتها لذلك يحرص الأديب المجيد على أن يلتمس من أوجه التشبيه بين الأشياء ما له من قدرة على إثارة الإحساس حتّى يبرز المشبه في صورة قوية معبرة.[4]

وإذا أردنا التأمل بوجه التشبيه النفسي فما علينا إلاّ أن نستشهد بروائع التشبيهات في القرآن التي تتجاوز المطابقة المادية الحسية إلى الانسجام النفسي كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ

---

[1] - البازجي مصطفى ناصف - التعبير الفني في القرآن الكريم – بيروت – د ت ط - ص 222

[2] - البيومي – الصورة الفنية – ص 197

[3] -البازجي مصطفى ناصف - التعبير الفني في القرآن الكريم – بيروت - ص 197

[4] - البيومي – البيان القرآني – ص 198

* عبدالله بن المعتز – ديوان ابن المعتز- داربيروت للطباعة والنشر- ط1406هـ - ص 61

كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ).(النور الآية 39)

إذ شبهت أعمال الكفار في هوانها وبطلانها بالسراب الذي يخدع الظمآن ، ثم شبهت هذه الأعمال في موضع آخر (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ).(النور الآية 40)

بالرغم من أن عناصر الصورة الحسية لا تتطابق إلا أن العلاقة النفسية أغنت عن ذلك بأثرها في النفوس،وحين يشبّه القرآن محسوس بمحسوس فإنه يتحرى الانطباع النفسي وذلك في قوله تعالى في وصف سفينة نوح : (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ).(هود بعض الآية 42)

فلفظ الجبال يوحي لأنفسنا شدة العلو والارتفاع ، ويصور لنا ما يحسه ركاب السفينة في مواجهة عظمة الأمواج، ثم هاهو يصور لنا نساء الجنة ، ويدع النفس تعقد هذه العلاقة الجذابة بين صور الحور العين واللؤلؤ في قوله عز وجل : (وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ).(الواقعة الآيتان 22،23)

فاللؤلؤ ليس لوناً فقط يمتلك صفات من الصفاء والنقاء والهدوء مما يجعله مصوناً (مكنوناً) شأنه شأن النساء اللاتي يحرصن على الصيانة ، والصلة بين الصورتين هي من حيث الرفق والحذر الذي يجب أن يعامل به كلاهما ، وحتى في هذا الرفق أيضاً صلة تجمع بينهما فليس الحس وحده الرابط والجامع ولكن للنفس نصيب وافر.[1]

فالقرآن يصور ويثير الذوق الجمالي لدى الإنسان ويربط بين عناصر الصورة الجمالية ، فالاحساس بجمال المرأة الذي يعود إلى أعماق النفس البشرية ، لا يختلف عن الإحساس بجمال اللؤلؤ المكنون الذي قد يثير اللذة بذاتها ، فالعلاقة بين الصورتين ليست في اللون فقط ، وإنما هي علاقة أبعد من مجرد الشكل الظاهري ، إنها علاقة نفسية تثيرها صور القرآن ، وأحاسيس تربط بين الصورتين مما يؤدي إلى رباط نفسي محكم بينهما.[2]

[1] - البازجي مصطفى ناصف - التعبير الفني في القرآن الكريم – ص 46
[2] - جابر عصفور – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – ص 207

المبحث الثاني : التمثيل في القرآن الكريم

معنى المثل في القرآن الكريم :

لا شيء أخطر من تصور سهولة تقدير معاني الكلمات لا سيما إذا كانت كثيرة التداول على ألسنة الناس.[1]

بهذه الكلمات نستهل دراسة مدلول كلمة (مَثَّل) مدركين مدى الصعوبة التي تواجه كل من تعاطى تفسير مثل هذه الكلمات ، وقد قدّم العلماء لنا كلاماً كثيراً حول معاني هذه الكلمة ودلالاتها واستعمالاتها في كتاب الله ، وقد ورد لفظ(مَثَّل) وما يشتق منه في القرآن تسع وستين ومائة مرة ، فكان له استعمالات في معاني مختلفة ، يحددها سياق لفظ المثل نفسه ، ودلالته في السياق الذي جاء فيه ، فإذا تفقدنا آيات الذكر الحكيم نجد استعمالات لفظ (المَثَّل) تختلف وتتباين من معنى لآخر ، في تفسيرنا للفظ لغوياً ومجازياً واصطلاحياً ، فيعرف ابن عاشور (المثل) في أصل لغوي بأنه النظير المشابه فيقول : "وأصل المثل بفتحتين هو النظير والمشابه" ويقول أيضاً (مَثَّل) بكسر الميم وسكون الثاء ، ويقال (مثيل) كما يقال(شبه وشِبْه وشبيه) (وبدل وبدل وبديل) ولا رابع لهذه الكلمات في مجئ (فعل وفعل وفعيل) بمعنى واحد.[2]

وقد تتبع معظم اللغويين والمفسرين الذين تحدثوا عن الأصل اللغوي لكلمة (مَثَّل) وإن اختلفت عباراتهم.

يقول ابن فارس : "الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء وهذا مثل هذا أي نظيره".[3]

ويقول ابن منظور: "مثل كلمة تسوية ، يقال هذا مثله كما يقال شِبْهه وشبهه بمعنى واحد".[4]

وابن جرير الطبري يعرفه بالشبه ويقول : "والمثل : الشبه يقال هذا مثل هذا كما يقال شبهه وشبهه "ومنه قول كعب بن زهير :

كَانَتْ مَوَاعِيْدَ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً **** وَمَا مَوَاعِيْدُهَا إلاّ الأبَاطِيْلُ.[5]

---

[1] - البازجي مصطفى ناصف - نظرية المعنى في النقد الأدبي – دار الأندلس – بيروت ص 151

[2] - الفياض محمد جابر – كتاب الأمثال في القرآن إصدارات المعهد العالمي ص74

[3] - ابن الفارس أحمد بن ذكريا أبوالحسين - معجم مقاييس اللغة – مادة (مثل)

[4] - ابن منظور – لسان العرب – مادة مثل

[5] - الأنصاري جمال الدين محمد بن هاشم - شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم – – تحقيق د محمد حسن – مؤسسة علوم القرآن بيروت – ط 2 1402هـ - ص 158

يعني بمثل هنا (شبهاً).[1]

ويعرفه الزمخشرى بقوله : "والمثل في أصل كلامهم بمعنى المِثل وهو النظير ، يقال : مثل ومِثل ومثيل ، كشبه وشِبه وشبيه ".[2]

وإذا تتبعنا المعاني التي جاء عليها لفظ المثل في القرآن الكريم ، واستقصينا دلالاته واستعمالاته ندرك تماماً أن لابد من الوقوف على السياقات والتراكيب التي ورد فيها نستطيع أن نستنبط ونتأمل دلالات ومعاني هذا اللفظ بعدة طرق :

* الشبه مطلقاً :

وقد جاء لفظ المثل في هذا المعنى في مواضع كثيرة من كتاب الله منها قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ***).(البقرة بعض الآية 26)

فالمراد بالمثل هنا الشبه مطلقاً لا خصوص المركب من الهيئة.

* الحالة الغريبة :

وهذا المعنى كثير الورود في القرآن الكريم منه قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ).(البقرة بعض الآية 214)

فالمثل هنا المشابه في الهيئة والحالة والمقصود حالهم التي أصبحت مثلاً في الشدة حيث أصابتهم البأساء والضراء وامتحنوا امتحاناً عصيباً شبيهاً بالزلزلة[3] ومنه المثل في قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ).(إبراهيم الآية 18)

فالمثل هنا الحالة العجيبة أي حال الذين كفروا أن أعمالهم كرماد ، فالمعنى أن حال أعمالهم بقرينة الجملة المخبر عنها لأنه مهما أطلق مثل كذا إلا والمراد حالة خاصة من أحوال يفسرها الكلام ، فهو من الإيجاز الملتزم في الكلام ، فالآية تمثيل لحال أعمال البر التي عملها المشركون في الدنيا حيث لم ينتفعوا بها في الآخرة ، فهي حال عجيبة

---

[1] - الطبري محمد بن جرير يزيد بن غالب – جامع البيان في تأويل القرآن – تحقيق أحمد محمد شاكر ج1 ص 216

[2] - الزمخشري - الكشاف – ج1 ص 72

[3] - ابن عاشورمحمد الطاهر- التحرير والتنوير –ط1 1984ج1 ص 203

مثلت وشبهت برماد اشتدت به الريح في يوم عاصف[1] والمثل في قوله تعالى : (وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ).(الزخرف بعض الآية 8)

بمعنى الحالة العجيبة (مثل الأولين) أي حالهم العجيبة ومعنى مضى انقرض ، فمعنى المثل كناية عن استئصالهم لأن مضى الأحوال يكون بمضي أصحابها ، ومنه أيضاً قوله تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ***).(محمد بعض الآية 15)

وهنا المثل حالته عجيبة والمشهور عند المفسرين أن المثل في الآية بمعنى الصفة يقول الزمخشري (ومثل الجنة) صفة الجنة العجيبة الشأن.[2]

* تمثيل الحال :

فهي من معاني المثل وقد جاء على هذا المعنى في قوله تعالى : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ).(يس الآية 78)

فالمثل هنا تمثيل الحالة والمعنى وأظهر للناس وأتى لهم بتشبيه حال قدرتنا بحال عجز الناس إذ أحال إحيائنا العظام بعدأن أرمت ، وقوله تعالى : (فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ).(النحل بعض الآية 74)

أي لا تشبهوا بخلقه فتجعلوا له شركاء من دونه.

* الحال التي تمثل صاحبها :

ومعنى تمثل صاحبها أي تشهره وتظهره فيتميز عن غيره ولا يلتمس بسواه، يقول الله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ).(محمد الآية 3)

وذلك عقب بيان لحال الكافرين والمؤمنين بقوله : (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ).(محمد الآيتان 1،2)

[1] - ابن عاشور التحرير والتنوير - ص 212
[2] -الزمخشري – تفسير الكشاف - ص 465

فمعنى ضرب الله للناس أمثالهم ، أي مثل التبين للحالين ، ويبين الله الأحوال للناس بياناً واضحاً ، والمعنى : قد بينّا لكل فريق من استحقاق المعاملة بحيث لم يبين خفاء الحالين.[1]

* الحالة العجيبة في الحسن والقبح :

وليس المراد أن الحال العجيبة في الحسن والقبح معنى مغاير من معاني المثل إلا أنه يمكن أن يعد كذلك بالنسبة لما يضاف إليه ، فهو بمعنى الحال العجيبة في الحسن إن أضيف إلى أمر حسن ، وبمعنى الحال العجيبة في القبح إذا أضيف إلى أمر قبيح كما في قول الحق عز وجل : (لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).(النحل الآية 60)

معنى المثل السوء في الآية الحال العجيبة في الحسن والقبح وإضافته إلى السوء للبيان.[2]

والآية رد على الذين يجعلون لله البنات مع تحقيرهم للبنات وهم يجعلون له ما يحتقرون فهي جواب عن مقالتهم وشتم لهم ، وقد جاء هذا الرد على طريقة العرب عندما يسمعون كلاماً يكرهونه أن يقولوا للناطق به بفيك الحجر ويقولون تربت يداك.

* الشأن الأتم :

وهو الوصف الأعلى كما سماه الزمخشري أي الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به.[3]

وفسره ابن عاشور بالشأن الأتم كما في قوله تعالى : (وهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).(الروم الآية 27)

أي ثبت له واستحق الشأن الأتم الذي لا يقاس بشئون الناس المتعارفة.

---

[1] - ابن عاشور- التحرير والتنوير – ص 77

[2] - المرجع نفسه ص 186

[3] - الزمخشري- تفسير الكشاف ج3 ص 202

* الصفة العجيبة :

مثل قوله تعالى : (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ).(هود بعض الآية 24)

فالمثل هنا بمعنى الصفة أي صفة الفريقين المؤمنين والكافرين فالأعمى والأصم صفة الكافرين والبصير والسميع صفة المؤمنين أي حال الفريقين المشركين والمؤمنين تشبه حال الأعمى والأصم من جهة وحال السميع والبصير من جهة أخرى.[1]

* الحديث العجيب الشأن :

مثل قوله تعالى : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ).(الزخرف الآية 56)

يجوز هنا بأن يكون المثل بمعنى الحديث العجيب الشأن الذي يسير بين الناس مسير الأمثال ، أي جعلناهم للآخرين حديثاً يتحدثون به ويعظهم به محدثهم[2] وهو في معنى قوله تعالى : (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ).(المؤمنون بعض الآية 44)

أي صيرناهم أحدوثات يتحدث الناس بما أصابهم ، وإنما يتحدث الناس بالشيء الغريب النادر مثله والأحاديث هنا جمع أحدوثة ، وهي اسم يتلهى الناس بالحديث عنه ووزنه الأفعولة يدل على ذلك مثل الأعجوبة والأسطورة.

* الممثل به والمشبه به :

وذلك في قوله تعالى : (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ).(الزخرف الآيتان 57،58)

اختلف المفسرون في سبب نزولها – ولأن معرفة سبب النزول تفسر لنا معنى المثل المراد فيرجح ابن عاشور ما يرى أن أكثر المفسرين جرى عليه هو أن سبب نزولها بالإشارة إلى ما تقدم قال تعالى : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ).(الأنبياء بعض الآية 78)

[1] - ابن عاشور التحرير والتنوير ص 40

[2] - المرجع نفسه- ص 235

إذ قال عبد الله بن الزبعري قبل إسلامه للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو لكم وللآلهتكم ولجميع الأمم قال : خصمتك ورب الكعبة ، ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وقد عبدته النصارى ، فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه ففرح بكلامه من حضر من المشركين وضج أهل مكة بذلك فأنزل الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ).(الأنبياء الآية 101)

فنزلت هذه الآية تشير إلى لجاجتهم.

ويعلل بن عاشور لمجئ فعل الضرب بالبناء للمجهول بأنه يتلائم وما يزيده بعض المفسرين في رواية كلام بن الزبعري بقوله : وقد عبدت بنومليح الملائكة فإن كان عيسى من الملائكة في النار فقد رضينا بالذي جعل عيسى مثلاً لمجادلته وهو الزبعري وليس من عادة القرآن تسمية أمثاله فمعنى المثل هنا الممثل به والمشبه به.

* القصة :

كما في قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنْ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ).(النور الآية 34)

فالمراد بالمثل في الآية (القصة العجيبة) وقد نص علي ذلك أكثر المفسرين والمعنى : قصة عجيبة من قصص الذين من قبلكم وهي قصة الإفك المتقدمة في الصورة فإنها كقصة يوسف ومريم وغيرهم في الابتلاء.[1]

* العبرة :

كما في قوله تعالى : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ).(الزخرف الآية 56)

أي جعلناهم عبرة للآخرين.

[1] - الخفاجي أبوعبدالله بن محمد بن عبدالله بن سعيد بن سنان- حاشية الشهاب- دار الكتب العلمية بيروت – ص 51

* التشبيه والتمثيل :

وذلك في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ).(الحج الآية 73)

لقد جاء فعل الضرب في القرآن على صيغ عديدة أسند في بعضها ضرب المثل إلى الله ، وأسند في بعضها إلى المشركين ، ولكن الفعل هنا بني بصيغة المبني للمجهول فلم يذكر له فاعل لأنّ المقصود هنا نسج التركيب على إيجاز صالح لإفادة أحد الاحتمالين:

أحدهما : أن يقدر الفاعل الله تعالى ، وأن يكون المثل تشبيهاً تمثيلاً ، أي أوضح الله تمثيلاً يوضح حال الأصنام في فرط العجز عن إيجاد أضعف المخلوقات كما هو مشاهد لكل أحد.

والاحتمال الثاني الذي فسر بأنّ ضرب المثل في الآية يصلح أن يكون معنى مستقل من المعاني التي يفسر بها لفظ المثل.[1]

[1] - ابن عاشور التحرير والتنوير – ص 63

ضرب المثل في القرآن الكريم :

(ضرب المثل) من التراكيب التي فسرت في كتب العلم بمعان كثيرة ، ذلك أن لفظ(الضرب) نفسه من الألفاظ التي استعملت في معان مختلفة ، وذكروا له في المعاجم معان كثيرة وقد جاء في القرآن مضافاً إلى ألفاظ عدة : منها قوله تعالى : (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ).(الأنفال بعض الآية 12) وقوله تعالى : (إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا).(النساء بعض الآية 94) ومنه (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ الصَّلاةِ).(النساء الآية 101) وقوله عز وجل : (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً).(الكهف الآية 11) وقوله جل شأنه : (أَفَنَضْرِبُ عَنكُمْ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ).(الزخرف الآية 5) وقوله سبحانه وتعالى : (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ).(الرعد بعض الآية 17) وقوله جل شأنه : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ).(النور بعض الآية 31) وقوله تعالى : (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً).(طه بعض الآية 77) وقوله تعالى : (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ).(البقرة بعض الآية 61)

ومن الألفاظ التي كثرت إضافة لفظ (الضرب) إليها لفظ (المثل) وقد جاء في القرآن الكريم كثيراً ، وذكرت له معان عدة في كتب التفسير ، جمع منها بعض الباحثين ما يزيد على عشرة معان منها : التبيين ، التمثيل ، الجعل ، الوصف ، الذكر ، الوضع الاحتمال ، الاتخاذ والإيراد،فابن عباس رضي الله عنه فسر (ضرب المثل) : بالتبيين والوصف والتمثيل ، والطبري يذكر من معانيه الجعل والذكر والوصف والتمثيل[1] ، ففي تفسير قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ).(الحج بعض الآية 73)

أي يا أيها الناس جعل الله مثل وذكر ، ومعنى ضرب في هذا الموضع (جعل) من قولهم ضرب السلطان على الناس البعث بمعنى جعل عليهم ، وضرب الجزية على النصارى بمعنى جعل ذلك عليهم، وفي موضع آخر كقوله تعالى : (أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً).(البقرة بعض الآية 26) فهو يبين ويوصف.

[1] - ابن عاشور – التحرير والتنوير – ص 64

كما قال جلّ ثناؤه : (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ).(الروم بعض الآية 28)

بمعنى وصف لكم.[1]

ويفسر التمثيل في قوله تعالى : (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ).(الرعد بعض الآية 17)

المعنى كذلك يمثل الله الحق والباطل.

ويفسر الزمخشري ضرب المثل باعتماده وصنعه ووضعه وتمثيله ، فيقول : وضرب المثل اعتماده وصنعه ، من ضرب اللّبِن وضرب الخاتم وفي الحديث الشريف اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب.[2]

ويفسر الزمخشري ضرب المثل باعتماده وصنعه كما في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ). (إبراهيم الآية 24)

حيث يقول ضرب الله مثلاً اعتمده ووضعه، وكلمة طيبة نصب بمضمر ، أي جعل كلمة طيبة.

أمّا الفخر الرازي فإنه يتقدم خطوة على من سبقه فيحاول أن يربط بين المعنى اللغوي للضرب والاستعمال الاصطلاحي لضرب المثل فيقول : "ما معنى قول القائل : ضرب مثلاً ؟ وقوله تعالى : (واضرب) مع إن الضرب في اللغة إما إمساس جسم لجسم آخر بعنف ، وإما السير إذا قرن به حرف في قوله تعالى:(وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ).(النساء بعض الآية 101)

فتقول قوله ضرب مثلاً ، معناه مثل مثلاً وذلك لأن الضرب اسماً للنوع يقال هذه الأشياء من ضرب واحد ، أي أجعل هذا وذاك من ضرب واحد ".[3]

ويفسر البيضاوي ضرب المثل : باعتماله ، من ضرب الخاتم ، وأصله وقوع شيء على آخر[4]، ويشرح الشهاب معنى اعتماله أي عمله واختراعه من عند نفسه لا بمعنى التكلم

---

[1] - الطبرى محمد بن جرير يزيد بن غالب –جامع البيان في تأويل القرآن – تحقيق أحمد محمد شاكر ط2 1420ه ص 215

[2] - الزمخشري - الكشاف – ص 114

[3] - الرازي أبوعبدالله محمد بن عمر الحسن بن الحسين – مفاتيح الغيب – بيروت – ط3 1424ه ج1 ص 51

[4] - البيضاوي ناصرالدين عبدالله بن عمر بن محمد – تفسير البيضاوي – تحقيق عبدالرازق المهدي – ط1 1417ه ج2– ص 132

به مطلقاً كما يقول من يورد مثلاً في كلامه ، والاعتمال مبالغة في العمل ، فإن صيغة الافتعال ترد كثيراً لذلك ، ولما كان المخترع للمثل أتى بأمر بديع شبه بمن يجتهد في الصناعة ويتأنق فيها ، وينقل الشهاب قولاً يجعل تفسير ضرب المثل بالاعتمال غير سديد ، والصواب هو اعتماده بالدال كما جاء في الكشاف ، إلا أن الشهاب لا يؤيد هذا القول.[1]

ويذكر الشهاب أن تعريف البيضاوي للضرب بأنه إيقاع شيء على شيء ، أما تركيب (ضرب المثل) فهو من ضرب الدراهم ، وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره وهو مجاز متفرع على مجاز آخر ملح بالحقيقة لاشتهاره أو هو حقيقة عرفية.[2]

ويذكر البيضاوي من معاني (ضرب المثل) التبيين والجعل ، وذلك في تفسير قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ ***). (الحج بعض الآية 73)

أي بين لكم حال مستغربة أو قصة رائعة ، ولذلك سماه مثلاً أو جعل لله مثلاً في استحقاق العبادة.[3]

ويفسر أبو حيان ضرب المثل (بالتبيين والجعل) وذلك في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ)(الحج بعض الآية 73) حيث يقول وضرب مبنى للمجهول والظاهر أن ضارب المثل هو الله تعالى ضرب مثلاً لما يعبد من دونه أي بين شبهاً لكم لمعبودكم ، وقيل ضارب المثل هم الكفار جعلوا لله مثلاً بأصنامهم وأوثانهم[4] وكان أبو السعود العمادي أكثر دقة في محاولته إيجاد العلاقة بين المثل والضرب ، والكشف عن معنى هذا التركيب ، فضرب المثل عنده استعماله في مضربه وتطبيقه به ، لا صنعه وإنشائه ، وإلا لكان إنشاء الأمثال السائرة في مواردها ضرباً لها دون استعمالها بعد ذلك

---

[1] - الخفاجي - حاشية الشهاب – ص 131
[2] - المرجع نفسه ص 132
[3] - البيضاوي - تفسير البيضاوي تحقيق عبدالرازق المهدي –بيروت ط1 1417ه ج2 ص 346
[4] - الخفاجي - حاشية الشهاب – ص 46

في مضاربها عين إنشائها في أنفسها ، إلا أن التعبير لضربها ليس بهذا الاعتبار بل بالاعتبار الأول وهو استعمالها وتطبيقها.[1]

و(ضرب المثل) كما يذكر ابو السعود له استعمالان : يستعمل تارةً في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ).(التحريم بعض الآية 10)

والاستعمال الآخر لضرب المثل يكون بذكر حالة غريبة ، وبيانها للناس من غير قصد إلى تطبيقها بنظيره لها ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (وَضَرَبْنَا لَكُمْ الأَمْثَالَ).(إبراهيم بعض الآية 45)

وعلى كلا الاستعمالين يمكن أن يحمل قوله تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ).(يس الآية 13)

فالمعنى على الأول : أي أجعل أصحاب القرية مثلاً لهؤلاء في الغلو في الكفر والإصرار على تكذيب الرسل.

الاستعمال الثاني : يكون المعنى أي أذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل.[2]

لقد عنى ابن عاشور بتحقيق معنى الضرب أي (ضرب المثل) ففسره بأقوال ومعاني كثيرة حسب ما ورد في الآية ومن ذلك :

* الوضع والجعل :

كما في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا).(البقرة بعض الآية 26)

فالضرب هنا من قبيل المجاز بمعنى الوضع والجعل وذلك مثل ما هو وارد في الشاهد الشعري في قول الفرزدق[2] :

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا **** وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الكِتَابُ المُنْزَلِ

---

[1] - أبو السعودمحمد بن محمد العمادي – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – بيروت – ط4 1414ه ج1 ص 72

[2] - أبو السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - ص 161

2- الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة – ديوان الفرزدق – تحقيق علي فاعور – بيروت ط1 1407هـ - ص 71

* الجعل : وذلك في قوله تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ). (النحل الآية 112)

فالضرب هنا بمعنى الجعل.

* الجعل والصنع :

كما في قوله جل شأنه :(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ). (الزخرف الآية 17)

فالضرب هنا بمعنى الجعل والصنع.

* نظم التركيب :

ذلك كما في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَكَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)(إبراهيم الآية 24)

فالمراد بالضرب في هذه الآية نظم التركيب الدال على تشبيه الحال الغريبة .

* البيان والتشبيه والتمثيل :

كما في قوله عز وجل : (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ).(الرعد بعض الآية 17)

فهذه الجملة تبين الغرض من المثل الذي ضرب في الآية ، ومعنى يضرب الله الحق والباطل أي يبين ويمثل.

* وضع الشيء وتثبيته :

ذكر هذا في تفسير معنى الضرب كما في قوله تعالى : (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً)(الإسراء الآية 48)

فالضرب هنا بمعنى الوضع والتثبيت أي وضعوا وثبتوا لك الأمثال.

* الذكر والبيان :

كما في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)(الحج الآية 73) وضرب المثل هنا ذكره وبيانه ، واستعير الضرب بالقول والذكر تشبيهاً بوضع الشيء بشدة ، أي ألقيّ إليكم مثلاً. [1]

[1] - ابن عاشور – التحرير والتنوير – ص 98

* الذكر والوصف :

ذلك كما في قوله تعالى : (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).(الزمر الآية 27)

* القول والإيجاد :

كما في قوله تعالى : (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً).(الزخرف بعض الآية 28)

فالضرب بمعنى الإيجاد.

* الإلقاء والتبيين والإيضاح :

وهما من معاني ضرب المثل ومن مثاله قوله تعالى : (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ).(محمد بعض الآية 3)

أي مثل ذلك للتبيين والإيضاح بين الحالين ، فيبين الله الأحوال للناس بياناً واضحاً. [1]

[1] - الزمخشري - تفسير الكشاف – ص 113

نوع المثل في القرآن الكريم :

لقد قدّم علماء البيان صورة متكاملة لكل ما أحاط بكلمة (مثل) من دلالات وتطورات ، وتتبعوا منهجاً علمياً دقيقاً يتيح لقارئه الوقوف على أسرار الكلمة ودلالاتها وما طرأ عليها من تطورات في كتب أهل العلم ، استكمالاً لهذا الحديث حول استعمالات هذه الكلمة إن علماء البيان اقتبسوا من لفظ (مثل) ثلاثة مصطلحات هي ما يمكن أن تكون أنواع المثل :

* التشبيه التمثيلي :

فالتشبيه التمثيلي هو التشبيه المركب وقد اقتبس من لفظ المثل.

* الاستعارة التمثيلية وصورتها هي استعمال المركب الدال على هيئة منتزعة من متعدد في غير ما وضع له بعلاقة المشابهة.

* الأمثال السائرة :

ومن خصائصها أنها أصبحت لوناً أدبياً كتب له الشيوع وسار بين الناس منذ وقت مبكر ، فأمثال العرب باب من أبواب بلاغتهم وقد خصت بالتأليف.[1]

ولكن ما حقيقة تسمية هذه الأقوال بالأمثال السائرة ، فالإجابة : إن هذا التساؤل بالربط بين اطلاق لفظ المثل على الحالة الغريبة تسمية هذه الأقوال السائرة بالأمثال فلفظ المثل اختص بإطلاقه على الحال الغريبة الشأن ، فالظاهر إن إطلاق المثل على البديع السائر بين الناس الصادر من قائله في حالة عجيبة هو إطلاق مركب على إطلاق اسم المثل على الحالة الغريبة.[2]

والذي يفهم من هذا الكلام أن إطلاق لفظ المثل على الحالة الغريبة أصبح حقيقة عرفية يترتب عليها إطلاق لفظ المثل على الأقوال السائرة أو لنقل إطلاق لفظ المثل في الدلالة على هذه الأقوال السائرة فهذا الكلام يخالف ما شاع عند المفسرين والبلاغيين فيخالف ما قرره الزمخشرى في تعليل هذه التسمية حيث يقول : المثل في أصل كلامهم

[1] -ابن عاشور - التحرير والتنوير – ج1 ص 304

[2] - المرجع نفسه ص 203

بمعنى النظير يقال : مَثل ومِثل ومثيل كشبه وشِبه وشبيه ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل : ولم يضربوا مثلاً ولا ردوه أهلاً بالتسيير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه[1] وعلى هذا فإطلاق لفظ المثل على القول السائر عنده ليس مرتباً على إطلاق لفظ المثل علي الحالة الغريبة ، لأن إطلاق لفظ المثل على الحالة الغريبة يعد عند الزمخشرى من قبيل الاستعارة كما في قوله بعد كلامه السابق فإن قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ، وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد ناراً حتى شبه أحد المثلين بصاحبه.[2] إن اطلاق لفظ المثل على القول السائر منقول عن المعنى الأصلي إلى معنى آخر عرفي ، فدلالة لفظ مثل على الأمثال السائرة دلالة عرفية ، يتفرع عنها معنى ثالث مجازي ، يقول الجرجاني : معلقاً على قول الزمخشري السابق ، ثم قيل للقول السائر : أي ثم نقل من معناه اللغوي إلي معنى آخر عرفي يتفرع عليه معنى ثالث مجازي.[3]

وهذا التفسير هو ما اشتهر عند كثير من المفسرين ، يقول الإمام البيضاوي أن للمثل مفهوماً لغوياً وهو النظير والشبيه ثم نقل منه إلى معنى عرفي وهو القول السائر وكان لفظ المثل مستعملاً في موضع لا يصح أن يحمل فيه على أحد هذين المعنيين كما في قوله تعالى : (مَثَلُ الجَنّةُ).(النحل بعض الآية 60) وقوله تعالى : (المَثَلُ الأعْلَى) يحتاج إلى بيان استعماله في معان أخرى متشابهه لمعناه العرفي من حيث كونها مشتملة على شأن وغرابة ، فيكون لفظ المثل في تلك المعاني استعارة تصريحية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع.[4]

ويقول الشهاب الخفاجي المراد بالقول السائر الشائع المشهور على الألسنة ، وهو مجاز مشهور فيه صار كالحقيقة كقطع المسافة الذي يشبه بتداول الألسنة وتنقل الأمكنة

---

[1] - الزمخشري – تفسير الكشاف ج1 ص 72

[2] - المرجع نفسه– ص 73

[3] -السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحسيني - حاشية السيد الشريف علي الكشاف ، ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، مطبعة مصطفي الحلبي وأولاده ، د ت ط ج1 ص 195

[4] -البيضاوي – تفسير البيضاوي ج1 ص 154

فالمثل ليس كلاماً عاماً مرسلاً من عامة كلام الناس بل هو قول من أقوال فحول البلاغة فلذلك وصف بالغرابة.

ويعرف ابن عاشور المثل بما شاع عند غيره من العلماء بأنه القول الذي شبه مضربه بمورده ، ويفسر هذا بأن تحصل حالة لها شبه بالحالة التي صدر فيها ذلك القول ، فيستحضر المتكلم تلك الحالة وشبه بها الحالة التي عرضت وينطبق بالقول الذي كان صدر في أثناء الحالة المشبه بها ويذكر السامع بتلك الحالة ، وبأن حال اليوم شبيهة بها ويجعل علامة ذكر القول الذي قيل في تلك الحالة.[1]

جعل الزمخشري سبب منع الأمثال من التغيير ما فيها من الغرابة ، فتردد شراحه من الغرابة فقال الطيب : الغرابة غموض الكلام وندرته ، وذلك إما يكون بحسب المعنى ، وإما يكون بحسب اللفظ ، أما الأول فكأن يرى أثر التناقض نحو قول الحكم بن عبد يغوث ، رب رمية من غير رام وقوله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)سورة البقرة – بعض الآية 179. إذ جعل القتل حياة.

وأما الثاني : بأن يكون فيه حذف إضمار نحو رمية من غير رام أو فيه مشاكلة نحو كما تدين تدان ، أراد كما تفعل تجزى،ويقول الآلولسي : إن أمثال القرآن لا يصح تسميتها بما تفسر به الأمثال السائرة فيقول بعض أن يعرف المثل وتفسيره بالقول السائر الممثل مضربه من مورده ترد عليه أمثال القرآن لأن الله تعالى بدأها وليس لها مورد من قبل ، اللهم إلا أن يقال إن هذا الكلام اصطلاح جديد أو أن الأغلب في المثل ذلك.[2]

[1] - ابن عاشور - التحرير والتنوير – ج1 ص 307

[2] -الألوسي شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني - روح المعاني تحقيق عبدالباري عطيه بيروت ط1 1415ه ج1 ص 264

المبحث الثالث : بين الحقيقة والتشبيه

التشبيه كما ذكرت سابقاً في اللغة هو التمثيل وهو مشتق من مادة شبه و" الشبه والشِبه والشبيه" :المثل والجمع أشباه تقول أشبه الشيء بمعنى ماثله.[1]

أمّا في الاصطلاح : هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى ، فالأمر الأول هو المشبه والأمر الثاني المشبه به وهما طرفا التشبيه والمعنى المشترك بينهما هو وجه الشبه ولابد من شيء يدل على التشبيه وهو أداة التشبيه ، وأدوات التشبيه أسماء وأفعال وحروف.

أمّا الحقيقة فهي" استعمال اللفظ فيما وضع له ، والحقيقة في الأصل فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء إذا ثبت أو بمعنى مفعول من حققت الشيء إذا أثبته ثم نقله إلى الكلمة الثانية المثبتة" ، والحقيقة في الاصطلاح هي "الكلمة المستعملة في أي معنى وضعت له تلك الكلمة في اصطلاح به التخاطب" ، وعرف السكاكي الحقيقة اللغوية "بالكلمة المستعملة فيما وضعت له من غير تأويل في الوضع".[2]

وهنالك العديد من الأوجه التي حملت الكلام على وجه الحقيقة والتشبيه في القرآن الكريم وسوف نذكر نماذج ذلك في أكثر من آية في القرآن الكريم.

إمكانات السياق واستنباط الأحكام :

عندما تكون إمكانات السياق محتملة الترديد بين الحقيقة والتشبيه يتخذ العلماء مواقف يؤولون بها الكلام على نصوص تفسيرية أحياناً ، وأحياناً على أحكام واستنتاجات عقلية يحتملها السياق أو تستفاد من دلالات التركيب،وعندما يكون الكلام محمولاً على التشبيه والحقيقة يرجح المفسرون أحد الأوجه في تفسير الآيات وتأويلها مع انحيازهم إلى ما يرونهم أولى بتفسير الكلام قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ

[1] - الفراهيدي : عبد الرحمن الخليل بن احمد – كتاب العين – تحقيق الدكتور مهدي المخزومي – دار مكتبة الهلال ص 23
[2] - الجزري : ابن الأثير – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ص 53

وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). (المائدة الآية 51)

فموضع الاستشكال في فهمهم لقوله تعالى : (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) في ظاهر الآية إن كل من يتولى اليهود والنصارى أدنى نوع من الموالاة فإنّه يصير واحداً منهم وهذا ما يقتضيه ظاهر الشرط المستفاد من الترتيب ، ويعرض ابن عاشور الاستشكال فيقول : وقوله (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) ، (من) شرطية تقتضي أن الكلام من يتولاهم يصير واحداً منهم ، أي جعل ولايتهم موجبة بأن يكون المتولى منهم ، وهذا يقتضي أن ولايتهم الدخول في ملتهم لأن معنى البعضية هنا لا يستقيم إلا بالكون في دينهم ، وقد تأول الآية المفسرون بأحد تأويلين أولهما : تأويل على الحقيقة ، وذلك بحمل الولاية الكاملة التي هي الرضا بدينهم والطعن في دين الإسلام ، ويقول ابن عطية في هذا المعنى ومن تولاهم بمعتقده ودينه فهو منهم في الكفر والخلود في النار.

والتأويل الثاني : على التشبيه البليغ ، أي فهو كواحد منهم في استحقاق العذاب.

وخرج ابن عاشور بتأويلين في قوله (فإنه منهم) : أحدهما إن كانت الولاية المقصودة ولاية كاملة في المعتقد والأفعال فهو حينئذ منهم حقيقة في الكفر والخلود في النار والثاني : إن كانت الولاية دون ذلك من غير اعتقاد فالكلام على التشبيه بواحد منهم ووجه الشبه حينئذ استحقاق العذاب ، ومن تولاهم في المعتقد فهو منهم في الكفر والإجمال في قوله تعالى : (فإنه منهم) جاء لغاية سامية مقصودة وهي المبالغة في التحذير من موالاتهم . فكلما كان المسلمون أضعف كان النكير على من يوالي أعداءهم أشد ، ففي الأوقات العصيبة الحرجة تكون الموالاة على الصورة المذكورة نوعاً من التخزيل والانهزام على الأمة المسلمة.[1]

[1] - ابن عاشور التحرير والتنوير ص 13

ومما جاء تأويله علي الحقيقة والتشبيه قوله تعالى : (وكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ***).(البقرة بعض الآية 187)

مما يعين على فهم الآية معرفة ما جاء في قصة نزولها ، وفهم الصحابة رضوان الله عليهم لمعنى (الخيط) فنورد ما صح في ذلك مما رواه البخاري ومسلم وفي ذلك روايتان إحداهما عن عدي بن حاتم والثانية عن سهل بن سعد فعن عدي بن حاتم قال لما نزلت (حتّى يتبين لكم الخيط الأبيض من الأسود) عمدت على عقال أسود وأبيض وجعلتهما تحت وسادتي وجعلت أنظر في الليل ولم يتبين لي الأبيض من الأسود ، فغدوت رسول الله وذكرت له ذلك فقال رسول الله : إنّ وسادك لعريض.[1]

وفي رواية إنّك لعريض القفا ، إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار.

ورواية سهل قال : نزلت (كلوا واشربوا حتّى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ولم ينزل(من الفجر) فكان الرجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والأسود ، ولم يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله تعالى (من الفجر).[2]

والرأي الراجح في تأويل الآية وعليه عامة المفسرين أنّه شبّه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود وقوله من الفجر أخرج الكلام من الاستعارة والتشبيه، هذا وما عليه أغلب المفسرين المشهورين وإن كان هنالك من خالفهم فعبد القاهر أورد الآية بدون قوله من الفجر مثالاً على الاستعارة التي يسقط ذكر المشبه فيها حتي لا يعلم مع ظاهر الحال أنك أردته ، فحقيقة لفظ الخيط عند عبد القاهر هو الشعاع الممتد في الظلام الذي يشبه الخيط الأبيض والأسود.[3]

أمّا الرضي فيذكر الآية بتمام قوله من الفجر ثم يقول :" فهذه استعارة عجيبة ، والمراد بها على أحد التأويلات : حتّى تبين بياض الصبح من سواد الليل ، والخيطان هنا مجاز

---

[1] - العسقلاني أحمد بن علي بن حجر – شرح صحيح البخاري – كتاب الصوم الجزء الرابع – دار الحديث – القاهرة ط852ه – ص156رقم الحديث 1824

[2] - المرجع نفسه – ص157، رقم الحديث 1784

[3] - عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة – ص 320

وأنهما شبها بذلك لأن خيط الصبح يكون في أول طلوعه مسترقاً خافياً ، ويكون سواد الليل منقضياً موليا ، فهما جميعاً ضعيفان إلاّ أنّ هذا يزداد انتشاراً وهذا يزداد استتاراً."[1]

عود الضمير وقطعه :

لا بد للضمير من أمر ظاهر أو مقدر يعود إليه من ذلك إن بعض الكلام قد يأتي على صورة يجوز حمله فيها على الحقيقة أو التشبيه ، وقد تكلم ابن الأثير على ما نحن بسبيله من عود الضمير أو قطعه وإنْ كان يتكلم على التشبيه والاستعارة إلا أنّ كلامه يصلح أن يستشهد به هنا لما لا يخفى من الشبه بين المسألتين ، وقوله أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة والتشبيه المضمر الأداة معاً باختلاف القرينة كما جاء في قول البحتري.[2] :

إِذَا أَسْفَرَتْ أَضَاءَتْ شَمْسَ دُجْنٍ *** وَمَالَتْ فِي التَعَطُّفِ غُصْنَ بَانٍ

فلما قال شمس دجن بنصب الشمس كان ذلك محمولاً على الضمير في قوله أضاءت ، كأنه قال أضاءت هي ، وهذا تشبيه ويجوز حمله على الاستعارة بأن يقال أضاءت شمس دجن برفع الشمس فلا يعود الضمير ويكون الكلام مرتجلاً.[3]

ومن الأمثلة التي أشكل فيها معرفة عود الضمير فكان ذلك سبباً لترديد الكلام بين الحقيقة والتشبيه ، قوله تعالى : (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ).(الشعراء الآيات 57– 60)

فيجوز ابن عاشور في عود الضمير في (أورثناها) أربعة أوجه كلها على الحقيقة إلا وجهاً حمله على التشبيه ، وفي هذا دلالة على استقصائه لأوجه المعاني المحتملة في تفسير كلام الله ومن الأوجه :

---

[1] - الرضي :الشريف الرضي – تلخيص البيان في مجازات القرآن – تحقيق محمد عبدالغني – القاهرة - ط 1955م – ص 120

[2] - البحتري أبوعبادة الوليد بن عبيد بن يحيى - ديوان البحتري – بيروت - ط 1403هـ ، 1983م – ص 242

[3] - ابن الأثير – المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ص 77 ، 78

* ضمير أورثناها عائد للأشياء المعدودة في عدها أسماء الجنس ، أي أورثنا بني إسرائيل جنات وعيون وكنوز.

* أن يكون نصب الضمير لفعل أورثنا على معنى التشبيه البليغ أي أورثنا أمثالها.

* أن يكون الضمير عائد إلى خصوص الكنوز.

* الوجه الأخير هو أن تكون جملة(فأخرجناهم من جنات وعيون) إلى قوله (وأوثناها) حكاية لكلام من الله معترض بين كلام فرعون ، وضمير فأخرجناهم عائد إلى قوم فرعون.[1]

تعيين المشار إليه :

ويكون في تعيين المشار إليه في بعض أساليب الذكر الحكيم ، لأن اسم الإشارة يحتمل التوجه إلى أكثر من مشار ، فكأنّ أحد التفسيرين حقيقة والآخر تشبيه ، وذلك كما في قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).(آل عمران الآيات 173– 175)

فاسم الإشارة في قوله تعالى : (ذلكم الشيطان) إما أن يكون عائداً إلى المقال (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) فيكون لفظ الشيطان مستعملاً في معناه الحقيقي وإما أن يكون عائداً إلى (الناس) فيكون لفظ الشيطان مستعملاً على طريقة التشبيه البليغ لأن لفظ (الناس) هنا مؤول لشخص معين شبه بالشيطان ، واستعمال لفظ الناس مراد به واحداً أو نحوه.

وقال بعض المفسرين لأهل العربية إن لفظ الناس هنا أطلق على نعيم بن مسعود وأبي سفيان ، وجعلوه شاهداً على استعمال الناس بالمعنى الواحد ، وإطلاق لفظ الناس

[1] - ابن جماعة أبوعبدالله بن محمد بن إبراهيم بن سعدالدين الحموي- كشاف المعاني في المتشابه المثاني ، بيروت د ت ط – ص 286

مستعمل لقصد الإبهام ، ومنه قوله تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ).(النساء بعض الآية 54)

قال المفسرون يعني بالناس محمداً صلى الله عليه وسلم.

وفي عود اسم الإشارة وما يترتب عليه من تردد الكلام بين التشبيه والحقيقة في قوله (ذلكم) إما عائد إلى المقال ولفظ الشيطان يكون مبتدأ ثان ، ولفظه مستعمل في معناه الحقيقي والمعنى أنّ ذلك المقال ناشئ عن وسوسة الشيطان في نفوس الذين يدبرون المكايد لتخويف المسلمين.

وإمّا أن تعود الإشارة إلى (الناس) من قوله : (قال لهم الناس) لأن الناس مؤول بشخص.

ومن المواضع التي أشكل فيها في عود اسم الإشارة وتعيين المشار إليه وتردد الكلام بين التشبيه والحقيقة ذالك في قوله تعالى : (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ).(هود الآية 78)

فقوله : (هؤلاء) إشارة إلى جمع ، والمشار إليه قوله : (بناتي) وقد روي أن لوطاً عليه السلام ليس له إلا بنتان ، ففي تفسير الآية تأويلين أحدهما : يحمل الكلام على الحقيقة والآخر يجعله من قبيل التشبيه البليغ ، فالظاهر إن إطلاق البنات هنا من قبيل التشبيه البليغ ، أي هؤلاء كبناتي أو أراد نساءً من قومه بعدد القوم الذين جاؤوا يهرعون إليه وهذا معنى ما فسر به قتادة وهو المناسب بجعلهن لقومه إذ قال : (هن أطهر لكم) فإن قومه الذين حضروا كثيرون فيكون المعنى : هؤلاء النساء فتزوجوهن هو أحسن لكم.[1]

[1] - الزمخشري – تفسير الكشاف ص120

والتأويل الثاني : حمل الكلام على الحقيقة فيكون المراد أنهن بنات صلبه ، وهو رواية عن قتادة فيكون الجمع هنا مستعملاً في الاثنين – أي البنتين بناءً على أن الاثنين تعامل معاملة الجمع في الكلام.[1]

الإخبار بين الحقيقة والتشبيه :

من المواضع التي يشكل معها حمل الكلام على الحقيقة والتشبيه الإخبار عن المبتدأ بما يحتاج إلى تأويل عند حمله على الحقيقة ، فيكون حمله على التشبيه مناسباً ويكون ذلك مثلاً بسبب أن المبتدأ مفرد والخبر جمع ، أو أن يكون مؤنثاً والخبر من صفات المذكر ، أو أن يكون في إسناد الخبر إلى المبتدأ غرابة ، لأنه ليس من أوصافه فلا ينبغي أن يوصف به ففي قوله تعالى : (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ).(البقرة الآية 111) فالإشارة بقوله : (تلك) إلى المقوله السابقة وهي قولهم : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وهي أمنية واحدة كيف يخبر عنها بالجمع.

وقد وقف ابن عاشور هنا ليشير إلى أن هذا الإسناد بحاجة إلى تأويل ، إما بإجراء الكلام على الحقيقة أو حمله على التشبيه البليغ فيقول : (والإشارة بتلك إلى المقولة الصادرة منهم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى كما هو الظاهر فالإخبار عنها بصيغة الجمع إما لأنها كانت أمنية على واحد منهم صارت أماني كثيرة وإما إرادة كل أمانيهم كهذه ومعتادهم فيها فيكون من التشبيه البليغ).[2]

وجوز بعض العلماء أن يكون الإخبار في قوله تعالى : (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً * السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً).(المزمل الآيتان 17،18)

في قوله السماء منفطر به حقيقة أو أن يكون على طريقة التشبيه البليغ أي كالمنفطر به ، ولكن كيف توصف السماء وهي من الأسماء المؤنثة بمنفطر صيغة التذكير ، ذلك فإن العدول في الآية عن الاستعمال الشائع في الكلام الفصيح في إجراء السماء على

[1] - الزمخشري – تفسير الكشاف– ص 121

[2] -ابن عاشور- التحرير والتنوير – ص 55

التأنيث إلى التذكير لعله إيثاراً لتخفيف الوصف ، لأنه لما جيء به بصيغة (منفعل) بحرفي زيادة وهما الميم والنون كانت الكلمة معرضة للثقل إذا ألحق بها حرف زائد ثالث وهو هاء التأنيث فيحصل فيها ثقل يجنبها الكلام البالغ غاية الفصاحة ، فلم تستعمل على التذكير في قوله : (إذا السماء انفطرت) إذ ليس في الفعل إلا حرف مزيد واحد هو النون فجاءت بعدها تاء التأنيث.[1]

من الآيات التي جاء حملها على التشبيه والحقيقة قوله تعالى : (إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً).(الإنسان الآية 5)

فالإخبار في قوله كان مزاجها كافوراً قد يكون على التشبيه والحقيقة ، فإن اعتبرت المراد بالمزاج هنا الماء فالإخبار عنه بأنّه كافوراً من قبيل التشبيه أي في اللون أو ذكاء الرائحة فيكون المعنى إن الأبرار يشربون من كأس ماؤها كالكافور في اللون.[2]

[1] - الزمخشري - تفسير الكشاف – ص 232

[2] - ابن عاشور - التحرير والتنوير – ص 56

المبحث الرابع : بين الاستعارة والتشبيه

يفرق البلاغيون بين التشبيه والاستعارة في مواضع كثيرة فيرون أن ذكر المشبه والمشبه به معاً يجعل الأسلوب تشبيهاً قطعاً ، والاستعارة تعتمد على لفظ المستعار منه أو المستعار له في جملة الاستعارة ، فمتى ما ذكرا معاً فهو تشبيه.[1]

وفي قوله تعالى : (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ).(الأنبياء الآية 15)

من قبيل التشبيه البليغ ويعلل ذلك بأن المشبه الذي يظن بأنه غير موجود مذكور في الجملة وهو الضمير المنصوب في (جعلناهم) وفي ذكره مانع من تقوم حقيقة الاستعارة فحصل تشبيهان بليغان وليس باستعارتين مكنيتين ، لأن المشبه فيهما مانع من تقوم حقيقة الاستعارة.[2]

فالمشبه مذكور وهو الضمير المذكور في (وجعلناهم) والمشبه به مذكور أيضاً وهو المفعول الثاني في (حصيداً خامدين) كان هذا من قبيل التشبيه لا الاستعارة.

وعلى هذا فقد جاء التشبيه في الآية على إحدى صور التشبيه المعروفة وهي وقوع المشبه به في حكم الخبر مفعولاً ثانياً للفعل (جعل) وانتصب (حصيداً خامدين) على أن كليهما مفعول ثان مكرر لفعل الجعل كما يخبر عن المبتدأ بخبرين وأكثر ، فإن مفعولي جعل أصلهما المبتدأ والخبر ، وليس ثانيهما وصفاً لأولهما كما هو ظاهر.[3]

وخلاصة الكلام فإن التشبيه في الآية أن الكافرين شبهوا بزرع حصد أي بعد أن كان قائماً على سوقه ، كذلك شبهوا حين هلاكهم بالنار الخامدة ، فكان ذلك طرفا التشبيه مذكورين وهذا مانع أيضاً من أن تقوم استعارة.[4]

وهنالك فروق دقيقة جداً بين التشبيه والاستعارة وهي أن ذكر الطرفين المستعار له والمستعار منه يخرج الكلام من الاستعارة إلى التشبيه أمّا ذكرهما خارج جملة الاستعارة

---

[1] - ابن عاشور- التحرير والتنوير ج1 ص 314
[2] - المرجع نفسه – ص 320
[3] - الزمخشري – تفسيرالكشاف – ص 46
[4] - المرجع نفسه ص 47

فإنّه لا يمنع من تقوم حقيقة الاستعارة وذلك في تفسير قوله تعالى : (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ). (البقرة الآية 18)

فصم وبكم وعمى أخبار لمبتدأ محذوف وهو الضمير الذي يعود إلى المنافقين المذكورين في مطلع السياق ، وحذف الضمير هنا استعمال شائع عند العرب ، فالضمير هو المشبه والمشبه به (صم بكم عمى) والإخبار عنهم جاء على طريقة التشبيه البليغ وهي أحد طرقه وصوره المعروفة فلا استعارة هنا عند محققي أهل البيان[1] ويرى الزمخشري إن في الآية تشبيهاً بليغاً وليس استعارة لأن المستعار له مذكور وهما المنافقون ، ويفسر ابن عاشور كلام الزمخشري هذا بقوله : أي لأن الاستعارة تعتمد على لفظ المستعار له فمتى ذكرا معاً فهو تشبيه ، ويضيف إلى كلام الزمخشري قيداً جديداً لم يذكره الزمخشرى وهو قوله في جمله الاستعارة فليس ذكر المستعار منه أو المستعار له وحده يجعل الكلام تشبيهاً ، بل لا بد أن يكونا مذكورين في جملة التشبيه نفسها وإن لم يكونا مذكورين ذلك بأن يكون أحدهما مذكوراً في جملة التشبيه أو بعدها فإن ذلك لا يمنع من قيام الاستعارة ، ويؤكد البلاغيون أن لا بد أن يكون لفظ المستعار له خارج جملة الاستعارة مانعاً من الاستعارة لأنّ الاستعارة نفسها التي تقوم على تناسى التشبيه لا يغيب فيها المستعار له عن علم البليغ وهو ينشئ كلامه ولولا علمه بالمستعار له واستحضاره له في نفسه ذلك فلا يضر ذكر لفظ المستعار له في جملة غير الاستعارة لظهور أنه لولا العلم بالمستعار له في الكلام لما ظهرت الاستعارة[2] وقد اتفق البلاغيون في قول ابن العميد[3] :

قَامَتْ تَظَلّلنِّي مِنْ الشّمْسِ *** نَفْسٌ أعزُّ عليّ مِنْ نَفْسِي

قَامَتْ تَظَلّلنّي وَمِنْ عَجَبٍ *** شَمْسٌ تَظَلّلنّي مِنْ الشّمْسِ

---

[1] -ابن عاشور- التحرير والتنوير – ص 314

[2] - الزمخشري – تفسير الكشاف ص 315

[3]- ابن العميد أبوالفضل بن أبي عبدالله- ديوان ابن العميد – دار الكتب العلمية – بيروت – د ت ط – ص 53

على أن (شمس) في الشطر الثاني من البيت الثاني استعارة مع أن المستعار له مذكور قبل ذلك في البيت الأول فالذي يظلله (نفس) في الحقيقة وليس (شمس) وهو مستعار له مذكور بلفظه هنا ومذكور مرة ثانية مضمراً في قوله (قامت تظللني) في مطلع البيت الثاني.[1]

ولكن هذا الذكر لا يمنعهم كما يرى الجرجاني من عد الكلام استعارة ، لأنه ذكر خارج جملة الاستعارة حيث يقول : ولذلك اتفقوا على أن قول ابن العميد : (شمس) استعارة ، لم يمنعهم من ذلك ذكر المستعار له قبل في قوله : (نفس أعز) ، وضميرها في قوله (قامت تظللني)[2] ويرى الزمخشري في كلامه وهو أن لفظ المستعار له المذكور إذا لم يكن مقصوداً عند بناء التشبيه ، أي لم يكن عنصراً رئيسياً في بناء التشبيه فإنه لا يكون مانعاً من قيام الاستعارة.

تعريف الاستعارة :

الاستعارة مأخوذة من العارية واستعار طلب العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح العارية من خصائص المعار منه وذكر ابن رشيق الاستعارة وقال : "الاستعارة هي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها والناس مختلطة فيها منهم ما يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه ".

وعبد القاهر الجرجاني قد تردد فيها فجعلها(مجازاً عقلياً) تارةً و(مجازاً لغوياً)تارةً أخرى ، ونرى هذا الاضطراب عند الرازي الذي رأى أنها (مجاز لغوي) ، وعرفها الجاحظ بقوله : "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه" ، أما المظفر العلوى فقال عنها : "وكان عند القدماء يسمونها الأمثال فيقولون فلان كثير الأمثال ولقبها الاستعارة ألزم لأنه أعم والأمثال كلها تجري مجرى الاستعارة ".

وأشار إليها المبرد وقال : "إنّ العرب تستعير من بعض لبعض" ، وقد عرف ثعلب الاستعارة بقوله : "هو أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه " وقريب منها قول ابن

[1] - الجرجاني – أسرار البلاغة – ص 61
[2] - الزمخشري – تفسيرالكشاف ج1 – ص 78

المعتز : "إنّها استعارة الكلمة بشيء لم يعرف بها إلى شيء يعرف بها "، وعرّفها الرماني بقوله : "هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل".[1] ومن العلماء من يقول هي "ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه" ، وهذا يؤيد قول ابن جني : "إن لم تكن الاستعارة للمبالغة فهي للحقيقة " ، وقال ابن الأثير : الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع الإفصاح بالتشبيه وإظهاره وتجيء على اسم المشبه به وتجريه عليه ، وعرّفها ابن الإصبع المصري : "الاستعارة تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح للمبالغة في التشبيه " ، وقال ابن مالك : "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به مع سد طريق التشبيه" أما الحلبي فقال : هي "ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه به لفظاً وتقديراً."[2]

وقال القزويني : "الاستعارة هي ما كانت علاقة تشبيه معناه لما وضع له ، أي التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال أن اللفظ نقل من مسماه الأصلي فجعل اسماً له على سبيل الاستعارة للمبالغة في التشبيه".[3]

الفرق بين الاستعارة والتشبيه :

فإن كان لمشاركةٍ ، فإما أن يذكر المنقول أو المنقول إليه معاً إما أن يذكر المنقول إليه أولاً دون المنقول فإن ذكر المنقول والمنقول إليه معاً يكون ذلك تشبيهاً ، والتشبيه تشبيهان : تشبيه مظهر الأداة مثل زيد كالأسد ، وتشبيه مضمر الأداة مثل زيد أسد وهذا النوع الأخير قد خلطه قوم بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما فالفرق أن التشبيه المظهر الأداة فلا حاجة بنا به لأنه معلوم لكن نذكر التشبيه المضمر الأداة الذي وقع فيه الاختلاف حتى عد بعضهم أن الاستعارة هي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه ، فإذا ذكر المنقول

[1] - الرماني أبوالحسن علي بن عيسى– النكت في إعجاز القرآن – تحقيق محمد خلف الله أحمد – القاهرة - ج1ص 27
[2] - السكاكي – مفتاح العلوم - ج1ص 28
[3] - عبد القاهر الجرجاني – أسرار البلاغة – ص 44

والمنقول إليه على إنه تشبيه مضمر الأداة مثل زيد أسد أي كالأسد فأداة التشبيه فيه مضمرة فهذا بخلاف ما إذا ذكر المنقول إليه دون المنقول فإنه لا يحسن ظهورها أداة التشبيه ، ومتي ما أظهرت أزالت عن ذلك الكلام وما كان مصنفاً به من جنس فصاحة وبلاغة فهذا هو الاستعارة ، والفرق إذاً إنّ التشبيه المضمر الأداة يحسن إظهار أداة التشبيه ، والاستعارة لا تحسن ذلك فيها على هذا فإن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له الذي هو المنقول إليه ويكتفي بذكر المستعار وهو المنقول ، ومن الفرق بينهما أن التشبيه يكون له أداته كالكاف وكأن وما جرى مجراهما فما لم يظهر فيه أداة التشبيه لا يكون تشبيهاً وإنّما يكون استعارة.[1]

[1] - السكاكي - مفتاح العلوم ج1 ص 22

المبحث الأول : مفهوم الصورة الفنية

الصورة الفنية في اللغة والاصطلاح :

كانت مشكلة تحديد المصطلح ولا زالت تخلق تضارباً في إدراك المفاهيم الحقيقية للألفاظ ، ولعل من أهم المصطلحات التي شاع ذكرها في مجالات النقد والأدب الحديث والمعاصر مصطلح (الصورة) الذي برز لمفهومه النقدي في أوربا نهاية القرن التاسع عشر وغرة القرن العشرين.[1] يقول سيسيل داي لويس : "كلمة الصورة قد تم استخدامها خلال الخمسين سنة الماضية كقوة غامضة ".[2] وما لبث هذا المصطلح إلاّ أن ظهر في نقدنا الحديث أثر التواصل الحاصل بين الثقافتين العربية والغربية ، ولكن هذا لا يمنع من القول بأن العناية به تعود إلى بدايات التفكير النقدي العربي ، إذ أشير إليه عند النقاد العرب كما سيأتي بيانه.

ولا بأس أن نتعرض قبل ذلك لمفهوم (الصورة) في اللغة "الصورة في الشكل ، والجمع صُور وصِور وقد صوره فتصور وتصورت الشيء توهّمت صورته فتصور لي والتصاوير التماثيل".[3]

كما عرفها ابن الأثير قائلاً : "الصورة ترد على لسان العرب في ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته ، وعلى معنى صنعته يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته أو صنعته ".[4]

أمّا الشيخ عبد الله العلايلي يعرفها بقوله : "جمع صوروصورة الشئ شكله ".[5]

وعند أرسطو تقابل المادة ، وتقابل وجود الشيء وحقيقته ، والصورة هي المبادئ الأولية التي تشكل بها مادة المعرفة ، أو هي الشيء الذي تدركه النفس الباطنة والحس الظاهر لكن الحس الظاهر يدرك أولاً ثم يؤدي إلى النفس.[6]

---

[1] - الصورة الفنية في القرآن الكريم – أطروحة جامعية مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الأدب العربي سنة 1413هـ - 1995م – ص 2

[2] - سيسيل داي لويس الصورة الشعرية – تاريخ الطبع سنة 1974م – ص 4

[3] - ابن منظور – لسان العرب ج4 – ط1 بيروت 1997 م ص 85

[4] - ابن الأثير – المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر ص 86

[5] - االعلايلي الشيخ عبدالله العلايلي – الصحاح في اللغة والعلوم – دار الحضارة العربية بيروت – 1974 م – ص 744

[6]- سيسيل داي لويس – الصورة الشعرية – ص 6

وفي الكتاب العزيز قال تعالى : (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ). (الإنفطار الآيتان 7،8)

والصورة "المسألة أو الأمر يقال : هذا الأمر على ثلاث صور ، وصورة الشيء ماهيته المجردة وخياله الذهن والعقل".[1] ،" فالصورة بالضم جمع صور وتستعمل بمعنى النوع والصفة".[2] و الصورة هي" التمثال جمعها صور مثل غرفة وغرف ، وتصورت الشيء مثلته في صورته وشكله في الذهن ، وقد تطلق (الصورة) ويراد بها الصفة كقولهم صورة الأمر كذا أي صفته ، وصورة المسألة كذا أي صفتها."[3]

والصورة هي "خيال الشيء في الذهن والعقل وصورة الشيء ماهيته المجردة."[4]

أمّا مفهوم الصورة الأدبية فهي ما ترسمه لذهن المتلقي كلمات اللغة شعراً أو نثراً ومن ملامح الأفكار والأشياء والمشاهد والأحاسيس والأخيلة ، وتكون إما فكرة نقلية تقريرية ، ترسم معدلها الحقيقي في أخص خصائصه الواقعية ، وإما معادلاً فنياً جمالياً يوحي بالواقع ويؤمئ إليه بأشباهه من الرسوم واللوحات عند طريق الحشد الإيقاعي وسائر ضروب الإيماء البلاغي البديعي والسياقات التشكيلية والتقنيات الأسلوبية واللغوية المختلفة، وقبل أن تصبح الصورة أدبية وفنية ، على الفنان أن يمر بمرحلة (الإدراك الحسي) الذي يقصد به الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو وهو يعني الفهم أو التعقل بواسطة الحواس وذلك كإدراك ألوان الأشياء وأشكالها وأحجامها وأبعادها بواسطة البصر[5] وعن الإدراك الحسي ينشأ التصور الذي هو استحضار صور المدركات الحسية عند غيبتها عن الحواس من تصرف فيها بزيادة أو نقص أو تبديل.[6] والتصوير يخرج هذه الصورة في ثوب فني ، فالتصور إذاً هو العلاقة العلاقة بين الصورة والتصور وأداته الفكر فقط ، وأما التصوير فأداته الفكر واللسان

---

[1] - ابراهيم مصطفي – المعجم الوسيط – ج1 دار الدعوى اسطنبول – 1989م – ص 525

[2] - الفيروزبادي : الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب – القاموس المحيط – ج2 – ط2 – 1344هـ المطبعة الحسنية المصرية – ص 73

[3] - البيومي أحمد بن محمد بن علي – المصباح المنير – المكتبة المصرية – 1996م ص 182

[4] - ايميل يعقوب – وسام الحركة – قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية عربي – انجليزي – فرنسي – دار العلم للملايين – مؤسسة القاهرة للتأليف والترجمة ط1 فبراير 1987م – ص 247

[5] - عتيق :عبد العزيز عتيق – في النقد الأدبي – دار النهضة العربية بيروت – ط2 – 1972م – ص 68

[6] - المرجع نفسه ص 69

واللغة. [1] ولما كان لكل صورة جمال ظاهر وخفي وكان لزاماً على كل فنان أن يصنع تميزه في تصور الجمال الخفي وإدراكه حتى يتثنى له التميز والإبداع في التصوير.[2]

الصورة الفنية عند النقاد العرب القدامى :

مفهوم الصورة درس قديم انبرى له القدماء من النقاد العرب ، كل يدلي فيها بدلوه ويسهم بسهمه سواء ابعد الهدف أم قاربه ، إذ أشار هذا المصطلح إلى قضية اللفظ والمعنى وهي أقدم قضية رافقها كلام العرب[3] ويحدد الجاحظ موقفه من هذه القضية حين يورد مصطلح التصوير في سياق تعريفه للشعر يقول : "المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني ، إنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[4] ويظهر من خلال مقولة الجاحظ فصل بين اللفظ والمعنى والمعنى فالشأن في تصوره في السياق لأنّ المعنى قد يكون واحداً ولكنه في صور مختلفة ولعل حديثه عن السياق وأحكام النسج في العبارات ، وتخيل اللفظ والأوزان أنّه يقصد الصورة دون أن يذكرها.[5]

ولا يمثل الجاحظ برأيه هذا أصحاب النظريات النقدية المنظمة بقدر ما يمثل الانطباع الأدبي العام ، ذلك لأن العرب القدامى لم يحاولوا التعقيد لمصطلح الصورة الفنية ومع ذلك فقد فرضت وجوده في آراء من جاء بعد الجاحظ من النقاد إذ كانت محط الاهتمام في الحكم على الشاعر الذي يعول عليها في تقديم تجاربه للمتلقي ، ومن ثم فإن التمييز بالصورة في شكل استعارة أو تشبيه لا يخفى ، ويمكن أن نعود إلى كتاب مثل طبقات فحول الشعراء لنرى الخصائص المميزة لكل طبقة ولكل شاعر على حده. [6] كما كان الأساس في الحكم على الشاعر انطلاقاً من اقتران الصورة للواقع الحسي فهاهو ذا

---

[1] - الخالدي : صلاح عبد الفتاح – الميزان في ظلال القرآن – دار الشهاب – الجزائر ط1 1986م ص 74

[2] - المرجع نفسه ص 75

[3] - البيومي – المصباح المنير - ص 63

[4] - الجاحظ أبوعثمان عمرو بن بحر بن محجوب الكناني– الحيوان – تحقيق عبد السلام هارون – ج3 – دار إحياء التراث العربي بيروت – د ت ط – ص 131

[5] -عتيق : عبد العزيز عتيق - النقد الأدبي – ص 49

[6] - محمد حسن عبد الله – الصورة والبناء الشعري – دار المعارف مصر د ت ط – ص 17

الرماني يحلل الآيات القرآنية لتقدم المعنى إلى حواس المتلقي مثل قوله تعالى : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً).(الفرقان الآية 23)

إنّه أبلغ من أي تعبير آخر لإخراجه ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة.[1]

ومن جهة أخرى يقول في التشبيه إنه قرين الاستعارة في القدرة على تصوير المعنى وتقديمه من خلال الحواس.[2]

والتشبيه من خلال الحواس يكون قريباً في مجال الإدراك الإنساني ، ومن ثم يصبح أكثر قدرةً من التأثير والإثارة.[3]

ولايبتعد ابن جني عن هذا الإطار في مفهومه لتقديم المعنى بصورة حسية ، إذ يجعل التركيب في قوله تعالى : (وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ). (الأنبياء الآية 75)

قائماً على تشبيه الرحمة بشيء محسوس لأنه أخبر عن الغرض بما يخبر به عن الجوهر وهذا تفخيم منه إذ صير إلى حيز (ما) يشاهد ويلمس ويعاين.

ويأخذ العسكري فكرة التصوير من الجاحظ حين أشار إلى الصورة باعتبارها قائمة على حسن تشكيل الألفاظ وجودة صياغتها وينتهج أسلوب الرماني في تحليله للآيات القرآنية لكنه يرجح التعبير الاستعاري عن التعبير الحقيقي في إخراج ما يرى إلى ما لا يرى فهو يجد في قوله تعالى : (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً).(الإسراء الآية 29)

إنّ التعبير الاستعاري في الآية أبلغ في تصويره الإمساك والقبض من التعبير الحقيقي ، وذلك لأن الغل مشاهد والإمساك غير مشاهد فصور له قبح المغلول ليستدعي به إلى قبح الإمساك.[4]

أمّا الزمخشري فقد تجاوز سابقيه من نقاد القرنين الرابع والخامس الهجريين ولم يقتصر في تعامله مع فكرة التصوير على الاستعارة والتشبيه في تفسير القرآن ، بل رأى أن

---

[1] - الرماني – النكت في أعجاز القرآن – تحقيق محمد خلف الله دار المعارف القاهرة – ط2 1968م – ص 86

[2] - جابر احمد عصفور الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – القاهرة دار الثقافة للطباعة والنشر – 1974م –ص 319

[3] - المرجع نفسه –ص 319

[4] - البازجي مصطفى ناصف الصورة الفنية في القرآن الكريم – ص 4

المسأله أعمّ وأشمل من مجرد المشابهة فيقول في تفسير قوله تعالى : (وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه).(الزمر بعض الآية67)

الغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هوفي مجموع عظمة التصوير والتدقيق أن تساق الكلمة على طريقة المجاز.[1] وما نلاحظه في تعامل الزمخشرى مع الصورة الفنية أنّه ركز اهتمامه على جانب تجسيد المعنى وتصويره في مخيلة المتلقي ، دون أن يهتم بإيجاد العلاقة بين الحقيقة والمجاز في الصورة التي استدل بها في القرآن الكريم حيث نجد على سبيل المثال في قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ). (البقرة الآية 16)

فإن قلت أن شراء الضلالة بالهدي وقع مجازاً في معنى الاستدلال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأنه مبايعة على الحقيقة ، وهذا من الصنعه البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا ، وهو أن تصاغ كلمة مصاغ المجاز بأشكال لها وأخوات تلاحقها فلم تر كلاماً أحسن منه ديباجة ورونقاً وهو المجاز المرشح ، أمّا الاستعارة فهي شدّة حبّهم للضلال وبغضهم للهدى لأن الإنسان يشتري ما يشتهيه ويحبه ويبيع ما لا يهمه.

ونجده في موضع آخر يطلق مصطلح التمثيل في تفسيره للآيات مثل قوله تعالى : (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً).(الأحزاب الآية 72)

فسرها الزمخشري على أنها تصوير وتخيل وتمثيل، ومجمل ما نلاحظه في آراء الزمخشري حول موضوع الصورة أنه عانى من إيجاد مصطلح محدد لها فتارة هي تصوير وأخري تمثيل وتارة أخري تخييل وهذا الأخير عارضه ابن المنير إذ لا يجوز اطلاقه على كلام الله حين يقول : أمّا اطلاقه التخيل على كلام الله مردود ولم يرد به سمع[2] ولعل الجانب الثري بقضية الصورة الفنية يظهر بجلاء مع عبد القاهر الجرجاني في سياق تعريفه لمعنى نظم إذ يقول : سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة وأن سبيل

[1] البازجي مصطفى ناصف - الصورة الفنية في القرآن - ص 5

[2] - سلوم: تامر سلوم – نظرية اللغة والجمال في النقد العربي – دار الحوار ط1 – 1983م ص 181

المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يضع التصوير فالصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منه خاتم ، فكما إن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة إلى تلك الصورة ، والميزة في الكلام أن تنظر إلى مجرد معناه[1] يقصد الجرجاني أن جودة العمل الفني تقوم على حسن تجسيد المعاني المرتبة في النفس في شكل صور ، وانطلاقاً من هذا المنظور فإن جمال الصورة لا يقاس بلفظ أو معناه وإنما بارتباطه بالسياق في الكلام ونظمه بخلق صورة لها تأثير في نفس السامع بوسائل بلاغية[2] بمعنى أن الصورة عند عبد القاهر مرتبطة بالسياق والشكل ، وقد تسلل مفهوم الصورة بمشتقاتها في أماكن مختلفة بمفاهيم شتى فيدل المصطلح عنده أحياناً على التقديم الحسي للمعنى ممثلاً في الاستعارة والتشبيه والتمثيل[3] ونجد أن الجرجاني يطلق الصورة على المفهومين السابقين معاً إذ يقول : "واعلم أن قولنا (الصورة) إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان بين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا ولا تكون في صورة ذاك . . . ثم وجدنا بين المعنى في أحد التبينين وبيناه في عقولنا وعبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا في هذا صورة غير صورته في ذلك."[4]

ولعلنا نلمس جانباً من المفهوم الحديث (للصورة) عند عبد القاهر الجرجاني حين يتحدث عن أثر التمثيل في النص الأدبي ويقرن التمثيل بالتعبير الصوري فيقر بدوره السحري في الجمع بين المتناقضات إذ يقول : "يريك الحياة في الجمال ويريك التئام بين الأضداد فيأتيك بالحياة والموت مجموعتين والماء والنار مجتمعتين"[5] والظاهر أن جمال الصورة وبلاغتها عند الجرجاني ، إنما تكون بالقدر الذي تجمع فيه بين

---

[1] - الجرجاني – دلائل الأعجاز – ص 197
[2] - سلوم :تامر سلوم – نظرية اللغة والجمال في النقد العربي – ص 223
[3] - جابر أحمدعصفور – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – ص 341
[4] - عبد القاهر الجرجاني – اسرار البلاغة – ص 48
[5] - عبد القاهر الجرجاني – دلائل الأعجاز – ص 317

المتناقضات وتتألف تلقائياً دون حاجة منا إلى خيال المؤلف ، لذا نجده يميز بين التشبيه والتمثيل ، فيرى بأن التشبيه لا يحتاج إلى تأويل ، ويعود الحكم للعرف والحس والمشاهدة بينما التمثيل فيحتاج الأول صورتين على الحقيقة أما الثاني فإنك في حكم ما يرى صورة واحدة إلا أنها يراها تارة في المرآة وتارة أخرى على ظاهر الأمر.[1]

وما نجمله في رأى عبد القاهر الجرجاني حول الصورة هو أنه لم يتجاوز حيز التشكيل والسياق ، ويدل على ذلك قوله السابق الذي أورده في سياق تعريفه للنظم حتى أصبحت عنده الشكل الذي تتجسد فيه المادة.[2]

وإذا ذهبنا إلي حازم القرطاجني نجده يتجاوز قاعدة القدماء في هذا المضمار وذلك بإفادته من الفكر الفلسفي مثل فلسفة ابن سينا وابن رشد فانصب اهتمامه على كيفية تشكيل الصورة وطريقة انتظامها[3] كما تحمل الصورة عنده معنى الاستعادة الذهنية لمدرك حسي في الذهن غير موجود في الإدراك المباشر[4] ويشرح هذه العملية قائلاً : "إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان ، فكل شيء له وجود خارج الذهن ، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه ، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم [5] ومن ثم تصبح الصورة عنده هي ذلك الاسترجاع الذهني والتذكر للخبرات الحسية البعيدة عن الإدراك المباشر الذي يثار في مخيلة المتلقى عن طريق المنبهات اللفظية الحاصلة في الفعل اللغوي والأدبي "، وبذلك يكون حازم قد مس الجانب النفسي في النقد العربي ، وإن كان هذا الجانب يقترن بالجانب الفني للصورة يؤكد ذلك قوله : ومحصول الأقاويل الشعرية تصوير الأشياء الحاصلة في الوجود وتمثيلها في الأذهان على ما هي عليه من حسن

---

[1] - المرجع نفسه ص 445

[2] - الجرجاني – أسرار البلاغة – ص 125

[3] - القرطاجني حازم بن محمد القرطاجني – منهاج البلغاء وسراج الأدباء – تحقيق محمد الحبيب – بيروت دار الغرب الأسلامي ط2 – 1981م – ص 18

[4] - المرجع نفسه– ص 6

[5] - القرطاجني – منهاج البلغاء وسراج الأدباء – ص 18

أو قبح ، وما نلاحظه من رأي القرطاجني أنه يقصد من وراء التصوير الفني للأفكار المدركة وقوع أثر من الاستحسان والاستهجان الذي ينتج عن انفعال المتلقي الذي يعبر عنه بالإنبساط والإنقباض يقول : والتخييل أن تمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها ، أو تصور شيء آخر بها ، انفعالاً من غير رؤية إلى جهة من الانبساط أو الإنقباض.[1]

ويعتبر هذا نقطة التحول التي يمتاز بها القرطاجني لأنه مس أحد أهم عناصر الصورة الفنية ، وهو الخيال وإن كان يقتصر عنده على الممارسة العملية للتجارب بعيداً عن الخيال التأملي ، لأن الخيال كما قال مصطفي ناصف : ليس مجرد تصور أشياء غائبة عن الحس ، وإنما هو حدث معقد ذو عناصر كثيرة يضيف تجارب جديدة ويبتكر عالماً جديداً.[2]

وانطلاقاً مما سبق نخلص في الأخير إلى أن حازم القرطاجني في معالجته لموضوع الصورة لم يتعدى مجرد الإيماءات إلى عناصرها أحياناً وإلى أهميتها وتطورها في العمل الأدبي أحياناً أخرى ، وعليه فإننا لا نقف على مفهوم دقيق ومتكامل للصورة عنده شأنه شأن غيره من النقاد العرب القدامى ، وإن حامت حولها قضايا واختلافات بين البلاغيين.

وقد اهتم النقد القديم بوسائل الصورة وأشكالها البلاغية ، فعالج التشبيه والاستعارة والكناية ، إلا أن علاجه لها على أساس جزئى لا يتعدى الجملة إلى البيت أو البيت إلى القصيدة إلى جانب الاهتمام بقضية اللفظ والمعنى.[3]

أمّا ما نجده عند النقاد القدامى من إشارات بسيطة إلى الصورة ، فلا ينفصل كثيراً عن معنى الشكل الأدبي العام ، وبالإضافة إلى أنهم ظلوا محافظين على ارتباط الصورة الوثيق بالصنعة التشكيلية أو الشكلية الخادعة لمنطق العقل والواقع.[4]

---

[1] - القرطاجني – منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص 8

[2] -البازجي مصطفي ناصف – الصورة الأدبية – ص 20

[3] - الرباعي :عبد القادر الرباعي – الصورة الفنية في شعر أبي تمام ط1 – بيروت 1980م – ص 15

[4] - القرطاجني – منهاج البلغاء وسراج الأدباء - ص 16

بالإضافة إلى إرتكازهم على مبدأ الاستقلالية في البيت الذي قد يحوي صوراً متعددة ، إذ نجد مثلاً قدامه بن جعفر يطرب لبيت امرؤ القيس الذي حشد فيه تشبيهات كثيرة وبألفاظ يسيرة في قوله* :

لَهُ أَيْطِلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٌ *** وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٌ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلِ

وذلك لأنّ الشاعر جاء فيه بأربعة أشياء مشبهة بأربعة.[1]

والرأي ذاته يتردد عند الجرجاني إذ يقول : إنّ الجمع بين عدة تشبيهات في بيت كقوله**:

بَدَتْ قَمَراً وَمَالَتْ خَوْطَ بَانٍ *** وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزَالا

مكاناً من الفضيلة مرموقاً نرى فيه سابقاً ومسبوقاً.[2]

لكن ما يمكن استحسانه عند الجرجانى لا يرجع إلى الجمع والحشد وإنّما إلى اختصار اللفظ وحسن الترتيب ، ونستكشف هذا من قوله : أن حقائق التشبيهات تتغير بهذا الجمع ، أو أن الصور تتداخل وتتراكب وتأتلف ائتلاف الشكلين يصيران إلى شكل ثالث ، فكون قدها خوط البان لا يزيد ولا ينقص ، في شبه الغزال حين ترنو منه العينان وكذا الحكم في أنها تفوح فوح العنبر ويلوح وجهها كالقمر.[3] ونخلص في الأخير إلى القول بأن مفهوم الصورة الفنية متجدد في النقد القديم ، غير أن ما ميزها هو طابع الحسية فلم تكن براعة الشاعر في التعبير عن ذاته تشكل قيمة بالمقارنة مع تحريه مطابقة صورة الواقع[4] ومن هنا فلا يسمح للشاعر أن يجعل عواطفه مصدراً للصورة بل يجب عليه إيراد صور ذات طابع إيضاحي تؤكد وتقرر ما سبقها بعيداً عن التأمل الذاتي.[5]

مفهوم الصورة الفنية عند النقاد الغربيين :

---

[1] - قدامه بن جعفر – أبو الفرج – نقد الشعر – تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي – بيروت دار الكتب العلمية – د ت ط – ص 127

[2] - الجرجاني – أسرار البلاغة –ص 182

[3] - المرجع نفسه – ص 182

[4] - العقاد – عباس محمود – عبد القادر المازني – الديوان في النقد والأدب – مكتبة السعادة – ج2 – ط1 – 1921م – ص 47

* امرؤ القيس – ديوان امرؤالقيس – ص 44

** المتنبي أبوالطيب أحمد بن الحسين – ديوان المتنبي – دار بيروت للطباعة والنشر – ط1403هـ - ص 119

[5] - البازجي مصطفى ناصف : الصورة الأدبية – ص 11

ارتبط تحديد الصورة الفنية عند النقاد الغربيين بتعدد المدارس النقدية إذ يتباين مفهومها ويتقارب تبعاً لاختلاف المرجعيات الفكرية والنظريات التي يتبناها النقاد في تعاريفهم ثم المواد التي تشكل منها الصورة حسب آراءهم.[1]

يرى الماركسيون أن سرّ الجمال في العمل الأدبي هو في مطابقة الواقع وتحريه في التصوير ، فالفن حسب رأيهم تقليد للواقع ، والصور الفنية في العمل الأدبي هي التصوير المترجم الذي تنعكس فيه بصفة كبيرة الجوانب الحسية للواقع ، ومظاهر الطبيعة وحياة المجتمع [2] بل ويصبح جمال الصورة مقياسا بمدى المطابقة والصدق الواقعي ، ولعل هذا ما يشترطه (ديدرو) حتى يبلغ التصوير درجة الجمال يقول بعد أن يتسأل عن مكمن الجمال في التصوير فأنّه مطابقة الصورة للشيء.[3]

وأن تصريحاً كهذا يؤكد عبودية الصورة للواقع ، ويجعل العمل الفني خاضعاً لمبدأ المحاكاة الصماء لا يتعدى هدفها مجرد ايقاظ الشعور بالواقع[4] وقد وصلت المبالغة عند أصحاب هذا الرأي إلى حد يتقصى فيه ذات الفنان في عملية التصوير ولعل هذا ما يقصده الروسي(تورجنيف)* حين يرى أن منتهي السعادة بالنسبة للأديب أن يصور الحقيقة بالضبط ، وفي قوة حقيقة الحياة حتى ولو كانت لا تتطابق مع ميوله الشخصية [5] ومن هنا تصبح الصورة نقلاً أميناً للواقع المحسوس ، بعيدة عن ذات الأديب وشخصيته ، تستقي مادتها من مصدرين : الواقع الحسي وحياة المجتمع مما يجعلها سطحية وتقريرية نتيجة لهذا التطابق المفروض بين حديها وهو تطابق يوافق حرص القدماء العرب على التطابق الموضوعي مثل ابن طباطبا والقذويني.[6]

ويرى الغربيون إن أدوات التشبيه كوسائل استنتاج عقلي تصلح للتعبير عن عالم المادة والمنطق والعلم ، وغير صالحة للتعبير عن الرؤية الفلسفية.[7] إن هذه النظرة التي تدعو تدعو إلى خضوع الصورة للواقع تجعل الأديب عالم طبيعيات يعمل على التقعيد على النظريات العلمية واستنباط القوانين ، ويبتعد الشاعر عن هذا المفهوم فهو ليس عالماً

---

[1] - رينيه ويليك واستن نظرية الأدب- ترجمة محي الدين صبحي المؤسسة العربية للدراسات والنشر1986– ص 23

[2] - المرجع نفسه – ص 13

[3] - بيتروف : الواقية النقدية – ترجمة شوكت يوسف منشورات وزارة الثقافة دمشق – 1983 م – ص 43

[4] - محمد حسين عبد الله – الصورة والبناء الشعري – دار المعارف مصر – د ت ط – ص 49

[5] - المرجع نفسه – ص 13

[6] - بيتروف – الواقعية النقدية – ص 95

[7] - العقاد عباس محمود – الديوان في النقد الأدب ص 73

* تورجنيف : كاتب روسي ولد في التاسع من نوفمبر 1818م وتوفي في 22 أغسطس 1883م.

بقدر ما هو فنان يعمل على إقامة وسيلة تواصلية بين حدي الصورة بالنسبة للاتجاه النفسي والجمالي ، أي أنه بفعله يجسد إحساساً وينقل تجربة حقيقية واقعيه بالفعل.[1]
وعليه يصبح المنطق الذي يخضع له الشاعر ليس منطق العقل والواقع وإنما هو منطق مختلف خاص به كما عبر عنه (كولردج)* في قوله : قاسي قسوة منطق العلم ، ربما كان أكثر منه صعوبة ، لأنه أكثر منه لفظاً وأوفر تعقيداً [2] فليس من الحكمة في الشيء محاكاة الشاعر على أساس التطبيق أو التطابق الواقعي لأنه أساس بعيد عن عالم الفن والإبداع ، ولا نبرح مفهوم الصورة في التفكير الغربي لنلقي الضوء على إتجاه آخر يعد الصورة إبداعاً ذهنياً لا يمكنها أن تنبثق من الجمع بين حقيقتين واقعيتين تتفاوتان في البعد قلة وكثرة ، وإن الصورة لا تروعنا لأنها وحشية أو خيالية بل لأن علاقة الأفكار فيها بعيدة وصحيحة ولا يمكن إحداث صورة بالمقارنة التي غالباً ما تكون قاصرة[3] فجمال الصورة بهذا المفهوم يقترن بالأثر النفسي الذي يتركه الفكر على الوجدان ، ومن ثم لا يدرك علاقاتها إلا العقل وحده الذي يصنع التميز في قدرته على الجمع بين المتناقضات وتركيبها بأجزاء الصورة ، وهذا ما ساقه الشاعر (عزرا باوندا) في إشارته للصورة على أنها تلك التي تقدم عقدة فكرية وعاطفية في برهة من الزمن.[4]

مفهوم الصورة عند النقاد والبلاغيين العرب المحدثين والمعاصرين :

أسال موضوع الصورة الفنية الكثير من الحبر على صفحات النقد العربي الحديث والمعاصر إذ انشغل البلاغيون العرب المحدثون والمعاصرون بمفهومها وعناصر تشكيلها ، ويرى جابر عصفور في هذا الإطار أن الصورة هي أداة مميزة للتعبير عن المعاني ، إذ يقول : هي "وسيلة تعبيرية لا تنفصل طريقة استخدامها أو كيفية تشكيلها عن مقتضى الحال الخارجي الذي يحكم الشاعر ويوجه مسار قصيدته إلى جانب النفع المباشر أو جانب المتعة الشكلية"[5] فالصورة من هذا المنظور وسيلة تخدم المعنى الذي

---

[1] - سيسيل دا لويس - الصورة الشعرية - ص 74
[2] -البازجي مصطفي ناصف – الصورة الأدبية – ص 24
[3] - عز الدين اسماعيل – الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية – بيروت ط3 – 1981م – ص 133
[4] - رينيه ويليك واستن – نظرية الأدب – ترجمة محي الدين صبحي – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – 1986 م – ص 195
* كولردج : شاعر وفيلسوف إنجليزي من رواد الحركة الرومانتيكية ومن مؤلفاته قافية البحار القديم

[5] - جابر عصفور – الصورة الفنية – ص 403

الذي يحكم ويوجه عمل الشاعر ، وهي مهما اكتست طابع الخصوصية والتميز إلا أنها لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته ، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه.[1]

وهذا معناه أن الصورة خادمة للمعنى ، غايتها إيصاله إلى المتلقي بأي طريقة ، غير أنه نلاحظ أن جابر قد أغفل أهمية الشكل الذي يمثل في المظهر الخارجي للمعنى.

وقد اهتم مصطفى ناصف بجمال التصوير حيث نجده يلقي بآرائه في الصورة فيعرفها قائلاً : "الصورة في الأدب تطلق عادة للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات".[2]

ويبدو أن مصطفى ناصف قد عاد بنا إلى بدايات التفكير النقدي حين أطلقت الاستعارة للدلالة على بعض ما تدل عليه كلمة (الصورة) ومدلولها يتسع حيث شمل بعض الألفاظ مثل التشبيه والكناية والمجاز ، والواقع أن مصطفى ناصف قد حاول تغيير هذا التعامل مع الصورة ، حيث قرر تصحيح المفهوم التقليدي لها الذي كان يعول على العلاقات الحسية بعيداً عن الملكات التخيلية الباطنية.[3]

وإذا ما انتقلنا إلى ماهر فهمي نجده يحدد مفهوم الصورة بأنها تجسيم لمنظر حسي أو مشهد خيالي ، يتخذ اللفظ أداة له وبالإضافة إلى التجسيم اللون والظل والإيحاء وكلها عوامل لها قيمتها في تشكيل الصورة وتقويمها.[4]

ويجعل عبد القادر القط* الصورة كلاً متكاملاً من أساليب اللغة ووسائلها وطاقاتها التعبيرية يقول : الصورة في المشهور هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالات

---

[1] - المرجع نفسه – ص 392

[2] -البازجي مصطفي ناصف – الصورة الأدبية – ص 3

[3] - المرجع نفسه – ص 243

[4] - الخالدي – نظرية التصوير عند سيد قطب – ص 75

* ولد البروفيسور عبدالقادر حسن القط في محافظة الدقهلية وتخرج من كلية الآداب جامعة القاهرة 1938م.

والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والتذوق والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التغيير الفني.[1]

ويقصد بهذا أن الصورة هي تعبير الشاعر عن تجربته في قالب يحشد فيه كل طاقات اللغة وإمكاناتها وبذلك يكون وافق بعض آراء النقاد الغربيين ، وينحو عبد المالك مرتاض* منحى (القط) حيث يرفض أن تقييد الصورة بأشكالها البلاغية القديمة لا تهدف إلى التقرير ، وإنما هي خلق جديد للمعاني يتزاوج فيه الفكر بالشعور ، والصورة في نظره رسم عبقري لفكرة مضمخة بالعاطفة داخل نفس الفنان المبتكر ، ولا يفترض في الصورة فقط الابتكار ومن صفاتها الأساسية أنها خلق جديد.[2]

فالصورة بهذا المفهوم إدراك إجمالي لحقيقة الشعور ، تسعى إلى الإيحاء بعيداً عن التقرير والإثبات[3] فهي إذا حصرت في تلك الألوان القديمة من التشبيهات والاستعارات وغيرها تفقد إيحاءاتها التي يجب أن تدعم وجودها في العمل الفني ، وهذا ما تؤكده (روز عزيز) حيث تقول : الصورة الشعرية لا تنحصر في التشبيهات والاستعارات وسواها من ضروب المجاز ولكنها كل صورة توحي بأكثر من معناها الظاهر ولو جاءت منقولة عن الواقع.[4]

ويبقى دور الشاعر العبقري في أن يرسم بعباراته وصوره لوحة مليئة بالحياة والحركة بل وقد تحمل اللفظ المفردة صورة كاملة الأجزاء دون حاجتها إلى المجاز كما هو الحال في بيت امرؤ القيس الذي يقول فيه[5] :

مُكِرٌّ مُفِرٌّ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَاً *** كَجَمْلُوْدِ صَخْرٍ حَطّهُ السّيْلُ مِنْ عَلِ.[5]

فهذه الإيحائية في صور البيت كانت موطن الروعة والعجب وليس ذلك بالتشبيه البسيط الذي أقل ما يوصف به أنه يبتعد عن قصد الشاعر في وصف فرسه وهو يصول

---

[1] - محمد الولي – الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي – بيروت المركز الثقافي العربي – ط1 – 1990م ص 17

[2] - عبد المالك مرتاض – مجلة أمال – العدد 55 – ص 57

[3] - رمضان غريب – النقد الأجمالي عند مصطفي ناصف – ص 157

[4] - روز عزيز – تمهيد في النقد الحديث – بيروت – دار المكشوف – 1991م – ص 191

[5]- امرؤ القيس أوس بن حجر بن حارثة– ديوان امرؤ القيس – ص 36.

[5] - الجلمود : جمعه جلاميد ، وهو نوع من أنواع صخور الجبال الصلبة

* عبدالمالك مرتاض ناقد جزائري من مواليد 10 أكتوبر 1935م .

ويجول[1] وقد كانت إيحائية الصورة هي نقطة الوثوب التي اختارها العقاد في هجمته على شوقي حيث قال في الديوان : وما ابتدع التشبيه برسم الأشكال والألوان وإنما ابتدع بنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى نفس ، وبقوة الشعور ويقظته واتساع مداه ، ونفاذه إلى صميم الأشياء التي يمتاز بها الشاعر على سواه ، كان كلامه مطرباً مؤثراً وكانت النفوس منجذبة إلى سماعه واستيعابه لأنه يزيد الحياة حياة كما تزيد المرآة النور نور.[2]

ويبدو أنّ العقاد يركز على جانب الخيال في الصورة لأنه في نظره الميزة التي يختص بها الشاعر عن غيره ، ويتردد هذا الرأي عند محمد أحمد الشايب* حين يجعل الخيال وسيلة نقل للفكرة والعاطفة معاً فيقول في تعريفه للصورة : "هي وسائل نقل للفكرة والعاطفة معاً إلى القارئ عن طريق الخيال ، وعليه يكون الخيال هو الأساس المعول عليه في كل عمل إبداعي ، ولكل شاعر ذكاؤه وعبقريته في طريق إخراج الصورة لأنه إذا كان الخيال العام فاتراً فإن النظرة الشاعرية أو الصورة الحية تنقرض وتتقلص ولا يبقى إلا المنظار النفعي والفكرة الخالصة"[3] وما نحمله من هذه الآراء هو أن الصورة لا يجب أن تبنى على أساس العقل والمنطق أو العلاقة الحسية بين حديها ، كما أنها ليست مجرد طلاء أو عنصر إضافي محسن وإنما هي ثراء الفكر وتعقد التجربة.[4]

وحسب الفكرة التي كونتها من مجمل ما رأيناه حول مفهوم الصورة عند النقاد العرب والمحدثين والمعاصرين يمكن أن نخلص على أن الصورة تتخذ نسقاً معيناً في إطار العلاقات المتميزة وفقاً لأحاسيس المبدع وأفكاره ، فيخرجها في شكل يتجاوز المألوف ويغالب الدلالة الحرفية ، ولا يخفى علينا من خلال هذا الرأي المنقول الذي أحرزته الصورة بين القديم والحديث ، فبعدما كانت رجعية الواقع الحسي أصبحت تتجاوزه إلى

---

[1] - محمد الولي – الصورة الشعرية في الخطاب النقدي والبلاغي - ص 38

[2] - الوهمان أحمد علي– الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني – دمشق ط1 1986م – ص 271

[3] - المرجع نفسه – ص 272

[4] - رمضان – جذور الاتجاه الجمالي في النقد العربي القديم – دار الغرب للنشر والتوزيع ط 2004م ص 93

* محمد أحمد الشايب ناقد مصري تخرج من كلية دارالعلوم 1918م من مؤلفاته النزعة التجديدية

درجة خلق واقع جديد ناتج عن العلاقات الدلالية بين الألفاظ التي ينسجها خيال المبدع وشعوره.[1]

[1] - مصطفى ناصف - الصورة الأدبية– ص 20

المبحث الثاني : خصائص الصورة الفنية في القرآن الكريم

أنزل الله عز وجل في كتابه أرفع أسلوب وأقربه إلى النفوس والأذهان حتى يصل إلى هدفه التوجيهي وغرضه الديني ، ولعل الأسلوب الذي نقصده هنا هو الأسلوب التصويري ، فالقرآن يعبر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة و الشخصية.[1] وتجدر الإشارة إلى أن الصورة في القرآن الكريم ليست عملاً فنياً مقصوداً لذاته بل إنها وسيلة لتبليغ الدعوة الإسلامية وتثبيتها وتعميقها عن طريق الإمتاع والإقناع ، أي أن الأسلوب القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني ويتخذ الجمال أداة مقصودة للتأثير الوجداني[2] ومنه يصبح التعبير الجميل في القرآن أداةً لتحقيق الغاية الدينية ويسعى من خلاله إلى لفت النفس البشرية إلى جمال الكون وتناسق موجوداته لأن إدارك جمال الوجود هنا هو أقرب وسيلة لإدراك خالق الوجود ، وهذا الإدراك هو الذي يرفع الإنسان إلى أعلى أفق يمكن أن يبلغه[3] وذلك بأن الجمال في الطبيعة أو الإنسان جذاب للمتلقي وله فاعليته في النفوس ، فكيف إذا كان الجمال في الكتاب المعجز بجماله وكماله ، ومن ثم فإن معالجة القرآن للعقيدة لم تكن معالجة نظرية ، بل خاطب سجية الإنسان وما اكتنزته بيئته من آيات وعلامات وطهر فطرته من الشوائب حتى تستجيب إلى ما أحاط بها من أمارات وتذعن لها ولمدلولاتها.[4]

ذلك أن وراء الجمال في الموجودات المادية والقيم المعنوية غايات إنسانية وفطرية يتولى فيها التزيين مهمة تحبيبها إلى الإنسان لكي يقبل عليها وينتفع بها ، وقد وردت في القرآن المبين آيات عديدة توحي بهذا الفكر وتعلن في الوقت نفسه أن الجمال تلتصق به الفائدة التصاقاً عضوياً[5] من الآيات التي تقر بذلك قوله تعالى : ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ

---

[1] - سيد قطب – التصوير الفني في القرآن الكريم – 1980م – ص 6
[2] - مصطفى ناصف - الصورة الفنية في القرآن – ص 29
[3] - سيد قطب – التصوير الفني في القرآن الكريم - ج6 – ص 35
[4] - الخالدي – في ظلال القرآن في الميزان – دار الشهاب الجزائري ط1 – 1986م – ص 49
[5] - المرجع نفسه - ص 31

فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ).(النحل الآيتان 5،6)

والواقع إن فطرة الإنسان ميالة إلى كل ما هو جميل لهذا أصبح الكتاب يتحرون الجمال في أقوالهم وكتاباتهم ويتفننون في طريقة إلقائها حتى يبلغوا درجة التأثير الوجداني ، يقول عبد القاهر الجرجاني مؤكداً ذلك : رأيتهم يجعلون الألفاظ زينة المعاني ويجعلون المعاني كالجواري والألفاظ كالمعارض لها كاللباس الفاخر والكسوة الرائعة إلى أشباه ذلك مما يفخمون به أمر اللفظ ويجعلون المعنى ينبل به.[1]

ويرى بعض النقاد أن جُلّ الأسلوب القرآني تصويري ، من بينهم جابر بن عصفور الذي يقول في معرض حديثه عن النقاد القدامى : إن الرماني وابن جني والعسكري وغيرهم من البلاغيين القدماء يتعاملون مع فكرة التصوير بشكل جزئي ضيق حيث يقتصرون التصوير على أنماط الاستعارة والتشبيه ، مع أن الفكرة يمكن أن تكون أشمل من ذلك فلو نظرنا إلى الأسلوب القرآني كله على أنه أسلوب تصويري.[2] وكما يؤكد سيد قطب أن التصوير هو الأداة المفضلة في الأسلوب القرآني وقاعدته الأساسية وهو في نظره ليس حلية أسلوب تقع حيثما وجدت إنما هو مذهب مقرر وخطة موحدة وخصوصية شاملة وطريقة معينة ، يتفنن في استخدامها بطرائق شتى وأوضاع مختلفة.[3]

ويقرر مصطفى ناصف أنّ بلاغة القرآن الكريم تهتم بتقديم المعاني للمتلقي في صورة حسية وإضفاء الحياة الواقعية إلى أشياء ذهنية مجردة[4] ولا شك أن للصورة القرآنية خصائص تتوق الموسوعة الفكرية الإنسانية إلى تزوقها واستشعار جمالياتها متمثلة في التخيل الحسي ، والتجسيم الفني والتناسق الفني ولكل مميزات خاصة بها .

---

[1] - الجرجاني - دلائل الأعجاز – ص 236
[2] - جابر عصفور – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – ص 321
[3] - سيد قطب – التصوير الفني في القرآن الكريم – ص 33
[4] - البازجي مصطفي ناصف – الصورة الأدبية – ص 77

*** التخيل الحسي :**

وهو دعامة التصوير الفني الأولى وخاصيته المميزة ، والخيال هو المجال الذي تنشأ فيه الصورة وتدخل عليه عن طريق الحس والوجدان وتثير في النفس شتى الإنفعالات والأحاسيس والتأثيرات ، وعندما يكون الخيال نشطاً خصباً يكون إكتشافه الصور الفنية أدق وتذوقه لها أتم وبيانه لها واضح.[1]

وقد اعتبر النقاد القدامى التخيل ضرب من الكذب والمخادعة ، واضطرب عبد القاهر الجرجاني نفسه في فهمه وقال عنه أنه مناقض للعقل الذي يستلزم الصدق والتحقيق وينافي الوهم والتخيل وهذا ما أكده في قوله : "وما كان العقل ناصره والتحقيق شاهده وهو العزيز جانبه المنيع مناكبه ".[2]

وبالرغم من أن الجرجاني قرن التشبيه والاستعارة بالقدرة على التصوير ، حتّى أنه حاول أن يرجع التمثيل إلى أساس نفسي إلاّ أنّه اضطرب في توضيح صلة كل هذه الصور البلاغية بالتخيل وهو تارةً ينفي هذه الصلة لأن التخيل كذب ومخادعة والاستعارة مثلاً لا يمكن أن تكون كذلك ، لأنها كثيرة الورود في القرآن الكريم وهو تارةً أخرى يضعها ضمن التخيل.[3]

ويرى جابر عصفور أن عبد القاهر الجرجاني فهم الأساسين الفني والنفسي اللذين يقوم عليهما مفهوم التخيل ، على خلاف حازم القرطاجني الذي اعتبره جابر بن عصفور الناقد الأدبي العربي الوحيد الذي استطاع أن يدرك الطبيعة الحسية للشعر حيث قدر الصورة على التقويم الحسي.[4]

---

[1] - الخالدي – نظرية التصوير الفني عند سيد قطب – ص131

[2] - الجرجاني – أسرار البلاغة – ص 251

[3] -جابرعصفور – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي– ص 357

[4] - المرجع نفسه – ص 358

والتخيل عند حازم هو أن يتمثل للسامع من لفظ الشاعر المتخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه ، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها أو تصور شيء آخر بها انفعالاً من غير رؤية إلى جهة من الانبساط أو الإنقباض.[1]

فهذا يعني أن حازم اتجه وجهة نفسية في فهمه للتخيل الشعري ، لإنطلاقه من الجذور النفسية الأرسطية ، ويبدو أن هذا هو السبب في فهمه للتصور المخالف لما درج عليه القدماء إذ كانت تشير إلى مجرد الشكل أو السياق كما انحصرت وظيفتها في التقديم الحسي للأشياء وأصبحت عنده ذات سيكولوجية والتي تتوافق مع الاستعادة الذهنية لمدرك حسي غاب عن مجال الإدراك المباشر.[2]

ولما كان التصوير قائماً على التخيل الحسي فإنه قلما نجد سورة من سور القرآن وردت دون حياة أو حركة تخيلية ، وهي حركة لا تظهر في معرض القصة أو عرض المشاهد المختلفة وإنما تظهر في مواقع لا تتوقع أن تظهر فيها إنها حركة التخيل الحسي ،الذي ابتكرها التصوير القرآني لإحياء مختلف الصور.[3]

فالقرآن في تصويره لأي قضية ينطلق من معطيات حسية ومواد من الطبيعة يألفها المتلقي، يقول تعالى : (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).(يونس الآية 24)

فالأرض والماء والنبات كلها عناصر طبيعية يراها الإنسان ويحسها ، ولما كان المحسوس أقرب إلى العقل وأوثق به صلة إلى النفس طالعنا القرآن بهذا النوع من الصور حتى يصل إلى غرضه ، ويقول ابن رشد في هذا السياق : وكان الشرع إنما

---

[1] - القرطاجني – منهاج البلغاء وسراج الأدباء – ص 360

[2] - جابرعصفور – الصورة الفنية – ص 361

[3] - سيد قطب – التصوير الفني في القرآن الكريم – ص 72

مقصوده تعليم الجميع ، وجب أن يكون مشتملاً على جميع أنحاء طرق التصديق والتصوير.[1]

إن القرآن حين يورد مثل هذه الصورة يعتمد على إنشاء العلاقة الجمالية والنفسية بين أطرافها ويهيّأ للذهن أن يعمل عمله بتخيل العلاقة بين صور الدنيا وشدة التمسك بها وصور الحقل المخضر وتمسك مالكيه به ، ثم بين ألم وحسرة انقضاء الحياة ونهايتها وبين الألم والحزن على دمار الحقل وذهاب خيراته والقرينة هي الزينة والبهجة ثم الهلاك وفي ذلك عبرة لأولي النهى.[2] وإن القرآن حين يستخدم مواد العالم المحسوس في بناء صورة لم ينقله بحذافيره وإنما استطاع بهذا الفيض من الصور المتحركة أن يبني حياة جديدة وخلقاً آخر لهذا الواقع يقول تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ).(محمد الآية 15)

وفي هذه الصورة تطالعنا مشاهد الجنة وكأنها واقع نمر به ، كأننا نمشي في رياضها بفضل الأدوات المجلوبة على الطبيعة حتى تتضح معالم المشهد بإدراك المتلقي كل ذلك بواسطة وسائل تشد نفس الإنسان وتهز شعوره الجمالي ، ويعضد القرآن بذلك بإحالته الضد ليضيئه دلالياً فيعقد مقارنة بين صورة المشروبات في الجنة وصورتها في النار.[3]

ولنتأمل قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ).(النور الآية 39)

فقد صورت الآية الكريمة حالة الكفر كمن يركض نحو سراب يظنه ماء حتى إذا وصله لم يجده شيئا فضاع عمله وباء بحسرةٍ كبيرة ، وبهذا يرسم خيالنا صورة لأعمال

---

[1] - ابن رشد – فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الأتصال – تقديم د أبو عمران الشيخ – الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – 1982م – ص 54

[2] - شفيع السيد – البحث البلاغي عند العرب – تأصيل وتقييم دار الفكر العربي – ط2 – 1996م – ص 55

[3] - سيد قطب التصوير الفني في القرآن الكريم –ص 41

الكفار التي ظنوا أنها ثابتة تنفعهم عند الحاجة إذ هي سراب كاذب ، ولا شك أن خيالنا سيرسم لنا هذه الصدمة التي حاقت بهم ويدرك شدتها ، ويعلق الرماني على هذه الصورة فيقول : "فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة وقد اجتمعا في بطلان المتوهم بشدة الحاجة وعظم الفاقة".

فالرماني هنا يشرح ما تثيره الصورة من إنفعالات نفسية ، إذ تجعلنا نحس ما يحسه ذلك الظمآن وهو يرى الماء ، ونتخيله يركض نحوه وسط الصحراء القاحلة ، وهي صورة تشكل عناصر ذوقية متصلة بنفسية الإنسان العربي ، فإن قمة المتعة والسعادة كانت عنده هي حصوله على صبابة ماء يروي بها ظمأه أو خمر يزيل بها صبابته أو شربة لبن تعيد إليه روحه[1] ولهذا شدت هذه الصورة إهتمام الأعراب مرفوقاً بالذوق الجمالي لديهم ، لأنهم تعودوا أن تمر بهم سنوات عجاف تجف فيها الأرض قبل أن يهطل الغيث ليكسوا قسوة الصحراء التي خلفها خيراً عميقاً ومراعي خضراء.[2]

وبين أبو عبيدة أثر هذه الصورة في نفس العربي ذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى : (في روْضةٍ يُحْبرُون)مجازه يفرحون ويسرون ، وليس شيء أحسن من عرض الرياض المعشبة والأطيب ريحاً كما قال الأعشى

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ معشبةٍ *** خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مسبلٌ هَطِلُ

يومٌ بأطيبَ مِنْهَا ينثرُ رائحةً *** ولا بأحسنَ مِنْهَا إذ دَنا الأصلُ.[3]

وعد بعض النقاد حاسة البصر في مقدمة الحواس المقدرة للجمال ، التي تنقله إلى النفس يقول جويوا : إن الإحساسات التي يصح وصفها بالجمال على أتم وجه هي الإحساسات البصرية كما قال ديكارس* عن الجمال هو(ما يروق للعين).[4]

---

[1] - الرماني – النكت في إعجاز القرآن – ص 82

[2] - زغلول : سلام زغلول– أثر القرآن في تطور النقد العربي ط1 – 1982م – ص 367

[3] - الأعشى ميمون بن قيس بن جندل – ديوان الأعشى – ص 370

[4] - روز عزيز- تمهيد في النقد الحديث – ص 83

* ديكارس فيلسوف فرنسي لقب بأبي الفلسفة الحديثة.

ذلك بأن العين مصدر النور الذي يقرن الإنسان بالحياة والحركة والنشاط ، كما أن حاسة البصر تجمع العديد من المشاعر فإن اللذة التي نستشعرها حين طلوع الشمس ليست بصرية فحسب ، بل إننا بكياننا كله نرى الشعاع الأول من أشعة النهار.[1] وعليه فإن القرآن الكريم – وسعياً منه إلى إثارة النفوس – يوظف الصورة التي تجسد أحداث الواقع أمام أعيننا ، فتتأثر به مشاعرنا وتنجذب إليه أحاسيسنا مما يجعلنا نعايش هذه الأحداث ونراها أكثر مما نسمعها ، فما تراه العين أوقع في النفس تأثيراً على القلب مما تسمعه الأذن.[2]

وعلى كل فإن القرآن خاطب كل حواس الإنسان ، ذلك أن العربي القديم إنما كان ينفعل بكل الصور الحسية خاصة ما اسْتُقْبِلَ بالعين فكان رائعاً أو بالفم فكان لذيذاً أو باليد فكان ناعماً[3] ومن أمثله هذه الصور الحسية قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ).(الأعراف الآية 40)

فإن هذه الصورة تجعلنا نتخيل صورة لانفتاح أبواب السماء وصورة أخرى للجمل وهو يحاول الدخول في ثقب الإبرة وتنشئ الصورة الحركة المتخيلة للدابة وهي تحاول عبثاً دخول سم الخياط .

ثم هاهي صورة أخرى ترسمها لنا آيات القرآن الكريم وتمثل لنا الشيطان في محاولاته الحثيثة بإخراج أبوينا من الجنة إلى أن ينجح في ذلك يقول عز وجل : (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ).(البقرة بعض الآية 36)

إذ ترتسم صورة الشيطان في أذهاننا وهو يعمل على زحزحتهما حتى انزلقت قدماهما وهويا على الأرض.

---

[1] - المرجع نفسه– ص 371

[2] -الأخضر: ذنتوت الأخضر – من قصص القرآن الكريم – درس عملي في محبي الخير – المطبعة الإسلامية – د ت ط – ص 1-2

[3] - إسماعيل :عز الدين اسماعيل – الأسس الجمالية في النقد العربي – ط2 – 1986م – ص 132 – 133

وتصور هذه الآية الكريمة حالة من أعرض عن التذكرة ذلك في قوله تعالى : (فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ).(المدثر الآيات 49– 51)

إذ تتجسد صورة إعراض الكفار في مشهد الحمر التي انفضت وولت هاربة من الحيوان المفترس ، فتنشئ حركة الهروب هذه مشاعر السخرية إلى جانب الشعور بجمال الطبيعة المتمثل في القطيع المنظم الهارب.[1]

التجسيم الفني :

وهو أن يتخيل الأديب الفنان الأمر المعنوي صورة معينة يرسمها في ذهنه ويعبر عن هذا الأمر في خيالنا جسماً على وجه التشبيه والتمثيل والاستعارة ، وهو سمة من سمات القرآن ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى : (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ).(الأنعام الآية 31)

فقد جسمت الذنوب وصارت أثقالاً تحمل على الظهور ، وعقدت الصورة بين ثقل الحسرة والندم وثقل الذنوب وعظمها.

ويرى صلاح عبد الفتاح أن لسيد قطب الفضل في اكتشاف التجسيم الفني في القرآن وهو في نظره لا يقصد به المعنى الديني وإنما المعنى الفني.[2]

يقول سيد قطب : ونحن نستخدم كلمة التجسيم بمعناها الفني لا بمعناها الديني بطبيعة الحال إذ أن الإسلام هو دين التجريد والتنزيه.[3]

ومن أمثلة التجسيم الفني في القرآن الكريم قوله تعالي : (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ***).(إبراهيم بعض الآية 18)

---

[1] - الخالدي – نظرية التصوير الفني عند سيد قطب – ص 134

[2] -الخالدي - نظرية التصوير الفني – ص 146

[3] - سيد قطب – التصوير الفني في القرآن – ص 185

فقد أصبحت أعمال الكفار وهي شيء معنوي مجسمة في شكل رماد هبت عليه الريح فصيرته هباءً ، ثم هاهي صفات المؤمنين تجسم في هذه الآية الكريمة : (مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ). (البقرة الآية 261)

والصورة هنا تجسم الإنفاق الذي يزداد وينمو شأنه شأن الأشياء المادية ، ولما كان الإنسان مولعاً بالزيادة جاءت الصورة موافقة لميوله ، ولنتأمل كيف جسمت الروح في قوله تعالى : (فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ). (الواقعة الآيتان 83،84)

إنه مشهد رهيب تظهر فيه الروح وهي أمر معنوي في شكل جسم يتحرك وينتقل إلى حلقوم المحتضر حتى لنكاد نرى هذه الحركة التي يصورها التعبير البديع . وقد يجتمع التخيل بالتجسيم في العديد من آيات القرآن الكريم فيكون التعبير المعنوي في صورة مجسمة محسوسة ثم يمثل في الذهن حركة لهذه الصورة وهنا يكون التجسيم سابقاً على التخيل[1] ومن أمثلته قوله تعالى : (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ). (الأنبياء الآية 18)

تجسم الآية الحق في شكل جسم هائل الثقل يهوي بصورة متخيلة سريعة على الباطل فيدمره ، وكذلك قوله تعالى : (ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ).
(التوبة بعض الآية 26)

والسكينة هنا جسم يتحرك في صورة تخيلية حسية تُنَزّل وتُلقى على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين معه.

والسمة الثالثة من سمات التصوير القرآني هي :

[1] - سيد قطب - التصوير الفني – ص 96

التناسق الفني :

التناسق هو أن يتخيل الأديب بألفاظه نسقاً يفجر فيه مجموعة من الصور والظلال والإيقاعات التي يجب أن تنسجم مع الجو الشعوري الذي تصوره الدلالة المعنوية الذهنية[1] إن الصورة لا ينبغي أن تدرس منفردة على البناء ، وإنما هي صورة داخل نسق يظهر التصوير البديع في إيرادها بحسن تألفها مع غيرها وانسجامها مع السياق ، لأنها تبقى صورة ضمن تكوين شامل كحجرٍ في بناء أو نغمة في لحن هرموني.[2] وقد بلغ التناسق في القرآن ذروته لما حواه من خصائص معجزة من نظم فصيح إلى سرد عذب إلى معنى مترابط ، إلى نسق متسلل إلى تعبير مصور إلى تصوير مشخص إلى تخيل مجسم ، إلى موسيقى ونغمة إلى تناسق في الأجزاء والإطار إلى افتنان في الإخراج ، وبهذا كله يتم الإبداع ويتحقق الإعجاز.[3]

ونلاحظ هذا التناسق في هذه الآية الكريمة مثلاً التي يصف فيها الله الكفار بقوله : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ).(الأنفال الآية 22)

إذ ورد لفظ (الدواب) في السياق الحقيقي المناسب لها ، والحالة المصورة تقترب كثيراً وتتناسق مع هذه المفردة ، إذ لا فرق بين ما لا ينتفع بالهدى الماثل بين يديه وبين الدابة التي لا تعي ولا تعقل ، ويصورهم النظم البليغ من جديد في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ).(محمد بعض الآية 12)

إن حالة الكفار هنا مصورة في صفة الأنعام ، إذ لا هدف لهم في هذا الوجود سوى الأكل والشرب ، كما تأكل وتشرب الأنعام في غفلة عن الحق والغاية التي خلقوا من أجلها، ويقابل القرآن أحياناً بين صورتين ، ينسق بين أجزائها حتى تظهر الصورة واضحة المعالم ويصل معناها شغاف القلوب مثل قوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ).(الشورى الآية 29)

---

[1] - الخالدي – نظرية التصوير الفني – ص 88

[2] - محمد حسن عبد الله – الصورة والبناء الشعري – ص 19

[3] - الخالدي – نظرية التصوير الفني عند سيد قطب – ص 116

إذ يقابل القرآن بين مشهد (البث) ومشهد (الجمع) فيربط بين الصورتين ويستشعر هول نهاية هذا المشهد في آية قصيرة في القرآن[1] وهذا تقابل أيضاً بين صورتين ماثلتين في الحاضر ، وقد يقابل التعبير القرآني بين صورتين أيضاً إحداهما ماضية والأخرى حاضرة مثل قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِين).(يس الآية 77)

تصور الآية خلق الإنسان من نطفة ، وذلك بالعودة إلى أصله وتكوينه ثم تحدثنا به الحاضر أن نرى مشهده وهو خصيم مبين ، وتنزل للخيال تمثيل البعد بين مرحلتين لذلك يجب على النفس البشرية أن تتواضع أمام خالقها حين تدرك أصلها الحقير الصغير ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى : (كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ * فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى).(القيامة الآيات 26– 33)

إن المشهد في بدايته يصور المحتضر في لحظاته الأخيرة وقد لفت ساقه بالأخرى ثم ما تلبث الآية أن تحيلنا على خلفيته الماضية في دنياه وما اغترفه من ذنوب،فهذا التناسق في التعبير القرآنى ونظمه وائتلاف نغمه وإيقاعه مع معانيه ، كل ذلك بغاية التأثير وإثارة مكامن الحس في المتلقي ومنه فإن ملكة تذوق الموسيقى لم تخلق عبثاً في البشر شأنها شأن الملكات الأخرى التي ترتبط بالوجدان فيهتز الإنسان بالإيقاع والنغم ويتأثر به.[2]

بل وربما يفصح النغم بما لا يقوى القول على الإفصاح به ، وربما هذا هو السبب في زعم الفلاسفة " أن النغم فضل بقية في المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيح لا على التقطيع ، ولما ظهر عشقته النفس وحنت إليه الروح " ولذلك قال أفلاطون : لا ينبغي أن نمنع النفس من معاشقها بعضها

[1] - سيد قطب – في ظلال القرآن – ج6 ص 3158

[2] - الداعي محمد– الوحدة الفنية في القصة القرآنية ط1 1993م – ص 220

بعض ، ألا ترى أهل الصناعات إذا خاف الفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان. [1] وإذا قلنا التناسق في إيقاع القرآن فإننا نعني به اتساق القرآن وائتلاف حركاته وسكناته ذلك ما يستدعي الأسماع ويستهوي الأنفس بطريقة يمكن أن لا يصل إليها أي كلام آخر من منظوم أو منثور.[2]

لا شك أن الإعجاز في تناسق القرآن الموسيقى التصويري يدركه كل من أرهف حسه ، وكل من ألقي سمعه إلى مجموعته الصوتية سيجد لذتها ويوقن استفادته من النغم حتى ولو كان المستمع أعجمي ، وينتج هذا التناسق فواصل متساوية في الوزن متحدة في حرف واحد ذات إيقاع موسيقي متحد.[3]

كما هو الشأن في الآية الكريمة : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى).(النجم الآيات 1– 4)

فقد انسجم الإيقاع مع السياق كالجمل المتوسطة في الطول تبعاً للتشبيه بالجو القصصي ، كما قد ينتج الإيقاع عن العدول في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة إلى صورة خاصة وذلك مراعاة لإيقاع الآيات[4] ومثل ذلك نجده في مجادلة سيدنا ابراهيم عليه السلام لقومه في الآيات الكريمة : (قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ).(الشعراء الآيات 75– 82)

نلاحظ في هذه الآيات أن (ياء) المتكلم في (يهدين ويسقين و يشفين ويحيين) قد حذفت لتوافق حروف الفواصل (تعبدون ، الأقدمون والدين).

---

[1] - المرجع نفسه – ص 220

[2] - بكري شيخ أمين – التعبير الفني في القرآن الكريم – دار العلم – ط1 – 1994م – ص 190

[3] - المرجع نفسه – ص 191

[4] -سيد قطب - التصوير الفني – ص 86

إنه ميزان موسيقي رفيع ، خفيف على الأذن شديد الأثر في النفس ، ولعل هذا الجمال الصوتي والإيقاع الساحر ، والتناسق المحكم ، هو أول ما شد الأذن العربية فور نزول القرآن ، وهو تناسق حفظ للقرآن مناعته وإعجازه.[1]

[1] -الخالدي - نظرية التصوير الفني – ص 166

المبحث الثالث: موضوعات الصورة الفنية في القرآن الكريم

وقد طرحت الصور القرآنية هذه المواضيع طرحاً جديداً ذلك أن القرآن الكريم جاء بقراءة جديدة للحياة والكون ، اقتربت الصورة فيه من مناطق لم تكن مطروقة من قبل ظهر فيها أثر الثقافة والفكر بارزاً يواجه الإنسان بمعلومات عن الكون وعن نفسه ، لم يكن العلم البشري قد بلغها بعد ، ذلك لتكون دليلاً كاملاً إلى الإيمان بالله. [1] كل ذلك بمنهج يتفق مع جميع المستويات الفكرية قائم على الاستدلال الاستقرائي ، والاستقراء التاريخي ، وبهذا يستخدم القرآن منطقاً خالياً من التعقيد ، يتحدث إلى عامة الناس حديث القلب والعاطفة والبلاغة والفصاحة ، ويتحدث إلى خاصتهم ، مثيراً في عقولهم ومؤثراً على تفكيرهم ، فالمنهج القرآني إذاً يوافق العامة كما يوافق الخاصة ، وذلك بسبيل الأدلة التى أتى بها القرآن حتّى تستجيب النفوس لرسالته القدسية.[2] وذلك أن النظم الكريم يسخر هذه السبل من الجمال والتناسق الفني في قضايا الدين والعقيدة ، وهذا التكامل المعجز بين الفن والدين هو سبب الخلود الذي يمتاز به القرآن الكريم وفضل به نسقه وأسلوبه عن سائر الأساليب الأخرى ، كما تجدر الإشارة أخيراً إلى أن جل الموضوعات التي تناولتها صور القرآن لم تنحصر في تلك البيئة فترة نزوله أو عينة من البشر بحد ذاتها ، وإنما رصدت النفوس البشرية بأسرها وفي كل زمان ومكان وعالجت قضايا تختص بالبعث والعذاب والنعيم ترغيباً وترهيباً ودعوة إلى سبيل الحق والرشاد.[3]

إن التعبير بالصورة كما سبق هو قاعدة القرآن الأساسية في عرض العقيدة ومعالجة كل الأغراض ، وقد تعددت موضوعات الصورة القرآنية واتسعت مجالاتها وكان الإنسان المحور الأساسي في تشكيلها ، حيث نجد التركيز والاهتمام في القرآن منصبين على القيم الإنسانية وقيم الشعور ، فغدت في الأهمية الأولى بدل القيم الأخرى المرحلية التي

---

[1] - البازجي مصطفى ناصف - الصورة الفنية في القرآن الكريم -- ص 160

[2] - محمد الجابري وآخرون – الفكر الأسلامي ودراسة المؤلفات – مطبعة دار النشر المغربية – ط2 د ت ط – ص 40

[3] -البازجي مصطفى ناصف – الصورة الفنية في القرآن الكريم – ص 41

تتغير ولا تستقر على حال ، ذلك لأن الإنسان هو خليفة الله في أرضه ولأجله وضعت الرسالة.[1]

واشتملت موضوعات الصورة الفنية على الآتي:

أ- النماذج الإنسانية :

حفلت صور القرآن بأصناف من البشر خدمة لمختلف الأغراض ، كانت هذه الأصناف أحياناً صورة للجنس البشري كله وأحياناً أخرى لأشخاص منه وفى كلتا الحالتين تكون هذه الصفات خالدة ولا تخفى على الإنسان في كل زمان ومكان.[2]

والإنسان مخلوق باستعدادات تحمله المسئولية نحو ما يصدره من خير وشر ، لذلك حفلت به صور القرآن فرصدت إيجابياته وسلبياته من الكفر والظلم والطغيان ، كما وصفته بالإيمان والعدل والطيبة بهدف الإصلاح والتهذيب ، لأنه نواة الحياة تصلح بصلاحه وتفسد بفساده.[3]

ومن هذه الجوانب :

* الجوانب السلبية : تكشف صور القرآن عن صفات سلبية في نفوس البشر مثال لذلك قوله تعالى : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ).(البقرة الآيتان 17،18)

هذه الصورة شخصت حال المنافقين وتذبذبهم بين الكفر والإيمان وهي عينة تصورها أيضاً الآية الكريمة : (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).(البقرة الآيتان 19،20)

---

[1] - المرجع نفسه – ص 118

[2] - سيد قطب - التصوير الفني – ص 175

[3] -مصطفى ناصف – الصورة الفنية في القرآن الكريم – ص 125

إنه مشهد لأشخاص مترددين لا يربطهم بالإيمان إلاّ خيط رفيع سرعان ما ينقطع عند أول عارض ، ولن نجد تصويراً أبلغ من منظرهم وهم يحاولون إيقاد النار طلباً للضوء فما أن أنيرت الدنيا حولهم حتي ألفوا أنفسهم بعد لحظة في ظلام دامس وهي قمة تصوير النفاق والتأرجح بين نور الإيمان وظلام الكفر، وشبيه بهذه الصورة مشهد الذي : (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ).(الحج بعض الآية 11)

هذه الصورة تمثل كسابقتها في الاستقرار والتأرجح بين الهدى والضلال وكلاهما يصوران تزعزع العقيدة وانقلاب الحال من الهدى إلى الضلال فأخرجها القرآن في نسق فني رائع ألقى في نفوسنا مشاعر الاحتقار تجاه هؤلاء المنافقين، ثم تعرض الصورة في موضع آخر نموذج إنساني لا يختلف عن السابق من حيث السفه والحمق والإعراض عن الحق ذلك في قوله تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ).(الأعراف الآية 175)

حين نتأمل ما تثيره هذه الصورة من معاني الضلال لصنف من البشر يأتيه الحق من كل الجوانب فيتملص منه ويعرض ، إنها ترسم مشهداً عميقاً بظلها الذي توحيه حتى أننا نرى هذا الكافر ينسلخ كأنما الآيات أديم به متلبس بلحمه وهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه.[1]

ثم تظهر هذه الصورة في الآية الكريمة مشاعر السخرية والاحتقار في قوله تعالى : (فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) (المدثر الآيات 49– 51)

يسخر النظم الكريم في هذه الصورة من نموذج المعرضين ، الذين يقتصر إعراضهم عن الرفض وإنما يفرون جرياً ما يشبه في سرعته فرار الحمر من بطش

[1] - سيد قطب – في ظلال القرآن 3 /– ص 1396

القسورة ، ومن هنا كان تصويره على هيئة الحيوانات مناسباً ، وفي ذلك تحقير له وحكم عليه بالغفلة والبلادة وانقطاع الرجاء منه.[1]

والواقع أن القرآن يتناول هذه النماذج بريشة التصوير النفسي الذي يأثر في نفوسنا كتأثير الهزات الكهربائية للأمراض العصبية ، حين تم التنسيق بين الأجواء الروحية الفكرية والفنية وتحقق الغرض الديني ، وتمثلت الغاية النفسية وتمكن الإيقاع المطلوب من النفوس والقلوب.[2]

* الجوانب الإيجابية :

لا شك أن الصفحة الإنسانية ليست كلها سوداء وإنما فيها الألوان الذاهية الفاتحة للنفس ما يغطّي هذا الجزء السوداوي ، الذي وإن كنت قد تناولته فإنما كان ذلك التناول بهدف الإرشاد التربوي.[3]

ولقد أهل الله عز وجل النفس البشرية للخير وهو أعلم بقدراتها الإيجابية ولذلك استخلفها في الأرض ، وأوكل إليها حسن التدبير والتنظيم قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ).(البقرة الآية 30)

والسمات الإيجابية أساسية في النوع البشري ، أما سمات الشر فيمكن تغييرها وإن أهم الصفات الحسنة مشتركة بين الناس عامة موحدة الأصل وطبيعة الإنسان فأصله آدم عليه السلام وهذا الأخير سوي الشخصية نقي السجية ، وفي حده نجد عوامل مساواة البشرية القائمة على علاقة القربى والرحم والتي مقرها الأرض.[4]

ومن هذه النماذج ما وصفته الآية الكريمة في قوله تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ

[1] - مصطفى ناصف - الصورة الفنية في القرآن الكريم – ص 129
[2] - محمد الداعي - الوحدة الفنية في القصة القرآنية – ص 23
[3] - المرجع نفسه – ص 146
[4] -الهاشمي: عبد الحميد محمد الهاشمي – لمحات نفسية في القرآن – نشر وتوزيع مكتبة الجزائر – د ت ط – ص 73

أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً).(الفتح الآية 29)

إنها صورة مشرقة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في أسمى معاني التعاون والنصرة ومشهداً يملأ النفس انشراحاً ، صورة المؤمنين والرسول بينهم وقد(استغلظ) بما شاركهم فيه من غذاء العقيدة ونور الإيمان ، وهذه عينة أخرى من هذه النخبة التي صورها التعبير ، وهي أيضاً صورة للتآلف والالتفاف يقول الله تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ).(الحشر الآية 8)

إننا نرى هؤلاء المؤمنين وهم يخرجون من ديارهم يتثبتون بإيمانهم وينصرون دين الله إنّها الصورة المثالية التي تناولها النظم الكريم حتى تقتدي النفوس، ثم تطالعنا الصورة التالية بصخب المعركة وصبر المؤمن الشجاع وذلك في قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).(آل عمران الآية 173)

هي صورة لنموذج رائع ومثال في الصبر والثبات وتزاوج فيها الصدق الواقعي بالجمالي في تجسيد الإخلاص والولاية لله من مؤمنين داسوا على جراحهم وآلامهم ولم يزحزح إيمانهم بالله تخويف الناس لهم ولا جموع الجيوش المشركة.[1]

ولننظر بلاغة التصوير في تعبير القرآن حيث يسمو التعبير بالفقير فيرفعه إلى أعلى درجات الكمال ويصبح بفضل جمال التعبير القرآني وصدقه في أقصى معاني الكرامة يقول عز وجل : (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ).(البقرة الآية 273)

[1] - الخالدي – نظرية التصوير الفني - ص 224

لا شك أن المشاعر تشخص لها القلوب إجلالاً أمام هذه الصورة الكريمة للمؤمنين وكأنهم مارين بالقرب منا في زهوهم وكرامتهم كل ذلك بفضل الأسلوب الأخّاذ الذي يوحي بملامح هذه الشخصيات وأبعادها ، لأنها لمسات ريشة القرآن ، والريش البشرية حتماً لا تستوعب من لمسات سريعة كهذه ، فأعمق خصائص النماذج الإنسانية الإيجابية بهذا الوضوح والشمول ، إن كل كلمة أشبه بخط من خطوط الريشة في رسم الملامح وتحديد السمات ، وسرعان ما ينتفض النموذج المرسوم كائناً حيّاً مكتمل الشخصية فإنها عملية خلق أشبه بعملية الخلق التي تخرج في كل لحظة من يد البارئ.[1] والأمثلة على هذه النماذج كثيرة في القرآن لن تكفي الصفحات ولا حتى المجلدات لحصرها ، ذلك أن جمال القرآن أكبر من كل فهم ، ونصل أخيراً إلى أن الحضور الإنساني في صور القرآن كبير ويعتبر محور الحياة والنواة التي تحوم حولها قضايا العقيدة بجملتها وتفصيلها.

ب – مظاهر الطبيعة :

سبق وقد ذكرنا أن الطبيعة كانت جزء في تشكيل الصورة القرآنية ، وأن القرآن انطلق منها للوصول إلى النفوس، فصور السماوات والأرض والجبال والبحار والبساتين والظلال إلى غير ذلك من عناصر الوجود، ذلك أن القرآن يوجه النظر إلى الكون لأنه طريق الوصول إلى خالقه ، لا سيما أن الكون يمثل الجمال في كل ما تحمله الكلمة من معنى يقول سبحانه وتعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).(البقرة الآية 164)

[1] - الخالدي – الميزان في ظلال القرآن– دار الشهاب الجزائر – ط1 – 1986م – طبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – ص 389

إنها صورة تمر أمامنا مرحلة بعد أخرى فكل مشهد منها يضم الآخر وينسجم معه . هذه السموات قد لمعت مصابيحها (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ).(الملك بعض الآية 5) وهذه الأرض قد فجرت عيوناً (وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً).(القمر بعض الآية 12)

إن هذه الصور أشبه بسمفونية مترابطة الإيقاعات متآلفة من البداية إلى النهاية إذ تتدرج المشاهد إلى غاية نتيجة مفادها أنها دلائل على الجمال والجلال ، ثم لنتأمل الصورة التالية في قوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).(الرعد الآيتان 2،4)

تظهر الصورة بعداً آخراً جديداً مغايراً للبعد السابق ، فالسماء هي السماء والأرض هي الأرض لكنهما هنا غيرهما هناك في كل موضع بجمال خاص وما يقال عنها يقال عن الليل والنهار والنبات إنها لمسة القرآن السحرية وجماله الأزلي ، ثم هاهو البرق يومض وكأنه إشارة ضوئية تدعو النفس وتذكرها في انسجام مع تسبيحات الرعد وتهليلاته ، يقول سبحانه وتعالى : (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ * وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ).(الرعد الآيتان 12،13)

إنها الرهبة والرغبة مجتمعتين وتحذير من العذاب وبشرى بالرحمة والنعمة ، وتذكير بسلطان الله ، أي أن الله يرينا البرق خوفاً من أن يكون مقدمه لصواعق ، أو طمعاً فيما ورائه من غيث عظيم.[1]

إن الله يكون السحاب الذي تسوقه الرياح نحو السماء ويجعله كسفاً مملوءً بالماء والرعد وسط هذا كله في تسابيحه وحمده شأنه شأن الملائكة ، ثم تكتمل الصورة جلالاً

[1] - سيد قطب –نظرية التصوير الفني - ص 213

ورهبةً بالصواعق المرسلة من الله إلى حيث يشاء ، مما يوسع دائرة الخوف ، وهي ليست بعيدة عن أي من الخلق ، ووسط هذا الجو المهيب يجادل الكفار في الله وهو شديد المحال ، ومسير هذه الظواهر لا شك أنها أشد الصور وقعاً في النفوس بجمالها وجلالها وسمو غايتها.

ج- مشاهد القيامة :

كانت هذه الصورة أعني صور البعث أكثر الصور وروداً في القرآن الكريم لأنه أراد أن تظل حاضرة في النفوس والأذهان ، وحتى تحقق هذا الأثر لا بد من تخير أسلوب خاص بها وهو أسلوب التعبير بالصورة التي أكسبها وقعها في النفوس.[1]

وقد عبر القرآن عن هذا الواقع بقوله عز وجل : (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ).(غافر الآية 18)

هي صورة للحالة النفسية التي يمر بها الناس يوم البعث وشدة هلعهم إلى درجة ترتقي للقلوب فيها من أمكنتها حتى تبلغ الحناجر من شدة الضيق.

إنه يوم تشخص فيه الأبصار ويحبس الأنفاس حيث لا حميم ولا خليل وذلك كما في في قوله تعالى : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً).(الفرقان الآيتان 27،29)

ولنتأمل هذا الظالم وهو يعض على يديه واقفاً بمفرده يتندم على ما فاته ويرسمه خيالنا وكأنه أمامنا غارقاً في دموع الحسرة والندم ، ذلك بما أوحته لنا صيغ الندم في الآية (يعض ، ويلتى ، وليتني) التي تعتبر كلها صوراً للخذلان، إنها مشاهد كثيرة تطالعنا بها سور القرآن أوردنا أمثلة قليلة منها ، وما يلاحظ فيها أن العرض يوافق الأصول الفنية التي تحددها الصورة النفسية وطبيعة الموقف ، ثم يصل إلى تبليغ

[1] - المرجع نفسه - ص 215

الغرض الديني ، كما أن العرض يطول في مواقف الحوار والخصام ، أو الندم والحسرات أو الاعتراف ، ويقصر في مواقف الحسم والفصل ووضوح الأمور. [1]

صور العذاب والنعيم :

ترد صور العذاب والنعيم في القرآن تارة في شكل مادي محسوس وتارة أخرى في شكل معنوي ممثل في ظلال نفسية مثل قوله تعالى : (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ *لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً).(الواقعة الآيات 27– 38)

فهذه لذة مادية تجذب حواس المتلقي وتثيره حسب ما يتسع به خياله.

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى : (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمْ الأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ).(ص الآيات 49– 54)

هذه الجنان الخضراء والفواكه الكثيرة والشراب اللذيذ ، وقاصرات الطرف كلها صور تستشعرها النفوس وتتلذذ بجمالها ، إنه نعيم مادي يحسه المؤمنون ، وما يميزه إنه خالد متجدد، وقد تأتي بعض صور النعيم في صفة معنوية توحي بظلال نفسية كما في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَنُ وُدّاً).(مريم الآية 96)

فهذا مشهد للمتعة المعنوية القائمة على الود بين الرحمن والمؤمنين ، فأي إلفة أجمل من حب الله لعباده وحبهم له.[2] والجدير بالذكر أن الصورة في بعض المواضع من القرآن ترسل ظلالاً توحي براحة واطمئنان المؤمنين فقد حلوا بدار السلام مثل قوله تعالى : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ).(فاطر الآيتان 34،35)

[1] -سيد قطب - نظرية التصوير الفني – ص 217

[2] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 116

لا شك أننا نشعر بالاستقرار النفسي والسلام الروحي اللذين تثيرهما لذة النعيم كما أن صور القرآن تجمع بين النعيم المادي والمعنوي حتى تكتمل صورة اللذة بنوعيها وتحقق الأثر في النفوس كما في قوله تعالى : (إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ).(الصافات الآيات 40– 49)

هذا المشهد مغري للنفوس ، فمن منا لا يتوق إلى مكان كهذا حيث الرزق الكريم والعيش العزيز ، الذي توحيه لنا صور هذه الآية الكريمة من لذة الأكل والشرب وحسن المقام ، لا شك أنه مشهد يشبع اللذتين الجسدية والنفسية على حد سواء.

كل هذا ويبقى نعيم الجنة فوق كل تصور ، لكنه مع ذلك قرب من أفهامنا بفرض الأسلوب النير في التصوير ، وقد صورت لنا مشاهد العذاب بالطريقة ذاتها إذ تجسد أحياناً في موقف مادي تمسه الأبدان ، كقوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ).(الواقعة الآيات 51– 56)

إنه قمة العذاب تتوالى فيه الأهوال ، أكل ذو غصة وشراب يشوي البطون وتكتمل الصورة بخاتمة مروعة (هذا نزلهم يوم الدين)

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً).(النساء الآية 56)

إنه الهول المفزع المتكرر الذي عبرت عنه (كُلّمَا) ونستشعر هول هذا المشهد في الحركة المتعاقبة من احتراق الجلود ثم استبدالها بأخرى ، وكل هذا وسط صراخ أصحابها والمشهد لا يتوقف بل يتوالى وقعه في نفوسنا بتوالي صورته في أذهاننا[1].

[1] - سيد قطب ، نظرية التصوير الفني ، ص 218

ثم هاهو العذاب في صورة معنوية نفسية ترسم ظلالها النفوس الكافرة يقول سبحانه وتعالى : (إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا).(النبأ الآية 40)

تظهر شدة العقاب مع شدة الندم ، وتتضاعف قسوته في إذهاننا حيث نتأمل أمنيته في أن يكون تراباً هو عنصر حقير لكنه أهون من مواجهة العذاب الغليظ[1] وفي موضع آخر نجد تزاوج صور العذاب المادية المحسوسة بأخرى نفسية ، نحو ما في قوله تعالي (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ* كَغَلْيِ الْحَمِيمِ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ).(الدخان الآيات 43– 47)

إنه العذاب ببعديه الجسمي والنفسي ، تظهر صوره الأولى في أكل الزقوم الذي يشوى البطون ويتمثل الثاني في الهيئة الذليلة التي يساق بها الشخص إلى الجحيم ومشاعر الذل ألقتها في نفوسنا ظلال (إنك أنت العزيز الكريم) وهو تهكم وسخرية واضحين من رب العزة.

لا شك أنها جهنم التي استجار المؤمنون بالرحمن منها يقول سبحانه وتعالى : (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً).(الفرقان الآيتان 65– 66)

والواقع أن المؤمنين لم يروا جهنم قط لكن إيمانهم يرسم صورتها التي ساقها القرآن الذي عبر عنها وكأنها تعترض كل شخص تريد اعتراضه وتبسط يديها لتبطش كل قريب وبعيد ، وكأن هؤلاء المؤمنين في زاوية وسط هذه المجزرة يتضرعون إلى الله ويناجونه ليبعد هذا الخطر عنهم فإن (عذابها كان غراما) أي مزمناً لا يفارق صاحبه وهذا ما يزيد في الفزع والخوف إنها (ساءت مستقراً ومقاماً) وهل جهنم مكان حتّى يستقر فيه الإنسان ويقيم ؟ وأين الاستقرار وهي النار ، وأين المقام وهو التقلب على اللظى ليل ونهار، فالموضوعات التي عالجتها صور القرآن عميقة عمق الرسالة كما أن مجالاتها اتسعت في غرض واحد وهو هداية الإنسان وإرشاده إلى سبيل الحق.[2]

[1] - ابن عاشور التحرير والتنوير ص 82

[2] - صفوت عبد الفتاح محمود- إيضاح القرآن – شركة الشهاب للنشر والتوزيع – د ت ط – ص 48

المبحث الأول : تطبيق التشبيه على الربع الأخير من القرآن الكريم

فيما يلي نستعرض دراسة تطبيقية للتشبيه في الربع الأخير من القرآن الكريم مع تفسير وتحليل كل آية فيها تشبيه.

قال تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ).(يس الآية 13)

التفسير : (واضرب لهم مثلاً) ومثل لهم مثلاً ، من قولهم : عندي من هذا الضرب كذا ، أي من هذا المثال ، وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلاً مثل أصحاب القرية.[1]

الوجه البلاغي : من قبيل التمثيل والضرب بمعنى القصة العجيبة الشأن ، أي اذكر لهم قصة عجيبة كقصة أصحاب قرية أنطاكية.

قال تعالى : (قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ).(يس الآية 15)

التفسير : (قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا) أي ما أنتم إلاّ أناس عاديون شبهنا تأكلون الطعام وتمشون فى الأسواق ، ولا نرى لكم من فضل علينا بل نظن أنكم تكذبون علينا فقط ليس إلا.[2]

الوجه البلاغي : في الآية تمثيل ومعنى إلاّ بشر مثلنا أي شبهنا وعلى شاكلتنا.

قال تعالى : (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ).(يس الآية 39)

التفسير : (والقمر قدرناه منازل) أي قدرنا مسيره في منازل يسير فيها لمعرفة الشهور وهي ثمانية وعشرون منزلاً في ثمانية وعشرون ليلة ، ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتعداها ، فإذا كان في آخر منازله رق وتقوس ، (حتى عاد كالعرجون القديم) أي حتى صار كغصن النخل اليابس ،وهو عنقود التمر حين يجف ويصفر

[1] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ج4 ص 7

[2] - القرطبي : أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري – الجامع لأحكام القرآن – دار الكتب العلمية بيروت ط2 ج3 – 1965م – ص 16

ويستقوس ، قال ابن كثير : جعل الله القمر لمعرفة الشهور ، كما جعل الشمس لمعرفة الليل والنهار.[1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل مفصّل ، ووجه الشبه مركب من ثلاثة أشياء : الرقة والإنحناء والصفرة.

قال تعالى : (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ).(يس الآية 42)

التفسير : أي وخلقنا لهم من مثل سفينة نوح السفن العظيمة التي يركبونها ويبلغون عليها أقصى البلدان ، وإنّما نسب الخلق إليه لأنها بتعليم الله عز وجل للإنسان ، وقال ابن عباس : هي الإبل وسائر المركوبات فهي في البر مثل السفينة في البحر [2]

الوجه البلاغي : من قبيل التمثيل (فمن مثله) أي على شاكلته أو خلقنا لهم سفينة كتلك السفينة التي حملت ذريتهم.

قال تعالى : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ).(يس الآية 78)

التفسير : أي ونسي أن أنشأناه من نطفة ميتة فركبنا فيه الحياة ، وجوابه من نفسه حاضراً وقال من يستطيع إحياء تلك العظام التي أصبحت رميماً ، فيستطيع إحياءها الذي أنشأها أول مرة كما هو الحال في الآية التي تليها.[3]

الوجه البلاغي : في الآية تمثيل والضرب هنا بمعنى الجعل والتبيين.

قال تعالى : (وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُحْضَرُونَ).(يس الآية 75)

التفسير : أي هؤلاء المشركون كالجند والخدم لأصنامهم في التعصب لهم ، وفدائهم بالروح والمال ، مع أنهم لا ينفعونهم أي نفع ، قال قتادة : المشركون يغضبون للآلهة في الدنيا ، وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شراً إنما هي أصنام والمشركون كأنّهم خدام.[4]

---

[1] - الصابوني : محمد علي – صفوت التفاسير – ج3 ط10 – دار الصابوني للطباعة والنشر – د ت ط – ص 15

[2] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 16

[3] - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ص 56

[4] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 24

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه البليغ ، (وهم لهم جند محضرون) أي كالجند في الخدمة والدفاع حذفت الأداة ووجه الشبه فأصبح بليغاً.

قال تعالى : (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ).(الصافات الآيتان 48،49)

التفسير : يعني أن لهم نساء هن أزواج لهم ، ومعنى قاصرات الطرف أي لا ينظرن إلا إلى أزواجهن وذلك لحسنهن وجمالهن ، وقوله : (عين) أي واسعات الأعين ، (كأنهن بيض مكنون) هذا وصف لنساء الجنة وأنهن بيض الأجسام كبياض بيض النعام ، إذ هو أبيض مشرب بصفرة وهو من أحسن أنواع الجمال عند النساء ، (مكنون) مستور لا يناله غبار ولا أي أذى.[1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل ذكرت فيه الأداة وهي الكاف وحذف منه وجه الشبه.

قال تعالى : (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ).(الصافات الآيتان 64،65)

التفسير : (تخرج في أصل الجحيم) أي في قعر الجحيم وأغصانها في دركاته ، (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) أي ما يطلع من ثمرها كالحيات القبيحة المنظر والشنيعة الشكل.[2]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل وعد أيضاً من قبيل التشبيه الوهمي بناءً على ما جاء في قول امرؤ القيس :

أَيَقْتُلَنِي والمُشْرَفِي مَضَاجِعِي *** وَمَسنُونَةٌ زرقٌ كأنْيَابِ أغْوَالِ[3].

قال تعالى : (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ).(ص الآية 28)

---

[1] - الجزائري أبوبكر جابر– أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – ج3 – مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة – 1427هـ - 2006م – ص 83

[2] - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ص 86

[3]- هذا البيت ذكر سابقاً في ديوان امرؤ القيس

التفسير : (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض) أي هل نجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين ؟ ، (أم نجعل المتقين كالفجار) أي أم نجعل الأخيار الأبرار كالأشرار الفجار ؟ ، والغرض : أنّه لا يتساوى في حكمته تعالى المحسن والمسيء ولا البر مع الفاجر ففي الآية استدلال على الحشر والجزاء.[1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه عكسي أو تشبيه مقلوب.

قال تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ).(فصلت الآية 11)

التفسير : أي ثم استوى إلى السماء وهي دخان وقال لكليهما أعني السماوات والأرض بالأمر والإتيان وبالإحسان أو الكراهية أتيا طائعين دلالة على قدرته سبحانه وتعالي.[2]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه بليغ في قوله : (وهي دخان) بحذف أداة التشبه ووجه الشبه أي وهي كدخان.

قال تعالى : (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ).(فصلت الآية 13)

التفسير : أي عن هذا الاستدلال ، وعن الإيمان بهذا العزيز الغالب على كل شيء الذي اقتضى علمه ترتيب بعض الأمور ، فقل أنذرتكم صاعقةً شبيه بصاعقة عاد وثمود لأنّهم مثلكم في العناد و استحباب العمى على الهدى.[3]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه تمثيلي في قوله : صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أي شبيه بهما في عنادهما واستحبابهما الكفر عن الهدى ووجه الشبه منتزع من متعدد.

قال تعالى : (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ).(فصلت الآية 34)

التفسير : أي لا يتساوى فعل الحسنة مع فعل السيئة ، بل بينهما فرق عظيم في الجزاء وحسن العاقبة (وادفع بالتي هي أحسن) أي ادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن مثل

---

[1] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 56

[2] - محمد محمود حجازي – التفسير الواضح – دار التفسير للطبع والنشر ط12 – 1424هـ 2003م – ص 327

[3] - محمد جمال الدين القاسمي – محاسن التأويل – تحقيق أحمد بن علي دار الحديث القاهرة د ت ط – ص 217

أن تدفع الغضب بالصبر والجهل بالحلم ، والإساءة بالعفو ، قال ابن عباس : ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك ، (والذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) أي فإذا فعلت ذلك صار عدوك كالصديق القريب الخالص الصداقة في مودته ومحبته لك.[1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل مجمل في قوله : (كأنه ولي حميم) ذكرت أداة الشبه وحذف الوجه فصار مرسلاً.

قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ).(الشورى الآية 32)

التفسير : أي من علاماته الدالة على قدرته الباهرة سبحانه وتعالى ، وسلطانه العظيم السفن الجارية في البحر كأنها الجبال من عظمتها وضخامتها.[2]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل في قوله :(الجوار في البحر كالأعلام) أي كالجبال في الضخامة والعظم ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه.

قال تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ).(الزخرف الآية 17)

التفسير : أي إذا أخبر أحد المشركين بولادة ما جعلوه للرحمن مثلاً وشبيهاً ظل وجهه مسوداً ، والظلول الصيرورة أي صار وجهه أسوداً للغاية من سوء ما بشر به ، ويجوز أن يكون اسوداد الوجه عبارة عن الكراهة ، (وهو كظيم) أي أن حاله مملوءة من الكرب والكآبة.[3]

الوجه البلاغي : من قبيل التمثيل ، والضرب في الآية بمعنى الجعل والتبيين.

قال تعالى : (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

(الزخرف الآية 10)

---

[1] - الصابوني صفوة التفاسير – ص 120

[2] - المرجع نفسه – ص 138

[3] - البروسوي : أسماعيل حقي – تنوير الأذهان من تفسير روح البيان – تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني – ج4 – دار الصابوني للنشر والطباعة – د ت ط – ص 8

التفسير : أي بسط الله الأرض وجعلها كالفراش لكم تقومون عليها وتنامون ، وجعل لكم فيها طرق تسلكونها في أسفاركم لكي تهدوا إلى قدرة الخالق.[1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه بليغ في قوله : (جعل لكم الأرض مهداً) أي كالمهد والفراش حذفت الأداة ووجه الشبه فصار بليغاً.

قال تعالى : (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ* كَغَلْيِ الْحَمِيمِ).(الدخان الآيات 43- 45)

التفسير : قال ابن الزبعري : إن أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر التزقم فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال : تزقموا فإن هذا الذي يخوفكم به محمد فنزل (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) وهوالفاجر الكثير الآثام والذنوب ، (كالمهل) أي كالزيت ، (كغلي الحميم) الماء الحار الذي انتهى غليانه.[2]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه المرسل المذكورة فيه الأداة في قوله : (كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم).

قال تعالى : (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).(الجاثية الآيتان 7،8)

التفسير : (ويل) كلمة عذاب ، (لكل أفاك) كذاب ، والإفك : كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه ، (أثيم) صيغة مبالغة بمعنى كثير الإثم والذنب ، (يسمع آيات الله) صفة أخرى لأفاك والمراد آيات القرآن ، (ثم يصرّ) أي يقيم على كفره ويدوم عازماً عليه عاقداً ، (مستكبراً) عن الأيمان بما سمعه من آيات الله والإذعان بما نطق به الحق مزدرياً لها معجباً بما عنده من الأباطيل.[3]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل في قوله تعالى : (يصر مستكبراً كأن لم يسمعها) أي كأنه لم يسمع آيات الذكر الحكيم.

---

[1] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 146

[2] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 274

[3] - البروسوي – تنوير الاذهان من تفسير روح البيان – ص 43

قال تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ).(محمد الآية 3)

التفسير : هكذا خلق الله الخلق ، وجعلهم فريقين ، فريق في الجنة وفريق في السعير فريق اتبع الباطل وآخر اتبع الحق من ربه ومولاه ، فالذين كفروا بالله ورسوله ، وأعرضوا عن النور الذي أنزله على رسوله ، وصدوا غيرهم عن سبيل الله الذي هو سبيل العدل والكرامة ، هؤلاء أضل الله أعمالهم وأبطلها وجعلها ضائعة لا أثر لها ولا خير فيها.[1]

الوجه البلاغي : من قبيل التمثيل ، والضرب بمعنى التبيين والإيضاح.

قال تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً).(الفتح الآية 29)

التفسير : ذلك الرسول الذي أرسل بالهدى ودين الحق ، هو محمد رسول الله وخاتم أنبيائه وإمامهم ، وهو محمد الرسول الأمين الصادق الصدوق ، الذي يصلي عليه الله في علاه ، وملائكته الأبرار وصالحو المؤمنين – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته – هو محمد رسول الله وهؤلاء هم أصحابه الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، هؤلاء هم أصحابه أعلام الهدى وائمة الدين ، الذين يقول فيهم النبي (ص) :(أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) ، هؤلاء المسلمين تراهم ركّعاً سجّداً فهم كثيرو العمل والصلاة ولا يقصدون بذلك إلا وجه الله ولا يبتغون إلا فضل الله وإحسانه ، ولا يرجون إلا رضا الله ، هؤلاء المؤمنون سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وهو الأثر الذي يظهر في جبهة المصلي ، ذلك مثل المؤمنين من قبلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كالزرع

[1] - محمد محمود حجازي – التفسير الواضح – ص 457

المخضر الذي استوى وحان وقت حصاده حتى يعجب صاحبه ليغيظ بهم الكفار الذين هم أعداء الله وأعدائهم ، ووعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات بالمغفرة والثواب الحسن.[1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه تمثيلي رائع في قوله : (مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه) فوجه الشبه منتزع من متعدد.

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ).(الحجرات الآية 2)

التفسير : هذا أدب أدّب به الله سبحانه وتعالى المؤمنين ألا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فوق صوته ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قد تحبط أعمالكم بهذا عندما ترفعون أصواتكم فوق صوت النبي وأنتم لا تشعرون بهذا فعاملوا رسولكم بالتوقير والاحترام.[2]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه المرسل حيث ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه.

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ).(الحجرات الآية 12)

التفسير : ينادي الله سبحانه وتعالى المسلمين برباط الإيمان ، إذ به أصبحوا أحياءً يسمعون ويبصرون ويقدرون على الفعل والترك ، إذ الإيمان بمثابة الروح إذا دخلت الجسم تحرك فأبصرت العين وسمعت الأذن ونطق اللسان وفهم القلب ، (اجتنبوا كثيراً من الظن) وهو كل ظن ليس له ما يوجبه من القرائن والأحوال والملابسات المقتضية له ، ويعلل هذا النهي المقتضى بالتحريم فيقول : (إن بعض الظن إثم) وذلك كظن السوء بأهل الخير والصلاح في الأمة ، فإن ظن السوء فهم قد يترتب عليه قول باطل ، (ولا

[1] - محمد محمود حجازي – التفسير الواضح – ص 497

[2] - ابن كثير : الأمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء أسماعيل – تفسير القرآن العظيم – ج4 – دار المعرفة بيروت – 1388هـ 1969م – ص 203

تجسسوا) لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها والاطلاع عليها ، (ولا يغتب بعضكم بعضاً) أي لا يذكر أحدكم أخاه في غيبته بما يكره ، وهنا يروى في الصحيح من الأحاديث أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال له : (ذكر أخاك بما يكره) فقال الرجل : فإن كان فيه ما يكره قال : (فإن كان فيه مايكره فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما يكره فقد بهته) والبهتان أسوء الغيبة ، (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) ؟ الجواب لا قطعاً ، إذاً فكما عرض عليكم لحم أخيكم ميتاً فكرهتموه ، فأكرهوا إذاً أكل لحمه حيّاً واتقوا الله إن الله يقبل توبة التائبين وإنه رحيم بالمؤمنين.[1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه تمثيلي في قوله تعالى : (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) حيث مثل للغيبة بمن يأكل لحم الميت ، وفيه مبالغات عديدة بتصوير الاغتياب بأقبح الصور وأفحشها في الذهن.

قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ).(الحجرات الآية 10)

التفسير : ليس المؤمنون إلا أخوة ، جمعتهم روابط الإيمان فلا ينبغي أن يكون بينهم عداوة ولا تباغض ولا تقاتل ، قال المفسرون: (إنما) للحصر فكأنه يقول : لا أخوة إلا بين المؤمنين ، فأصلحوا بين إخوانكم المؤمنين ولا تتركوا الفرقة والفتنة تدب بينهم واتقوا الله سبحانه وتعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه لتنالكم رحمته وتسعدوا بجنته.[2]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه البليغ في قوله تعالى : (إنما المؤمنون أخوة) فأصل الكلام المؤمنون كالأخوة في وجوب التراحم والتناصر وحذفت الأداة ووجه الشبه مع إفادته جملة الحصر.

قال تعالى : (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ).(ق الآيتان 10،11)

[1] - أبوبكر جابر الجزائري – أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – ص 360

[2] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 226

التفسير : أي طوال في العلو تلك النخل وطلعها منضود بعضه فوق بعض نتيجة لكثرته وتراكمه رزقاً لكم ، (وأحيينا به بلدةً ميتاً) أي أخرج به تلك البذور التي تتواجد في باطن الأرض ، (كذلك الخروج) أي كمثل إخراج البذور من الأرض كذلك خروج الموتى للحساب والجزاء يوم القيامة.[1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل مجمل في قوله تعالى : (كذلك الخروج) حيث شبه إحياء الموتى بإخراج النبات من الأرض الميتة.

قال تعالى : (مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ).(الذاريات الآية 42)

التفسير : أي تلك الريح العقيم ما تترك من شيء مرت عليه في طريقها مما أراد الله تدميره وهلاكه ، إلاّ جعلته كالهشيم المتفتت البالي ، قال ابن عباس : (الرميم) الشيء الهالك البالي ، وقال السدي : هو التراب والرماد المدقق.[2]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه المرسل المجمل المذكورة فيه الأداة في قوله تعالى : (إلا جعلته كالرميم).

قال تعالى : (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ).(الزاريات الآية 59)

التفسير : أي ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ، فإن لهم ذنوباً أي : نصيباً من العذاب مثل نصيب الكفار من الأمم السابقة.[3]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل مجمل في قوله : (ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم) أي نصيباً من العذاب مثل نصيب أسلافهم المكذبين في الشدة والغلظة.

قال تعالى : (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ).(الطور الآية 24)

التفسير : أي يطوف عليهم غلمان ملكهم إعلاماً لهم بقدرتهم على التصرف فيهم بالأمر والنهي كأنّهم في صفائهم اللؤلؤ المغطى.[4]

---

[1] - الأندلسي أبوحيان محمد يوسف – تفسير البحر المحيط – تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – ج8 – دار الكتب العلمية بيروت 1971م – ص 122

[2] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 248

[3] - الشوكاني : محمد بن علي بن محمد – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – مراجعة يوسف الغوشي – ج5 – دار المعرفة بيروت د ت ط – ص 114

[4] - الرازي : الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي – التفسير الكبير – تحقيق عماد زكي البارودي – ج 14 المكتبة التوفيقية – د ت ط – ص 234

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل مفصّل في قوله : (كأنّهم لؤلؤ مكنون) حذف منه وجه الشبه فهو مجمل.

قال تعالى : (خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ).(القمر الآية 7)

التفسير : (خشعاً أبصارهم) أي : من الذل والصغار ، (يخرجون من الأجداث) أي من القبور ، (كأنهم جراد منتشر) أي في الكثرة والتموج والانتشار.[1]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه المرسل في قوله : (كأنهم جراد منتشر).

قال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ).(القمر الآيتان 19– 20)

التفسير : (إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً) أي أرسلنا عليهم ريحاً عاصفة باردة شديدة الهبوب والصوت ، قال ابن عباس : الصرصر الشديد البرد ، (في يوم نحس مستمر) أي في يوم مشئوم دائم الشؤم ، استمر عليهم بشؤمه فلم يبق منهم أحداً إلا هلك ، قال ابن كثير : استمر عليهم نحسه ودماره ، (تنزع الناس) أي تقلع الريح القوم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم وتتركهم ، (كأنهم أعجاز نخل منعقر) أي كأنهم أصول نخل قد انقلعت من مغارسها وسقطت على الأرض ، وشبهوا بالنخل لطولهم وضخامة أجسامهم بلا رؤوس كعجز النخل الملقى على الأرض.[2]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه المرسل المجمل في قوله : (كأنهم أعجاز نخل منعقر).

قال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ).(القمر الآية 31)

التفسير : أي أهلكناهم بصيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام فلم تبق منهم عين تطرف ، وصاروا هشيماً متفتتاً كيابس الشجر إذا بلي وتحطم وداسته الأقدام ، قال

[1] - محمد جمال الدين – تفسير القاسمي – ص 547

[2] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 278

الإمام الجلال : المحتظر هو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع.[1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل في قوله : (فكانوا كهشيم المحتظر).

قال تعالى : (خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ).(الرحمن الآية 14)

التفسير : أي أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من تراب الأرض فعجنه بالماء حتى صار طيناً لازباً ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون ثم انتقل فصار صلصالاً كالفخار ، ثم نفخ فيه من روحه جل جلاله فصار إنساناً.[2]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل ذكرت فيه الأداة في قوله : (صلصال كالفخار)

قال تعالى : (وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ).(الرحمن الآية 24)

التفسير : أي وله جل وعلا السفن المرفوعات الجاريات في البحر ، التي هي كالجبال في العظم والضخامة.[3]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل مجمل في قوله : (في البحر كالأعلام) أي كالجبال السامقة من العظم.

قال تعالى : (فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ).(الرحمن الآية 37)

التفسير : أي فإذا انصدعت السماء فكانت مثل الورد الأحمر من حرارة النار ، فتتنزل الملائكة وتحيط بالخلائق.[4]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه البليغ في قوله : (فإذا انشقت السماء فكانت وردةً) أي كالوردة في الحمرة حذفت الأداة والوجه فأصبح بليغاً .

قال تعالى : (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ).(الرحمن الآيتان 56،58)

---

[1] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 280

[2] - محمد محمود حجازي – التفسير الواضح – ص 583

[3] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 288

[4] - المرجع نفسه – ص 290

التفسير : أي في الجنتين المذكورتين قاصرات الطرف وهن نساء الجنة حور العين اللاتي لا ينظرن إلا إلى أزواجهن ، وفي جمالهن وصفاء لونهن مع حمرته كأنهن الياقوت والمرجان ، والياقوت : هو الحجر المعروف من الأحجار الكريمة ، والمرجان الدر.[1]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه المرسل المفصّل المذكور فيه الأداة في قوله : (كأنهن الياقوت والمرجان).

قال تعالى : (وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ).(الواقعة الآيتان 22،23)

التفسير : أي نساء الجنة اللاتي يعتبرن جزاءً من الله للذين اتقوا من عباده في جمالهن وصفائهن كاللؤلؤ المصون الذي لم يتعرض للمس والنظر فلم تثقبه يد ولم تخدشه عين.[2]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل مجمل ، في قوله : (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي كأمثال اللؤلؤ في بياضه وصفائه.

قال تعالى : (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) (الحديد الآية 20)

التفسير : أي هذه الحياة الدنيا كاللعب واللهو ، وهي من محقرات الأمور التي لا يهتم بها العقلاء ، لأنها قد تشغل الإنسان بزينتها وزخرفها ، وتجعله يتفاخر بالأنساب والتكاثر في الأموال والبنون ، لكنها سرعان ما تزول وتفنى ، كزوال غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يجف بعد خضرته ونضارته ، ثم يكون هشيماً متكسراً من اليبس ، وفي الآخرة عذاب شديد لكل ما اغترف الذنوب والآثام ، مع وجود الرحمة والمغفرة من قبل الله جل جلاله.[3]

---

[1] - محمد الشوكاني – فتح القدير – ص 174

[2] - سيد قطب – في ظلال القرآن – ج27 – ص 3464

[3] - الألوسي : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – تحقيق د السيد محمد السيد – المجلد الرابع عشر – دار الحديث القاهرة – د ت ط – ص 248

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه بليغ وذلك في قوله : (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) أي كاللعب واللهو حذفت الأداة ووجه الشبه فصار بليغاً ، وأيضاً تشبيه تمثيلي ذلك في قوله تعالى : (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ***) فوجه الشبه منتزع من متعدد.

قال تعالى : (لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ).(الحشر الآيات 14– 16)

التفسير : أي أن اليهود والمنافقين إذا قاتلوكم إنما يقاتلونكم إلا إذا كانوا متحصنين في قلاعهم ذلك من جبنهم وشدة هلعهم من المسلمين ، أو يقاتلونكم من وراء الحيطان ليستتروا بها ، ذلك لأن عداوتهم بينهم شديدة ، تظنهم مجتمعين على أمر واحد ، ولكنهم في غاية الاختلاف وقلوبهم متفرقة ، كمثل الذين من قبلهم ، أي صفة يهود بني النضير في ما وقع لهم من الجلاء والذل كصفة كفار مكة في ما وقع لهم يوم بدر من الهزيمة والأسر ، قال البيضاوي : أي مثل اليهود كمثل أهل بدر أو المهلكين من الأمم الماضية في زمان قريب ، ذاقوا عاقبة إجرامهم في الدنيا والآخرة ولهم العذاب الشديد ، أو كمثل الشيطان عندما قال للإنسان اكفر ، فهذا الكلام ينطبق على المنافقين في تحريضهم لليهود على القتال.[1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه تمثيلي ذلك في قوله تعالى : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ***) فوجه الشبه منتزع من متعدد.

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنْ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُور).(الممتحنة الآية 13)

التفسير : ينهي سبحانه وتعالى عن موالاة الكافرين واليهود والنصارى الذين غضب الله عليهم فلا تتخذونهم أصدقاء وأخلاء فقد يئسوا من ثواب الآخرة كيأسهم من أمواتهم الذين

[1] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 346

في القبور قال حسن البصري : الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات ، وقال قتادة : كما يأس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا.[1]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه المرسل في قوله تعالى : (قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور).

قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ).

(الصف الآية 4)

التفسير : أي أن الله سبحانه وتعالى يحب المجاهدين الذين يصفّون أنفسهم عند القتال صفا ويثبتون في أماكنهم عند لقاء العدو ، كأنهم في تراصهم وثبوتهم في المعركة بناء قد رصّ بعضه في بعض وأحكم وألصق حتى صار شيئاً واحداً ، قال القرطبي : ومعنى الآية أنه تعالى يحب من يثبت في الجهاد في سبيل الله ويلزم مكانه كثبوت البناء ، وهذا تعليم من الله عز وجل للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم.[2]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل مجمل في قوله تعالى : (كأنهم بنيان مرصوص).

حيث حذف وجه الشبه وذكرت الأداة فصار مجملاً مفصلاً.

قال تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).(الجمعة الآية 5)

التفسير : أي أن اليهود حملوا التوراة وحفظوها إلا أنهم لم يعملوا بها ولا منتفعين بآياتها شبههم كالحمار الذي يحمل كتب العلم وهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكدر والتعب ، وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله ، وبئس مثل القوم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

[1] - عماد الدين أبو الفداء – تفسير القرآن العظيم – ص 356

[2] - حجازي – التفسير الواضح – ص 361

ومعنى (حملوا التوراة) كلفوا علمها والعمل بها ، والله لا يهدي القوم الظالمين الذين يكذبون بآياته وما أنزله على رسله.[1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه تمثيلي في قوله عز وجل : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا) فوجه الشبه منتزع من متعدد أي مثلهم في عدم الانتفاع بالتوراة كمثل الحمار الذي يحمل على ظهره الكتب العظيمة ولا يكون له منها إلا التعب والعناء والمشقة.

قال تعالى : (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ).(المنافقون الآية 4)

التفسير : أي إذا نظرت إليهم تعجبك أبدانهم في طولهم وعرضهم ، وإذا تحدثوا لك يتحدثون بلسان فصيح فلا تسمع لقولهم وعاملهم معاملة الخشب المسندة كأنهم أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام يظنون كل صوت عال يسمعونه كنداء في عسكر أو إنشاد ضالة عليهم ، وذلك لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ، وهو العدو التام بالنسبة لك فأضع الحيطة والحذر منهم أن يفشوا سرك أو يريدوك بسوء لعنهم الله كيف يصرفون عن الإيمان وهم يشهدون أنواره وبراهينه.[2]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل مجمل في قوله جل وعلا : (وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة) وهو من روائع التشبيه.

قال تعالى : (فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ).(القلم الآية 20)

التفسير : أي أصبحت تلك الجنة كالزرع المحصود إذ أصبح هشيماً يابساً ، قال ابن عباس : أصبحت كالرماد الأسود ، قد حرموا خير جنتهم بذنبهم.[3]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه المرسل المجمل المذكورة فيه الأداة ذلك في قوله : (فأصبحت كالصريم).

---

[1] - الزمخشري – الكشاف – ص 518

[2] - الجزائري – أيسر التفاسير – ص 526

[3] - المرجع نفسه – ص 416

قال تعالى : (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ).(القلم الآية 35)

التفسير : كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فإذا سمعوا حديث الآخرة وما وعد الله المسلمين ، قالوا إن صح أن نبعث كما يزعم محمد (ص)ومن معه لم حالنا وحالهم إلا مثل ماهي في الدنيا وإلا لم يزدادوا علينا وأقصى أمرهم أن تتساوى حالهم معنا ، فرد عليهم الله سبحانه وتعالى والهمزة للإنكار أي أن نجعل المؤمنين كالكفرة في حصول النجاة والوصول إلى الدرجات الجزاء بالجنة ومن يستحقها ووجوب النار على من كذب بها ، بلى أن للمسلمين نصيباً والكافرين نصيبهم النار.[1]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه المقلوب أو العكسي وذلك بجعل المشبه به مشبهاً والعكس في قوله سبحانه : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) والأصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين في الأجر والمثوبة فقلب التشبيه ليكون أبلغ وأروع.

قال تعالي : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ).(الحاقة الآيتان 7،8)

التفسير : أي أهلكوا بريح باردة تحرق ببردها كإحراق النار مأخوذة من الصر وهو البرد قال الضحاك* : إنها شديدة الصوت ، وقال مجاهد* : شديدة السموم ، (عاتية) أي عتت على خزنتها فلم تطعهم ولم يطيقوها من شدة هبوبها ، غضبت لغضب الله أرسلها الله عليهم سبع ليال متتالية لا تفتر ولا تنقطع وقال الفراء : الحسوم التباع ، فأهلكت القوم فتراهم موتى كأنهم أصول نخل بالية وشبهوا بالنخل لعظم أجسامهم وطولهم.[2]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل مفصّل ذكرت فيه الأداة ذلك في قوله سبحانه : (كأنّهم أعجاز نخل خاوية).

قال تعالى : (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ).(المعارج الآيتان 8،9)

---

[1] - البروسوي – تنوير الأذهان – ص 383

[2] - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ص 169

* الضحاك بن قيس الفهري القرشي من صحاب صغار الصحابة ، شهد فتح دمشق .

* مجاهد بن جبر الإمام الفقيه ، كان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن والحديث.

التفسير : أي يوم تكون السماء سائلة غير متماسكة كالرصاص المذاب ، قال ابن عباس : كعكر الزيت ، وتكون الجبال متناثرة متطايرة كالصوف المنفوش ، قال القرطبي : العهن الصوف الأحمر أو ذو الألوان ، شبه الجبال في تلونها وأول ما تتغير الجبال تصبح رملاً مهيلاً ، ثم عهناً منفوشاً ، ثم هباءً منثورا.[1]

الوجه البلاغي : في الآيتين تشبيهان مرسلان في قوله عز وجل : (يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن).

قال تعالى : (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنْ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ).(المعارج الآية 43)

التفسير : أي يوم يخرجون من القبور سراعاً مسرعين إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم ، فهذا هو يوم الحساب والجزاء.[2]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل في قوله تعالى: (كأنهم إلي نصب يوفضون) وفي تشبيههم بذلك تهكم بهم ، وتعريض بسخافة عقولهم وتسجيل عليهم بالجهل المشين بالإسراع في عبادة غير من يستحق العبادة.

قال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً).

(المزمل الآية 15)

التفسير : أي أنا أرسلنا لكم رسولاً يتلو عليكم آيات الله ويعلمكم الحكمة والدين واتباع السبيل القويم ، كما أرسلنا إلى قوم موسى مثل هذا الرسول الذي أرسل إليكم.[3]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه المرسل في قوله تعالى : (إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا).

قال تعالى : (فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ)

(المدثر الآيات 49– 51)

[1] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 423

[2] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 602

[3] - محمد محمود حجازي – التفسير الواضح – ص 768

التفسير : أي فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك مما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين ، كأنهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه كحمر الوحش إذا فرت من يريد صيدها من أسد.[1]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه التمثيلي في قوله علا شأنه (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) فوجه الشبه منتزع من متعدد.

قال تعالى : (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنثُوراً).

(الإنسان الآية 19)

التفسير : أي ويدور على هؤلاء الأبرار غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين ، وهم دائمون على ماهم عليه من الطراوة والبهاء ، قال القرطبي : أي باقون على ما هم عليه من الشباب والنضارة والحسن لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحد على مر الأزمنة ، فإذا نظرتهم منتشرين في الجنة لخدمة أهلها ، خلتهم لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم كأنهم اللؤلؤ المنثور ، قال الرازي : هذا من التشبيه العجيب ، لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض ، فيكون أروع وأبدع.[2]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه العجيب البديع الرائع في قوله تعالى : (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤ منثور) أي كاللؤلؤ المنتشر المتفرق.

قال تعالى : (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ).(المرسلات الآيتان 32،33)

التفسير : الشرر : واحده شرارة وهو ما تطاير من النار في كل جهة ، وأصله من شررت الثوب إذا بسطته للشمس ليجف ، والقصر البناء العالي ، وقراءة العامة (كالقصر) بإسكان الصاد الحصون والمدائن العظم ، قال ابن عباس وابن مسعود : وهو في معنى الجمع على طريق الجنس وقيل القصر جمع قصرة مثل جمرة ، والقصرة الواحدة من جزل الحطب الغليظ ، جمالات : الحبال الغليظة ، والجمالات الصفر : هي

[1] - إسماعيل بن كثير – تفسير القرآن العظيم – ص 447

[2] - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ص 482

الإبل السود حيث العرب تسمي الإبل السود صفراً ، قال الشاعر* :

تِلْكُ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكُ رِكَابِي *** هُنّ صُفْرٌ أَوْلادَهَا كالزّبيبِ

و(إنها ترمي بشرر كالقصر) : أي أن تقذف بشرر عظيم من النار كل شرارة كالقصر العظيم،وقال ابن كثير : يتطاير شررها كالحصون ، والرازي شبه الشرر في العظم كالقصر ، وفي اللون والكثرة وسرعة الحركة بالجمالات الصفر.[1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيهين مرسلين ، أولهما مجمل في قوله تعالى : (ترمي بشرر كالقصر) والثاني مفصل في قوله تعالى : (كأنه جمالات صفر).

قال تعالى : (أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً).(النبأ الآيتان 6،7)

التفسير : أي ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً تذكيراً وعبرةً مما ترونه من صنعه الدال على كمال قدرته سبحانه وتعالى ، لتستدلوا بذلك على صحة البعث ، والمهد : الفراش الذي ينوم عليه الصغير فجعل لنا سبحانه الأرض كالفراش متساوية ومبسوطة.[2]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه البليغ في قوله تعالى : (ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا) فأصل الكلام جعلنا الأرض كالمهاد الذي يفترشه النائم ، والجبال كالأوتاد التي تثبت الدعائم ، وحذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغاً.

قال تعالى : (وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً).(النبأ الآية 19)

التفسير : أي شقت السماء بنزول الملائكة فصارت في تشققها وتصدعها ذات أبواب وفروج وطرق.[3]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه بليغ وذلك في قوله عز وجل : (فكانت أبوابا) أي كالأبواب في التشقق والانصداع.

---

[1] - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ص 107

[2] - البيضاوي : ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل – تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي – دار إحياء التراث العربي بيروت ط1 1418هـ - ص 278

* ورد هذا البيت بلا نسبة في تفسير القرطبي – ص 107

[3] - النسفي : أبو البركات عبد الله بن احمد بن محمود – مدراك التنزيل وحقائق التأويل – تحقيق يوسف على بدوي – دار الكتب العلمية بيروت – 1419هـ - 1998م – ص 591

قال تعالى : (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا).(النازعات الآية 46)

التفسير : أي كأنهم يوم يرون قيام الساعة التي تفاجئهم لم يلبثوا في قبورهم وفي دنياهم إلا فترةً وجيزة جداً قدرها المولى (عشيةً أو ضحاها) العشية أول الليل والضحى أول النهار.[1]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه المرسل المجمل في قوله تعالى : (كأنهم يوم يرونها ***).

قال تعالى : (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ).(المطففين الآيتان 25،26)

التفسير : أي يسقون من شراب خالص صافٍ عتيق أبيض في غاية اللذة والطعم رائحته كالمسك وفي هذا النعيم فليتنافس العباد بفعل الطاعات حتى ينالوا هذا النصيب في الآخرة.[2]

الوجه البلاغي : من قبيل التشبيه البليغ في قوله جل شأنه : (ختامه مسك) أي كالمسك في الطيب والبهجة.

قال تعالى : (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ).(القارعة الآيتان 4،5)

التفسير : أي يحدث ذلك عندما يخرج الناس من قبورهم فزعين ، كأنهم فراش متفرق منتشر هنا وهناك ، يموج بعضهم في بعض من شدة الفزع والحيرة ، قال الرازي : شبه تعالى الخلق بالفراش لأن الفراش إذا تطاير لم يتجه إلى جهة واحدة ، بل كل واحدة تذهب إلى جهة غير الجهة الأخرى ، فدل أنهم إذا بعثوا فزعوا ، وتكون الجبال كالصوف المتطاير المنتشر الذي تتفرق أجزاءه وتتطاير في الجو حتى تكون كالصوف قال الصاوى : وإنما جمع بين حال الناس والجبال ، تنبيهاً على أن تلك القارعة تؤثر

[1] - عبد الله بن عباس – تنوير المقياس من تفسير بن عباس – جمعه محي الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب – دار الكتب العلمية لبنان – ج1 – ص 501

[2] - البقاعي : ابراهيم عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – دار الكتب الأسلامية القاهرة – ص 328

على الناس والجبال العظيمة الضخمة الصلبة حتى تصير كالصوف المندوف مع إنها غير مكلفة ، وكيف تكون حال الإنسان الضعيف المقصود بالتكليف والحساب. [1]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل مجمل في قوله : (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش) فذكرت الأداة وحذف وجه الشبه الذي هو الكثرة والانتشار والضعف والذلة للناس ، والتطاير وخفة السير والحركة للجبال.

قال تعالى : (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ).(الفيل الآية 5)

التفسير : أي فجعلهم كورق زرع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقي صفراً أو كتبن أكلته الدواب ، وأشير إليه بأول أحواله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله تعالى أيام حياته من الخسف والمسخ والله أعلم.[2]

الوجه البلاغي : في الآية تشبيه مرسل مجمل في قوله تعالى : (فجعلهم كعصف مأكول) حيث ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه.

[1] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 574

[2] - العمادي : أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفي – أرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم – دار التراث العربي بيروت – ص 201

المبحث الأول : الإعجاز

مدخل :

القرآن كله معجز ، من أوله إلى آخره ، كل سورة فيها معجزة ، يتساوى إعجازه في قصر سوره وطولها ، وكل أساليبه معجزة : تشبيهاته ، ومجازاته ، وكنياته خبره وإنشاؤه ... إلخ ، بل كل ما فيه معجز ، وتشبيهات القرآن إحدى أساليبه المعجزة ولها مزيد اختصاص لأنها خصت بالذكر والتعجب والمدح في القرآن نفسه ، وغيرها من أساليب البيان لم يكن لها مثل ذلك.

وسوف أتناول هذه المسألة – التشبيه والإعجاز – من ثلاثة محاور كانت محل عناية العلماء فأول هذه المحاور يكشف عن مكانة التشبيه في القرآن وأهميته بوصفه أسلوباً بيانياً وسع معاني الذكر الحكيم التي يعبر عنها ويبين الجهة التي كانت بها التشبيهات القرآنية معجزة.

وأما المحور الثاني فيتناول مسألة نقدية تتعلق بالموقف من التشبيه بالمحقرات.

وأما المحور الثالث يتناول تلك الموازنات والمقارنات المبثوثة في تفسير العلماء بين تشبيهات القرآن وكلام البلغاء من العرب.

وهي مسألة لها صلة بالإعجاز أقام عليها الإمام الباقلاني قسماً كبيراً من كتابه إعجاز القرآن.

أهمية التشبيهات القرآنية :

التشبيه من أعظم الأساليب العربية ، وقد جاءت تشبيهات القرآن وأمثاله على حد الإعجاز عبر بها القرآن عن المعاني التي أرادها فوسعتها وأدتها خير أداء ، ذلك أن في التشبيه والتمثيل أربعة أمور لا تجتمع في غيره من الكلام ، كما يقول البلاغيون : إيجاز اللفظ وإصابته المعنى ، وحس التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة. (1)

[1] - أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد – مجمع الأمثال - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة عيسى الحلبي القاهرة – ص 7،8 .

وللإمام عبد القاهر كلام نفيس يبرز أهمية التمثيل وتأثيره ، ومكانته بين أساليب العربية حيث يقول : وأعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ورفع من أقدارها ، فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم ، وأنبل من النفوس وأعظم ، وإن كان ذماً ، كان مسّه أوجع ووقعه أشد وحده أحد ، وإن كان حجاجاً ، كان برهانه أنور وبيانه أبهر ، وإن كان افتخاراً كان شأوه أمد وشرفه أجد ولسانه أحد ، وإن كان إعتزاراً كان إلى القبول أقرب وللقلوب أخلب وللسخائم أسل ، وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر وأدعى إلى الفكر ، وهكذا الحكم إذا استقريت فنون القول وضروبه وتتبعت أبوابه وشعوبه.[1]

ولا يكتفي عبد القاهر بهذا البيان الشافي لأثر التمثيل في كل أغراض الكلام حتى يسوق الأمثلة تلو الأخرى ليجلي الأمر أكثر وحتى يضع يد قارئه على الأثر حياً وواضحاً وجلياً وإن كان الأمر كما يقول من الوضوح بحيث تقل معه الحاجة إلى التعريف ويستغنى في الوقوف عليه عن التوقيف ، وأول الأمثلة التي يسوقها في ذلك قول البحتري [2] :

دَانَ عَلَى أَيْدِي العُفَاتِ وَشَاسِعٍ *** عَنْ كلّ ندٍ فِي النَدَى وَضَرِيْبِ

كالبَدْرِ أَفْرَطَ فِي العُلُوّ وَضَوءِهِ *** للعُصْبَةِ السّارين جدّ قَرِيْبِ*

ويطلب منك أن تفكر حالك وحال المعنى معك ، وأنت في البيت الأول لم تنتهي إلى الثاني ولم تتدبر نصرته إياه وتمثيله له في ما يلي على الإنسان عيناه ويؤدي إلى ناظراه ، ثم قسهما على الحال وقد وقفت عليه ، وتأملت طرفيه ، فإنك تعلم بعد ما بين حالتيك وشدة تفاوتهما في تمكن المعنى لديك ، وتحببيه إليك ونبله في نفسك ، وتوقيره لنفسك ، تحكم لي بالصدق فيما قلت والحق فيما أدعيت.[3]

---

[1] - الجرجاني - أسرار البلاغة – ص 115- 116

[2] -البحتري - ديوان البحتري – ج1 ص 248

[3] - الجرجاني – أسرار البلاغة – ص 118

* العصبة : الجماعة ، يقول الشاعر إن الممدوح فاق رفاقه وأهل زمانه في كل شيء وارتقى إلى القمر في سموه لكنه يضيء لهم الطريق بضوئه في سيرهم .

وهكذا يسوق لنا المثال يتلو الآخر ليبين فضل التمثيل وأثره ، لقد نقلنا هنا كلام هؤلاء الأئمة في بيان أهمية التشبيهات والأمثال وتأثيرها ، ولكن الحق الذي لا مرية فيه أنه ما من أحد قد وصف التشبيه والتمثيل وتحدث عنهما مثل ما تحدث القرآن ، فمن أراد أن يعلم قدر تشبيهات القرآن وأمثاله وتأثيرها فعليه بالقرآن ، ولقد أمْتَنّ الله على الناس بأنه قد صرف لهم في هذا القرآن من كل مثل ، فالقرآن مشتمل على أبعاض من جميع أنواع المثل.[1]

وذلك في موضعين في سورة الإسراء فقال سبحانه : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً).(الإسراء الآية 89)

وفي سورة الكهف قال سبحانه : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً).(الكهف الآية 54)

والتصريف كناية عن التبيين بمختلف البيان وتنوعه فقد نوع لهم الأمثال وعددها ، ولكن المعاندين لا يرضون إلاّ الكفر والجحود.

وفي آيات أخر يذكر سبحانه أنه ضرب للناس في هذا القرآن من كل مثل حيث عبر بالتصريف هناك وبالضرب هنا فقال في سورة الرعد بعد أن ساق مثل الحق والباطل : (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ).(الرعد بعض الآية 17)

فالحق والباطل صُوّرا في مثلين يبينان حقيقتهما وفي سورة إبراهيم لفت القول إلى هذه المنة وهي ضرب الأمثال ، فقال سبحانه وتعالى : (وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الأَمْثَال)(إبراهيم الآية 45)

فضرب الأمثال هنا بأقوال المواعظ على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام ووصف الأحوال الخفية.

وقد أخبر سبحانه أنه ضرب الأمثال لأمم قبلنا فقال سبحانه وتعالى بعد أن عد طائفة منهم : (وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً).(الفرقان الآية 39)

[1] -ابن عاشور - التحرير والتنوير – ص 215

وعبر القرآن عن ذكر المثل في القرآن أيضاً بالإنزال فقال سبحانه وتعالى : (وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنْ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ).(النور الآية 34)

وقد أخبر سبحانه أنه ما ضرب الأمثال إلا للعبرة والتفكر والتذكر فقال : (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).(الحشر الآية 21)

وأولى الناس بالتفكر والتذكر هم العلماء أهل الفهم لذلك يقول الله سبحانه وتعالى : (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ).(العنكبوت الآية 43)

والعقل هنا بمعنى الفهم ، أي لا يفهم آيات الله إلا الذين كملت عقولهم فكانوا علماء غير سفهاء الأحلام ، وفي هذا تعريض بأن الذين لم ينتفعوا بها جهلاء العقول ، فما بالك بالذين أعرضوا عن التدبر في دلالاتها باتخاذها هزواً وسخرية.[1]

ولما كان التشبيه أسلوباً ذا تأثير كبير ، فقد استعمله القرآن يصور به أحوال أعدائه وما هم فيه من ضلال وتخبط فمثلهم بالمستوقد المتخبط وبالعنكبوت التي اتخذت بيتاً وبالكلب الذي يلهث في كل حال وبالحمار الذي يحمل الأسفار فلا ينتفع بها.

وكان منهم من مثلوا النبي صلى الله عليه وسلم بأبشع الأمثال ، بل تطاولوا على مقام الألوهية ، فنهاهم أن لا يضربوا له الأمثال وقال سبحانه : (فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)(النحل الآية 54) وتكفل سبحانه بدحض أكاذيبهم عن نبيه فقال جل شأنه : (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً).(الفرقان الآية 33)

التشبيه والمحقرات :

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة لا يفقهون أمثال القرآن وتشبيهاته ، ولا يفهمون مرادها لذلك كلما أنزل الله مثلاً تنادوا فيما بينهم مثل قوله تعالى : (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً) (البقرة والمدثر بعض الآية 26،31)

وهم لما عجزوا عن فهم أمثاله فضلاً عن مجاراتها أو معارضتها ، عمدوا إلى أسلوب ينبئ عن إفلاسهم وقلة حيلتهم وعجزهم ، فطعنوا في بلاغة هذه الأمثال وسخروا منها

[1] - الزمخشري - تفسير الكشاف – ج1 – ص 113

ومما ضربت له ، فرد الله عليهم وأسكتهم ، فهو الذي يأتي بالأمثال وله أن يضرب ما يشاء وهم يعرفون في قرارة أنفسهم أن أمثاله جاءت على لغة العرب الذين نزل القرآن بلسانهم وفي لغتهم مثل هذا كثير ولكنهم جحدوا ما يعرفون وتغافلوا عن مكابرة وعناد فالمكابر الذي لا يعتقد أن هناك احتمال وارد يمكن أن يكون بهذا القول ، ولا معرفة له بطرائق العرب في تشبيهاتهم وأمثالهم ، وعلى كل قد رد الله عليهم ذلك في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ).(البقرة الآية 26)

وقد وقف العلماء مع هذه الآية عدة وقفات ، فبينوا وجه مناسب لهذه الآية لما قبلها وحققوا القول في سبب نزولها ، ثم ردوا على الطاعنين في أمثال القرآن ، وأخيراً بينوا كيف أن التشبيه بالمحقرات ليس معيباً في القرآن الكريم.

ومناسبة هذه الآية لسياقها أنها جاءت بعد آيات سابقة اشتملت على تحدي البلغاء بأن يأتوا بسورة مثل القرآن ، فلما عجزوا عن معارضة النظم سلكوا في المعارضة طريقة الطعن في المعاني فلبّسوا على الناس بأن في القرآن من سخيف المعنى ما ينزه عنه كلام الله ليصلوا بذلك إلى إبطال أن يكون القرآن من عند الله.[1]

أما عن سبب نزولها فقد نقل العلماء روايتين للواحدي إحداهما تجعل السبب استخفاف المشركين بأمثاله وذكره للذباب والعنكبوت ، والرواية الثانية تجعله بسبب اليهود وسخريتهم بأمثاله.

ولم يستبعد العلماء والبلاغيون أن يكون قائله من المشركين من أهل مكة مع علمهم بوقوع مثله في كلام بلغائهم كقولهم : أجرأ من ذبابة وأسمع من قراد وأطيش من فراشة وأضعف من بعوضة ، وهذا الاحتمال أدل على أنهم ما قالوا هذا التمثيل إلا مكابرة ومعاندة فإنهم لما غلبوا بالتحدي وعجزوا عن الأتيان بسورة تعقلوا في معاذيرهم

[1] - ابن عاشور - التحرير والتنوير – ج1 ص 357

بهذه السفاسف والمكابر يقول ما لا يعتقد والمبهوت يستوعج المستقيم ويخفي الواضح [1] ويفهم من كلام العلماء البلاغيون أنه رجحوا نسبة هذا الطعن لمشركي مكة ، حيث يقول بعد أن ذكر ميل صاحب الكشاف إلى هذا القول.[2]

ومن الأمور التي اعتمدها العلماء هو القياس على أصول النقد الأدبي التي يحتكم إليها وهنا افترضوا سؤالاً جعلوه مدخلاً لبسط رأيه في المسألة ، والسؤال يرد هكذا إن كانت الألفاظ تستعمل للدلالة على معانٍ حقيرة غير مخل بالبلاغة فنرى كثيراً من أهل النقد قد نقدوا من كلام البلغاء ما اشتمل على مثل هذا كقول أبي الطيب[3] :

أَمَاتَكُمْ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمُ الجَهْلِ *** وَجَرّكُمْ مَنْ خَفّه بِكُمُ النّمْلِ

وقول الطرماح[4] :

وَلَوْ أنّ بَرْغُوثاً عَلَى ظَهْرِ قُمْلَةٍ *** يَكرُّ عَلَى ضَبْعَى تَمِيْمٍ لِوَلّتْ

فأصول النقد العربي تقيس ما لا يحسن الكلام من ثلاثة جوانب : الأول من جانب صناعة الكلام والثاني من جانب صور المعاني ، والثالث من جانب المستحسن والمكروه والحكم على الكلام بالاستحسان أو غيره يعيد ما جرت به عوائد الناس ومدارك عقولهم وأصالة أفهامهم بحسب الغالب على أهل صناعة الأدب فاللفظ قد يكون مقبولاً عند قوم وغير مقبول عند قوم آخر ، ومقبولاً في عصر ومرفوضاً في عصر غيره.[5]

والأدلة كثيرة جداً على كلام العلماء البلاغيين ، فأذواق الناس تتغير من عصر إلى عصر فما كان عند العرب في العصر الجاهلي مستحسن قد لايكون كذلك في العصر العباسي فالنابغة يعتذر إلى الملك النعمان فيقول في بيته الشهير.[6] :

فإنّك كاللّيْلِ الّذِي هُوَ مُدْرَكِي *** وإنْ خِلْتَ أنّ المُنْتَأى عَنْكَ وَاسِعُ

---

[1] - الرازي – التفسير الكبير – ج1 – ص 106

[2] - الزمخشري - الكشاف – ص 83

[3] - العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب – ناصفي البازجي – بيروت – ج1 – ص 396

[4] - البيت للطرماح بن الحكيم : ينظر العقد الفريد – إ بن عبد ربه الأندلسي – تحقيق مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية بيروت – ج1 – ص 130

[5] - الجرجاني – أسرار البلاغة– ص 105

[6] - الذبياني - ديوان النابغة الزبياني – ص 38

فإن تشبيه الملك بالليل لو وقع في زمان المولدين لعد من الجفاء والعجرفة.[1]

وكذلك قول علي بن الجهم في مدح الخليفة المتوكل بقوله[2] :

أَنْتَ كالكلّبِ فِي وَفَائكَ بالعَهْ *** دِ وكالتّيسِ فِي قِرَاعِ الخُطُوبِ

وأنه لما سكن بغداد وتحضر قال بعدها [3] :

عُيونُ المَهَا بَيْنَ الرّصَافَةِ وَالجُسْرِ *** جَلَبْنَ الهَوَى مِن حَيْثُ أدْرِي وَلا أدْرِي

بل إن بشاراً وهو من المولدين انتقد على كثير قوله [4] :

أَلا إنّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْزَرانةٍ *** إذَا لَمَسُوهَا بالأكُفِّ تَلِيْنُ

ومع ذلك وقع في ما نهى عنه وقال [5] :

إذَا قَامَتْ لِجَارَتِهَا تَثَنّتْ *** كَأَنّ عظامها من خيزران

ذكربشارلفظ (خيزرانة) في شعره ، لذلك يكون نقده لبيت كثير في لفظ (عصا)وكذلك ذكر الحية في شعره فقال :

وَكَأَنّهَا لَمّا تَمَشّتْ *** أَيّمّ تَأَوّدَ فِي كَثِيْبِ [6]

فالحق إن كلام العلماء البلاغيين العرب في هذه الآية ليس له نظير وخصوصاً من حيث تأصيل المسألة وإرجاعها إلى أصول النقد العربي وحشد الشواهد الشعرية وقد كان الزمخشري من أوائل من تناول القول في مسألة التشبيه بالمحقرات ، ووضع لها ضابطاً أصاب به عين الحق ذلك أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب ، وإدناء المتوهم من المشاهد ، فإن كان التمثيل له عظيماً كان المتمثل به مثله وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلاّ إذا كان أمراً تستدعيه حالة المتمثل له ، فيعمل للضارب

---

[1] - الجرجاني – أسرار البلاغة – ص 360

[2] - علي بن الجهم – ديوان الجهم - تحقيق خليل مردم بك – دار صادر بيروت ط3 1996م – ص 133

[3] - المرجع نفسه – ص 135

[4] - البيت منسوب إلى ديوان مجنون ليلى ويذكر المحقق أن البيت منسوب لكثير عزة

[5] - ابن برد - ديوان بشار – ص 189

[6] - الأيم : هو الحية الأبيض اللطيف .

للمثل على حسب تلك القضية ، ولما كانت حالة الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً لله تعالى لا حال أحقر منها وأقل ، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخس قدراً.[1]

التشبيه والإعجاز :

ومن كلام القرآن هذا نستنبط أن أمثال القرآن وتشبيهاته وجه من وجوه إعجازه وهو أمرُ بين ، وقد أشار إليه المفسرون في تفسيرهم لقوله تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً).(الإسراء الآية 89)

ولما تحدّى الله بلغاء المشركين بالإعجاز تطاول عليهم بذكر فضائل القرآن على ما سواه من الكلام فحرموا أنفسهم بالانتفاع بالقرآن من كل مثل ، حيث ذكرت هنا ناحية من نواحي إعجازه وهي ما اشتمل عليه من أنواع الأمثال.[2]

وفي قوله تعالى : (قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً).(الإسراء الآية 88)

فالتحدي في هذه الآية جاء بكل نواحي الإعجاز والمراد بالمماثلة للقرآن : المماثلة في مجموع الفصاحة والبلاغة والمعاني والأدب والشرائع ، وهي من نواحي إعجاز القرآن اللفظي والعلمي.[3]

ويشير علماء العرب والمفسرون إلى مسألة الإعجاز في أمثال القرآن مثل قوله تعالى : (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).(الزمر الآيتان 28،27)

فخصت أمثال القرآن بالذكر من بين مزايا القرآن لأجل لفت بصائرهم بالتدبر في ناحية عظيمة من نواحي إعجازه ، وهي بلاغة أمثاله ، فإن بلغاءهم كانوا يتنافسون في جودة الأمثال وإصابتها من تشبيه الحالة بالحالة.[4]

---

[1] - الزمخشري - تفسير الكشاف – ج1 – ص 111
[2] - ابن عاشور – التحرير والتنوير – ص 204
[3] - الرازي – التفسير الكبير – ص 203
[4] - الرازي – نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – تحقيق أحمد حجازي – ص 43

أمّا الزمخشري فإنه يرى أن خصوصيات الكلام البليغ ودقائقه في إعجاز القرآن ملحوظة للمتحدين به على مقدار ما يبلغ إليه بيان المبين ، ويذهب إلى هنالك بإشارات كثيرة في القرآن تلفت الأذهان لذلك.[1]

ويسوق ابن عاشور الكلام فيورد الحديث الذي رواه مسلم في فضل سورة الفاتحة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قال الله تعالى : قسمت الصلاة (أي سورة الفاتحة) بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم قال الله تعالى : أثنى علي عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين قال الله : مجدني عبدي ، فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال الله : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل).[2]

ويرى ابن عاشور ان في هذا الحديث تنبيهاً على ما في نظم الفاتحة من خصوصية التقسيم ، إذ قسم الفاتحة ثلاثة أقسام ، وحسن التقسيم من المحسنات البديعية ، وفي القرآن التنبيه على ما فيه من تمثيل كثير ومنه قوله تعالى : (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ).(العنكبوت الآية 43)

كذلك من الأمثلة التي جاءت منبهة على بلاغة تشبيهات القرآن وإعجازها كما في قوله سبحانه وتعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ***).(البقرة بعض الآية 26)

فالمراد بالمثل هنا الشبه مطلقاً لا خصوص المركب من الهيئة ، لأن المعنى هنا ليس طعناً في تشابيه القرآن.[3]

فالتشبيهات القرآنية جاءت على أدق خصوصيات الكلام البليغ عند العرب بل وتجاوزته إلى حد الإعجاز فمنه أيضاً قوله سبحانه : (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ***).(البقرة بعض الآية 266)

---

[1] - الزمخشري - تفسيرالكشاف – ص 63

[2] - صحيح مسلم بشرح الإمام النووي – تحقيق عصام الصبابطي – الجزء الثاني – دارالحديث القاهرة كتاب الصلاة – باب وجوب قراءة الفاتحة ص337

[3] - ابن عاشور – التحرير والتنوير– ص 359

هذا من إتمامه لجهات كمال تحسين التشبيه لإظهار أن الحسرة على تلفها أشد . وكذلك كما جاء في قوله تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ).(النور بعض الآية 35)

فقد ذكر من الصفات والأحوال ما فيه من وضوح والمقصود من شدة الضياء وما فيه من تحسين المشبه وتزيينه.[1]

ومن أمثلة أشعار العرب التي فيها نوعٌ من أنواع تحسين التشبيه الذي يمكن أن يقابل الآيتين السابقتين بشكل ينبئ عن الموازنة حيث يقول كعب [2] :

شُجّتْ بَذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ *** صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ*

وطريقة الموازنات هذه في بيان بلاغة القرآن وإعجازه كثيرة جداً في أشعار العرب

فالإمام أبي بكر الباقلاني قد ناقش مسألة نسبة الإعجاز في تشبيهات القرآن باستفاضة ويمكن أن نستنتج خلاصة رأيه من قوله : "وإنما ننكر أن يقول قائل ، إن بعض هذه الوجوه يعني وجوه البديع والبيان من تشبيه واستعارة وغيرهما لانفرادها قد حصل فيها الإعجاز من غير أن يقارنه ما يحصل به من كلام ويفضي إليه مثل ما يقول : فأمّا الآية التي فيها ذكر التشبيه فإن أدعى إعجازها لألفاظها ونظمها وتأليفها فأنا لا أدفع ذلك وأصححه ، ولكن لا ادّعي إعجازها موضع التشبيه".[3]

والباقلاني في هذا السياق يرد على الرماني صاحب النكت حيث ذهب في رسالته هذه إلى جعل أوجه الإعجاز سبعة عد منها البلاغة ومن أقسامها التشبيه وهو عنده من أوجه الإعجاز.[4]

والباقلاني لا يصرح بذكر اسم الرماني معاصره ، ولكنه يقول أن يتنقل كثيراً من كلامه في وجوه البلاغة ، قد حكينا أن من الناس من يريد أن يأخذ إيجاز القرآن من

---

[1] - المرجع نفسه – ص 116

[2] - شرح قصيدة كعب بن زهير – ص 88

[3] - الباقلاني – إعجاز القرآن – ص 276

[4] - المرجع نفسه– ص 262

* الشبم : أي البارد ، شجت أي مزجت .

وجوه البلاغة التي ذكرنا أنها تسمى البديع في أول الكتاب مما مضت أمثلته من الشعر ومن الناس من زعم أنه يأخذ ذلك من هذه الوجوه.[1]

وقد فطن إلى ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني فبعد أن أبطل أن يكون الإعجاز في شيء غير النظم والاستعارة يعود فيبطل أن تكون الاستعارة هي الأصل في الإعجاز و ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في آيات معدودة من مواضع السور الطوال.[2]

موازنات :

إن فكرة الموازنات وصلتها بالإعجاز ليست أمراً جديداً ، وقد اشتهر بها الإمام الباقلاني الذي أقام عليها جزءً من كتابه إعجاز القرآن ، حيث يرى فيها وسيلة لإظهار إعجاز القرآن ، فيذكر أن أهل الصنعة يعرفون دقيق هذا الشأن وجليله – يعني بلاغة القرآن – وإنما يشتبه الأمر على ناقص في الصنعة أو قاصر عن معرفة طرق الكلام الذي يتصرفون فيه فإذا اشتبه إلى متأدب أو شاعر فما عليك منه ، فإنما يخبر عنه نقصه ويدل على عجزه فإذا أراد أن يعرف بلاغة القرآن ، وأن نقرب عليه الأمر ونفسح له الطريق ، ونفتح له الباب ليعرف به إعجاز القرآن ، فلابد له من التقليد وذلك بأن نضع بين يديه الأمثلة ، ونعرض عليه الأساليب ، ونصور له صور كل قبيل من النظم والنثر ونحضره من كل فن من القول شيئاً يتأمله حق تأمله ويراعيه حق رعايته فيستدل استدلال العالم ويستدرك استدراك الناقد ، ويقع له الفرق بين الكلام الصادر عن الربوبية الطالع عن الألوهية ، ونعمد على شيء من الشعر المجمع عليه فيبين وجه النقص فيه ويزل على إنحطاط رتبته ، ووقوع أبواب النحل فيه ، حتى إذا تأمل ذلك وتأمل ما نذكره من تفصيل إعجاز القرآن وفصاحته وعجيب براعته ، انكشف له واتضح وثبت ما وصفناه لديه ووضح ، وليعرف حدود البلاغة ، ومواقع البيان والبراعة ووجه التقدم في الفصاحة.[3]

---

[1] - الباقلاني – إعجاز القرآن - 275

[2] - الجرجاني – دلائل الإعجاز – ص 391

[3] - الباقلاني – إعجاز القرآن – ص 126

ولقد سار الزمخشري على طريقة العلماء قبله في اتباع الوسائل التي تكشف عن بيان القرآن وإعجازه ، فتراه يتحدث عن جهات الإعجاز فيجعل الجهة الأولى منه بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ.[1]

وقد كانت البلاغة والفصاحة ذات شأن عظيم عند العرب ، وقد وصف الأئمة والعلماء كما يقول ابن عاشور : البلاغة والفصاحة بما دون لهما علماء المعاني والبيان فتصدوا من خلال ذلك للموازنة فيما ورد في القرآن الكريم من ضروب البلاغة وبين أبلغ ما حفظ عند العرب من ذلك مما عد من أقصى درجات الفصاحة والبلاغة.[2]

وقد سلك العديد من علماء البلاغة منهج الموازنة في الكشف عن إعجاز القرآن وبيانه فمنهم أبو هلال العسكري ، وعبد القاهر الجرجاني والسكاكي وبن الأثير وغيرهم ، فقد قاموا بالموازنة بين ما ورد في القرآن وبين ما ورد في بليغ كلام العرب من بعض فنون البلاغة بما فيه موضع التأمل.

وقد بحث علماء البلاغة في أسرار البيان وبلاغة القرآن فوازنوا بين آيات الذكر الحكيم وبعض أشعار العرب ليكشفوا عن سر تفوق هذا البيان القرآني المعجز ، ووقفوا وقفات سريعة وإشارات ولمحات دقيقة ، لم تقتصر على باب معين من أبواب البلاغة وقد جمعت ماجاء منها في التشبيه والتمثيل فنجدهم قد وقفوا في مقارنتهم في مجيء التمثيل في القرآن على صورة من الإعجاز لم تأت عند العرب من حيث إمكان تفكيكه إلى تشبيهات كثيرة مستقلة ، والوارد في ذلك إن كلام العرب يكون في أشياء قليلة يقول الله سبحانه وتعالى : (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْ النَّارِ).(البقرة الآيتان 167،168)

فقوله : (وتقطعت بهم الأسباب) تمثيل ، بحيث قد شبه حالهم عند خيبة أملهم حين لم يجدوا النعيم الذي تعبوا لأجله مدة حياتهم وقد جاء أوانه في ظنهم فوجدوا

[1] - الزمخشري – أساس البلاغة – ص 211
[2] - ابن عاشور التحرير والتنوير – ص 106

عوضه العذاب بحال المرتقي إلى النخلة ليجتني الثمر الذي كد لأجله طول السنة فتقطع به السبب عن ارتقائه فسقط هالكاً ، وهذا التمثيل من قبيل الاستعارة ، وهي استعارة تمثيلية بديعة لأن الهيئة المشبه تشتمل على سبعة أجزاء كل واحد منها يصلح لأن يكون مشبهاً بواحد من الأشياء التي تشتمل عليها الهيئة المشبه بها.[1]

ويذكر الباقلاني أن هذا التمثيل في الآية قد جاء على نمط بديع معجز حيث جاءت أجزاء المركب فيه كثيرة مستقلة وهذا ما ليس موجوداً في كلام غير القرآن . وأقصى ما يمكن أن يوجد في غيره ما جاء في بيت بشار الشهير الذي جاءت فيه ثلاثة تشبيهات مركبة الأجزاء ، ويمكن أن توازن هذا البيت لتكشف بنفسك الفرق بين البلاغة والإعجاز ، وربما دون أن تعلق على ذلك بأكثر من جملة واحدة ، وهذا لا يحط من قدر الشعر ، ولكنه يضع كل شيء في مقامه ، وإليك صريح الكلام في موازنة هذا البيت الشعري ، الذي قلما تأتي في التمثلية صلاحية أجزاء التشبيه المركب فيها لأن تكون تشبيهات مستقلة الوارد في ذلك يكون في أشياء قليلة كقول بشار الذي يعد مثالاً في غاية الحسن :[2]

كأنّ مُثَارَ النّقعُ فَوقَ رُؤوسِنَا *** وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهْ

فبيت بشار يعد مثالاً في الحسن وهو الذي أكسب بشار شهرةً في النبوغ في الشعر ذلك لأنه جمع فيه تشبيه مركب بمركب فجمع تشبيهين في تشبيه.[3]

وبشار قال بنفسه نقلته عند سماعي لقول أمرؤ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول [4]:

كأنّ قُلُوبَ الطّيْرِ رَطِباً وَيَابِساً *** لَدَى وَكْرِهَا العُنّابُ والحَشَفُ البَالِي[5]

فقلت :

كأن مثار النقع *** البيت

---

[1] - الزمخشري – الكشاف – ص 84

[2] -الباقلاني - إعجاز القرآن – ص 34

[3] - الخفاجي – سر الفصاحة – ص 64

[4] - امرؤالقيس – شرح ديوان امرؤ القيس – ص 38

[5]- الوكر : العش ، العناب : سمر لونه أحمر ، الحشف : الردئ من التمر .

في البيت تشبيه شيئين بشيئين . مثار النقع المتطاير فوق الرؤوس بالليل ، والأسياف في علوها وانخفاضها بالكواكب المتهاوية ، والتشبيه الثالث تشبيه حركة السيوف وبريقها بتهاوي الكواكب ولمعانها فكانت ثلاثة تشبيهات.

ويقف علماء البلاغة للموازنة مع بيت بشار في موضع آخر عند قوله تعالى : (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).(التوبة الآية 32)

وهذا الكلام وإن كان مركباً فإنّه مستعملٌ في غير ما وضع له بتشبيه الهيئة بالهيئة.

فإن السكاكي يتناوله على طريقته في كثير من الاستعارات يعيدها إلى أصلها وهو التشبيه ، وإن كان تشبيه هيئة إلا أنه صالح لتفكيك التشبيه بأن يشبه الإسلام وحده بالنور ويشبه محاولو إبطاله بمريدي إطفاء النور ويشبه الإرجاف والتكذيب بالنفخ ، ومن الرشاقة أن آلة النفخ وآلة التكذيب واحدة وهي الأفواه.[1]

ثم يأتي ابن عاشور ليقارن بين إمكانية التفريق في هذا التشبيه المركب البديع في الآية بمثال مشهور صالح لاعتباري التركيب والتفريق وهو بيت بشار بن برد : (كأن مثار النقع ***) ولكنه يلفت هنا أمراً جديداً لم يشر إليه عند موازنته في الآية السابقة حيث يقول : " ولكن التفريق في تمثيلية الآية أشد استقلالاً بخلاف بيت بشار كما يظهر ".[2]

وهذه الملاحظة تنبئ عن مدى اهتمام الطاهر بن عاشور بمسألة تفريق التركيب والمفهوم من كلام العلماء خلاف ما يقرره الطاهر هنا ، إذ أن حديث العلماء على التركيب في تشبيه الهيئات يركز على امتزاج أجزاء هذا التركيب لشدة استقلالها لأن التشبيه إذا كان مقصوداً على الجمع دون التفريق ، كان حال أحد الشيئين مع الآخر حال الشيء في صلة الشيء وتابعاً له مبنياً عليه حتى لا يتصور إفراده بالذكر ، فالذي يفضي بك إلى معرفة ذلك إنك تجد في هذا الباب ما إذا فرق لم يصلح للتشبيه بوجهه فالكلام حول هذه التشبيهات المركبة مترابط ترابط أجزاء البناء والصلة مع الموصول والتابع مع المتبوع ، وإن بعضها يصلح للتفكيك لكن شدة استقلال أجزاءه بعد التفكيك

[1] - السكاكي – مفتاح العلوم – ص 113
[2] - ابن عاشور – التحرير والتنوير– ص 171

ليست مزية بل المزية في ارتباطها وائتلافها مع غيرها لأن الكلام بني على التركيب أصلاً وإن كان صالحاً للتفكيك.[1]

ولقد عنى عبد القاهر الجرجاني بهذه المسالة فعقد فصلاً في التشبيه المتعدد والفرق بينه وبين المركب ، فأشار إلى أن التشبيه المتعدد مبني على تفريق أجزاءه وميزته في هذا التعدد والتفريق ، وليس كذلك بيت بشار : كأنّ مثار النقع ... لأن التشبيه هناك كما مضى مركب وموضوع على الهيئة التي ترى عليها النقع المظلم ، والسيوف في أثناءه تبرق وتومض وتعلو تنخفض ، وترى لها حركات من جهات مختلفة كما يوجبه الحال حين يحمي الجلاد وترتكض بفرسانها الجياد.[2]

فبيت بشار مبني أصلاً على التركيب ، وكل تشبيه مركب يبنى على تركيب أجزاء وائتلافها فى هيئة واحدة وصوره متعددة فلا يصلح أن نقول إن أجزاءه عند التفريق أشد استقلالا على أساس أن هذا الاستقلال فضيلة.[3]

ومن أمثلة الموازنة والمقارنة ما جاء في قوله تعالى : (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ).(البقرة الآية 19)

في الآية تمثيل عجيب حيث شبهت حال المنافقين بحال قوم سائرين في الليل بأرض قوم أصابها الغيث ، وكان أهلها في مساكنهم كما علم ذلك من قوله كلما أضاء لهم مشوا فيه ، فذلك الغيث نفع أهل الأرض ، ولم يصبهم مما اتصل به من الرعد والصواعق ولم ينفع المارين بها ، بل أضر بهم ما اتصل به من الظلمات والرعد والبرق ، فهذا التمثيل أعجب ابن عاشور الذي صور هيئة اختلاط النفع والضر في المطر والسحاب ، ويعده من بديع التمثيل القرآني ، حيث يقول : " ولا تجد حالة صالحة لتمثيل هيئة باختلاط نفع وضر مثل حالة المطر والسحاب ، وهو بديع التمثيل القرآني[4]،ومنه أخذ أبوالطيب قوله[4] :

---

[1] - ابن عاشور – التحرير والتنوير – ص 196
[2] -الجرجاني- أسرار البلاغة – ص 196
[3] - المرجع نفسه – ص 194
[4] - ابن عاشور التحرير والتنوير – ص 196
[4]- المتنبي – ديوان المتنبي – ص 89

.

فَتَىً كالسّحاَبِ الجَونِ يَخْشَى وَيَرْتَجِي *** يُرْجِي الحَيَا مِنْهُ وَتَخْشَى الصّواعِقُ*

فشعر أبو الطيب هذا وإن كان بديعاً فإن الفضل فيه يرجع لأخذه المعنى من الآية والتمثيل في الآية أجمل وأبدع ولا شك أنه أدق وأكثر تفصيلاً لحالتي النفع والضر .

ومن الشواهد التي وقف عندها العلماء ووازنوا بينها وبين آيات القرآن قول زهير[1] :

بَكَرْنَا بُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسَحْرَةٍ *** فَهُنّ وَوَادِي الرسّ كاليدّ فِي الفَمِ

حيث وقفوا مع هذا البيت في ثلاثة مواضع : الموضع الأول عند قوله تعالى : (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).(النحل الآية 77)

فجوز العلماء في وجه الشبه في قوله : (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ) وجهين : الأول تحقق الوقوع بدون مشقة ولا إخطار إرادة الله تعالى ، لأن لمح البصر هو أمكن وأسرع حركات الجوارح ، وبذلك يكون الغرض من التشبيه إثبات إمكان الوقوع والتحذير من عدم تأخيره.[2]

وعلى هذا الوجه فإن التشبيه في الآية أفصح من الذي في قول زهير : (فهن ووادي الرس كاليد للفم) . أما القول الثاني : فهو السرعة أي سرعة الحصول عند إرادة الله إلى ذلك يحصل فجأةً بدون إمارات ، فيكون الغرض من التشبيه الانزار والتحذير.[3]

والموضع الثالث الذي وقفوا فيه العلماء مع بيت زهير عند تفسيرهم آية القمر الشبيهة بآية النحل حيث يقول الحق : (وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ).(القمر الآية 50)

---

[1] - شرح شعر زهير بن أبي سلمى – صنعة أبي عباس ثعلب – تحقيق الدكتور فخر الدين – دار الفكر دمشق – ص 20

[2] - الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن – ص 43

[3] - المرجع نفسه– ص 164

* الجون : أي الأسود

فوجه الشبه في الآية سرعة الحصول ، أي ما أمرنا إلا كلمة واحدة سريعة كسرعة لمح البصر ، وقد قورنت الآية ببيت زهير من قبل العلماء البلاغيون ، وجعلوا ما جاء في الآية أبلغ مما جاء عن العرب من تشبيه بيت زهير في تقريب الزمان.

والموضع الثالث الذي وقف فيه العلماء مع بيت زهير عند تفسيرهم لقوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ).(ق الآية 16)

فالقرب المذكور في الآية كناية عن إحاطة العلم بالحال ، لأن القرب يستلزم الاطلاع ، وليس هو قرباً بالمكان بقرينة المشاهدة فالكلام هنا يدخل في باب التشبيه البليغ تشبيه معقول بمحسوس ، ومن لطائف هذا التمثيل أن حبل الوريد مع قربه لا يشعر الإنسان بقربه لخفائه وكذلك قرب الله من الإنسان بعلمه لا يشعر به الإنسان فلذلك اختير تمثيل هذا القرب بقرب حبل الوريد. [1] وهذا ماجرى نهجه بيت زهير (وهن ووادي الرس كاليد للفم).

[1] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 120

المبحث الثاني : الابتكار

الابتكار هو حد جهات الإعجاز ، حيث جاء القرآن الكريم على لغة العرب في كافة الأحوال والاتجاهات ، ونرى حد وجوه الإعجاز راجعاً إلى ثلاث جهات :

الجهة الأولى : بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ .

الجهة الثانية : ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهوداً في أساليب العرب ، لكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الجهة الثالثة : ما أودع فيه من المعاني الحكيمة والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية.[1]

وقد عد كثيراً من العلماء من وجوه إعجاز القرآن ما يعد جهة رابعة هي ماانطوى عليه من أخبار الغيب.

وما هو معلوم أن القصد بمبتكرات القرآن : ما أبدعه من نظم لم يكن معهوداً في أساليب العرب ولكنه جار على قانون لغتهم ، والقرآن جاء على أسلوب يخالف الشعر وجاء أيضاً مخالفاً للخطابة بعض المخالفة إذ أنّه جاء على طريقة كتاب بقصد حفظه وتلاوته ، وعد ذلك من وجوه إعجازه ، إذ كان نظمه على طريقة مبتكرة ليس فيها اتباع للطرق القديمة في الكلام.[2]

ومن مبتكراته أنّه جاء بالجمل على معان مفيدة محررة شأن الجمل العلمية والقواعد التشريعية ، فلم يأت بعمومات شأنها التخصيص ، ولا بمطلقات تستحق التقييد كما كان يفعله العرب لقلة اكتراثهم للأحوال القليلة والأفراد النادرة ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ ***)(القصص بعض الآية 50) فالهوى يكون محموداً إذا كان هوى المرء عن هدى.

ومن مبتكراته أن جاء على أسلوب التقسيم والتسوير وهي سنة جديدة في كلام العرب أدخل بها عليه طريقة التبويب والتصنيف ، ومنها الأسلوب القصصي في حكاية

---

[1] - الباقلاني – إعجاز القرآن – ص 104

[2] - الجرجاني – أسرار البلاغة – ص 63

أحوال النعيم والعذاب في الآخرة ، وفي تمثيل الأحوال وقد كان لذلك تأثيراً عظيماً في نفوس العرب إذ كان القصص مفقوداً من أدب العربية إلا نادراً [1]

ومن ابتكارته في الأسلوب أنه لم يلتزم أسلوباً واحداً واختلفت سوره وتفننت ، فتكاد تكون لكل سورة لهجة خاصة ، فإن بعضها بني على فواصل وبعضها ليس كذلك ، ومنه ما افتتح بالاحتفال كالحمد ويا أيها الذين آمنوا ، وألف لام ميم ، ومنها ما افتتح بالهجوم على الغرض من أول الأمر،ومن أبدع أساليب العرب في الكلام الإيجاز، وقد جاء القرآن بأبدعه مما ليس للعرب أو لأحد به قبل ، فمن بديع إعجازه الذي اختص به صلوحية معظم آياته بأن تؤخذ منها معان متعددة كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينافيها اللفظ ، فبعض تلك الاحتمالات مما يمكن اجتماعه وبعضها وإن كان فرض واحد منه يمنع من فرض آخر وتحريك الأذهان إليه وإخطاره بها يكفي في حصول المقصد من التذكير به للامتثال أو الإنتهاء.[2]

ومن أساليب القرآن ومبتكراته التي انفرد بها والتي أغفل عنها بعض المفسرين أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معان إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها ، واستعمال اللفظ بمعناه الحقيقي والمجازي ، إذا صلح المقام بإرادتهما ، وبذلك تكثر معاني الكلام مع الإيجاز.

أما التمثيل فقد جاء القرآن بأعجبه وأبدعه وقد عدّه العلماء من مبتكرات القرآن باعتبار أن القرآن قد أوضح الأمثال وأبدع تركيبها وقد كانت معروفة عند العرب ، وهي جمل بليغة قيلة في أحوال وحوادث معينة إلا أن غالب الأحوال والحوادث أصبحت منسية مع تقدم الزمن ولكن بقيت تلك الجمل البليغة تذكر بتلك الأحوال.[3]

أما القرآن فقد أوضح الأمثال وأبدع تركيبها ، وهنالك سببين لعد هذه الأمثال من مبتكرات القرآن ، الأول : الوضوح فهي أمثال وأحوال واضحة وليس فيها شيء غامض أو غير معروف.

---

[1] - سيد قطب – في ظلال القرآن – ص 123

[2] - المرجع نفسه – ص 111

[3] - ابن عاشور - التحريروالتنوير– ص 121

والثاني : أنها بنيت على نظم بديع لا يدانيه نظم أمثال العرب ولا غيرهم ،ومن الآيات التي تتواجد فيها الأمثال المبتكرة كما قال تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ).(إبراهيم الآية 18)

وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ).(النور الآية 39)

ومن المبتكرات التي اشتمل عليها وجاء بها القرآن الجمل الجارية مجرى الأمثال وهذا باب من أبواب البلاغة نادر في كلام بلغاء العرب وهو الذي لأجله عدت قصيدة زهير من المعلقات ، حيث جاء في القرآن ما يفوق ذلك لقوله تعالى : (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ***).(الإسراء بعض الآية 84) وقوله تعالى : (طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ).(النور بعض الآية 54) ، وقوله تعالى : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).(المؤمنون بعض الآية 96)

ومن هنا يمكن أن نستنتج مفهوم الابتكار ، فللابتكار أكثر من معنى ، والمبتكر الكلام الذي لم تجر به عادة العرب أو لم يسمع عنه ، ومن الأمثال المبتكرة في القرآن الكريم تمثيل الكافر بالكلب في قوله تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ).(الأعراف الآيات 175- 177)

تمثيل مبتكر لا عهد للعرب بمثله وليس لشيء من الحيوان حالة تصلح للتشبيه بها في الحالتين غير حال الكلب اللاهث لأنه يلهث إذا اتعب وإذا كان في راحة واللهث في أصل خلقته [1] ووجه الشبه لهذا الضال بالكلب أنه تحمل عبء البحث عن الدين الحق حين لم يكن مكلفاً بذلك ، وعندما ظهر الدين الحق كفر به فتحمل مشقة الكفر

[1] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 43

والعناد وعناءه في حين كان الأولى له أن يريح نفسه في الحالين ، فكانت حالته هذه شبيه بحال الكلب الذي لا يدع اللهث على أي حال فهو يلهث إن حملت عليه أم لا وهو لا يدع ذلك أيضاً إن تركته وسالمته ، والتشبيه هنا تشبيه تمثيل مركب منتزعة فيه الحال المشبه والحالة المشبه بها من متعدد ، وتتقابل أجزاء هذا التمثيل : بأن يشبه الضال بالكلب ويشبه شقاءه واضطراب أمره في مدة البحث عن الدين بلهث الكلب في حالة تركه أو الحمل عليه ، تشبيه المعقول بالمحسوس ، ويشبه شقاءه في إعراضه عن الدين الحق عند مجيئه بلهث الكلب في حالة طرده وضربه تشبيه المعقول بالمحسوس.[1]

وقد نبّه العلماء إلى الذين فسروا هذه الآية قد أغفلوا الإشارة إلى التركيب في هذا التمثيل وأنه يشتمل على أجزاء متقابلة في الطرفين فقرروا التمثيل وتشبيه حالة بسيطة بحالة أخرى بمجرد التشويه فيؤول إلى أن الغرض من تشبيهه بالكلب إظهار خسة المشبه ، ويروا أن هذا التقصير في حق التمثيل في الآية ، ولو كان هو المراد لما كان عليه " إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث " كبير جدوى بل يقتصر على أنه لتشويه الحال المشبه بها لتكتسب الحال المشبه تشويهها ، وقال الزمخشري لتفسيره في قوله تعالى : (فمثله كمثل الكلب ***) حيث يرى صفته التي هي مثل في الخسة والصنعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأزلها وهي حالة دوام اللهث سواء حمل عليه أو شد عليه وهيج فطرد ، أو ترك غير متعرضاً له بالحمل عليه ، وكان حق الكلام أن يقال : ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته في معنى الآية . ومن كلام الزمخشري هذا يمكن أن نستنبط ثلاثة أوجه في هذا التشبيه ذكرها الخفاجي :

الأول : تشبيهه بالكلب في الخسة تشبيه مفرد بمفرد .

[1] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 178

والثاني : تشبيهه به في استواء الحالتين في النقصان ، وأنه ضال وعظ أو لم يوعظ كالكلب يلهث إذا حمل عليه أو لم يحمل ، والظاهر أنه تشبيه مركب في هذا الوجه.

والثالث : التشبيه في اللهث ، فيكون وجه التشبيه في الأولين عقلياً والثالث حسياً وعلى هذا فلم يقصر الزمخشري في هذا التمثيل بكلامه وإنما كان يستوفي أوجه ما قيل فيه.[1]

ومن أبدع تشبيهات القرآن المبتكرة التي أشار إليها علماء البيان قوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ).(العنكبوت الآية 41)

هذا مثل بحال قريش والمشركين من قبلهم في اتخاذهم ما يحسبونه دافعاً عنهم وهو أضعف من أن يدفع نفسه بحال العنكبوت التي تتخذ لنفسها بيتاً تحسب أنها تعتصم به من المعتدي عليها ، فإذا هو لا يصمد ولا يثبت لأضعف تحريك فسيسقط ويتمزق[2] وهذا التشبيه يعتبر تمثيل بديع من مبتكرات القرآن ، وأن الهيئة المشبه بها مع الهيئة المشبه قائمة لتفريق التشبيه على أجزاءها ، فالمشركون أشبهوا العنكبوت في الغرور بما أعدوه وأولياءهم أشبهوا بيت العنكبوت في عدم الغناء عمن اتخذوها وقت الحاجة إليها وأقصى ما ينتفعون به منها نفع ضعيف هو السكن فيها ، وتوهم أن تدفع عنهم كما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم.[3]

ومن التشبيهات المبتكرة في القرآن الكريم قوله تعالى : (فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ).(المدثر الآيات 49- 51)

قد كثر ذكر الحمر وبقر الوحش في النفرة إذا أحست باقتراب الخطر كما هو مدون في شعر العرب في الجاهلية والإسلام ، والحمار الوحشي شديد النفره إذا أحس بصوت القانص ، وقد جاء التشبيه في الآية على نمط بديع فهو من التشبيهات المبتكرة لحالة إعراض مخلوط برعب من تتضمنه قوارع القرآن ، وقد شبهت حالة الإعراض المتخيلة بحال فرار حمر نافرة وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس.[4]

---

[1] - الخفاجي – حاشية الشهاب– ص 44
[2] - المرجع نفسه – ص 50
[3] - ابن عاشور – التحرير والتنوير – ص 26
[4] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 30

المبحث الثالث : الإيجاز

الإيجاز نوع من الكلام الشريف ، لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة من سبق إلى غايتها وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلى ، وذلك لعلو مكانه وتعذر إمكانه فهو من أعظم أساليب البيان العربي ، وأخص سمات التعبير العربي ، حتى أن بعض الفصحاء قصر البلاغة عليه ، فقد نقل الجاحظ : أن معاوية رضي الله عنه قال : لصحار العبدي – وكان علامة نسابة – ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال : الإيجاز.[1]

وليس معنى هذا أن البلاغة لا تعدو الإيجاز ، ولكنه من قبيل تسمية الكل باسم الجزء فالإيجاز أحد أهم خصائص بلاغة العرب فهم إليه أميل ، وبه أعنى ، وفيه أرغب ، ألا ترى إلى ما في القرآن وفصيح الكلام من كثرة الحروف ، كحذف المضاف وحذف الموصوف ، والاكتفاء بالقليل من الكثير ، فهذا ونحوه مما يطول إيراده وشرحه و مما يزيل الشك عنك في رغبته فيما خف وأوجز ، عما طال وأمل.[2]

وقد عني علماء البلاغة بالإيجاز وامتلأت بالحديث عنه كتبهم ، ويدور تعريفه عندهم حول تقليل الألفاظ وكثرة المعاني ، فيعرفه الرماني بقوله : الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى [3] ويفهم ابن رشيق كلامه هذا بأنه التعبير عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف.[4]

وهو عند ابن سنان الخفاجي أن يكون المعنى زائداً عن اللفظ أي أنه لفظ موجز على معنى طويل ، على وجه الإشارة واللمحة.[5]

وحده عند الرازي التعبير عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال.[6]

---

[1] - الجاحظ : أبي عثمان عمرو بن بحر – البيان والتبين- تحقيق وشرح عبد السلام محمد هرون – القاهرة – القاهرة ط5 1985م – ص 96

[2] - ابن جني أبوالفتح عثمان –– الخصائص – الهيئه المصرية للكتاب العربي – ط4 - ص 86

[3] - الرماني – النكت في إعجاز القرآن – ص 76

[4] - ابن رشيق القيرواني أبوعلي الحسن – العمدة في محاسن الشعر وآدابه – تحقيق محمد محي الدين دارالجيل ط5 1401ص 431

[5] - الخفاجي – سر الفصاحة – ص 243

[6] - الرازي – نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – ص 246

ويعرفه السكاكي بأنه أداء المقصود من الكلام من عبارات متعارفة الأوساط.[1]

ونلاحظ في كل هذه التعريفات وغيرها أنها تدور في بيان الإيجاز حول تقليل الألفاظ وتكثير المعاني ، مع اشتراط بعضها عدم الإخلال ، ذلك أن الأمر بين الإيجاز والتطويل نسبي كما أشار إلى ذلك غير واحد من العلماء.

يقول السكاكي : أما الإيجاز والإطناب فكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما إلا لترك التحقيق والبناء على شيء عرفي.[2]

ويقول بدر الدين بن مالك : " ولكونهما – أي الإيجاز والإطناب – نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما إلا بتقديم صلة ، وهو أنه لا يخلو الكلام عن أحد أمور ثلاثة : إما المساواة ، إما التضييق ، وإما التوسيع.[3]

ويقول الطيّبي : " هما من الأمور النسبية والمعيار كلام الأوساط.[4]

وينشأ سؤال هنا الإيجاز أبلغ أم التطويل ؟ ويجيب الإمام الطيّبي عن ذلك بأن البلاغة في بلوغ الرجل بعبارته مراده ، مع إيجاز بلا إخلال ، أو إطناب بلا إملال ، وعلو شان الكلام بحسب مصادفة المقام.[5]

فحينما يقتضي المقام الإيجاز فهو أبلغ ، وحينما يتطلب الإطناب فالبلاغة فيه والمعيار كما قالوا هو كلام الأوساط.

ولذلك قالوا إن الإيجاز ليس بمحمود في كل موضع ، ولا بمختار في كل كتاب بل لكل مقام مقال ولو كان الإيجاز محموداً في كل مكان أو كل الأحوال لكان القرآن الكريم كله إيجازاً ، ولما لم يكن ذلك أطال القرآن تارة للتوكيد والحذف و تارة للإيجاز والتكرار تارة أخرى للأفهام.[6]

---

[1] - السكاكي – مفتاح العلوم – ص 277

[2] - السكاكي – مفتاح العلوم– ص 276

[3] - ابن الناظم : بد الدين بن مالك بن محمد – المصباح في معاني البيان والبديع – تحقيق د حسن عبد الجليل – مكتبة الآداب القاهرة – ص 73

[4] - الطيّبي : شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد – التبيان في المعاني والبيان – تحقيق عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي – المكتبة التجارية مكة المكرمة – ص 228

[5] - المرجع نفسه – ص 228

[6] - ابن قتيبية – أدب الكاتب – ص 19

وقد أخطأ من يزعم أن القرآن كله إيجازاً يظن أن في التطويل إخلالاً في حق البلاغة ولكن جاء القرآن في كل مقاماته بمعان لايمكن تأديتها كاملة العناصر بأقل من الألفاظ ولا بما يساويها ، فليس فيه كلمة إلاّ هي مفتاح لفائدة جليلة ، وليس فيه حرف إلاّ جاء لمعنى ، فهذا حق إذا قارنا القرآن بغيره، فإن الناس لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثل معانيه لما استطاعوا ، ولكننا نعلم أن القرآن تناول بعض المعاني في مقامات مختلفة ،فأطال في موضع وأوجز في آخر. [1]

لقد أجاب عن ذلك الإمام الخطابي في معرض رده على الطاعنين في بيان القرآن ، الذين عابوا ما فيه بزعمهم من حذف واختصار ، أو تطويل وتكرار ، فأجابهم رحمه الله بقوله : إن الإيجاز في موضعه ، وحذف ما يستغنى عنه من الكلام نوع من أنواع البلاغة ، وإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة إليه بتكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار ... ، وقد أخبر الله تعالى بالسبب الذي لأجله كرر القصص والأخبار في القرآن فقال سبحانه وتعالى : (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).(القصص الآية 51)

لقد جاء القرآن بالإيجاز حين اقتضى المقام الإيجاز ، وجاء بالإطناب حين اقتضى المقام الإطناب ، وهذه هي البلاغة ومن ظن غير ذلك فلا نرى له سنداً يمكن أن يعتمد عليه ، واجتهاده مردود عليه.[2]

ولقد تكلم العلماء عن الإيجاز كثيراً حتى لا تكاد تجد كتاباً في البلاغة إلا وذكره وقد عنى ابن عاشور به فأكثر القول فيه ، وفتش عن أسراره في كتاب الله ، وكشف عن نوع اختص به هذا الكتاب ، فقد جاء القرآن بأبدع الإيجاز إذ كان مع ما فيه من الإيجاز المبين للمعنى في علم المعاني ، وفيه إيجاز عظيم آخر وهو صلاحية معظم آياته لأن تؤخذ منها معان متعددة كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينافيها اللفظ . [3]

---

[1] - شادي :محمد إبراهيم شادي - النبأ العظيم ومدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي – القاهرة 1408هـ - ص 45

[2] - الخطابي : أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم – بيان إعجاز القرآن ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – تحقيق محمد خلف الله أحمد – دار المعارف القاهرة ط4 – ص 39-40

[3] - ابن عاشور – التحرير والتنوير – ص 121

إنّه إيجاز من نوع خاص فهو أبدع إيجاز أو الإيجاز البديع وقد كان المفسرون غافلين عن تأصيله.[1]

وأورد المطعني في كتابه عن خصائص التعبير القرآني سؤالاً حول ثراء معاني القرآن الذي يعد من خصائص التعبير فيه فأحال الإجابة عنه إلى الزمخشري.

يتساءل المطعنى : لماذا جاء القرآن على هذه الوجوه ، نرى الزمخشري يجيب على هذا السؤال فيقول : فإن قلت : كلام القرآن كله محكمٌ يعني دلالته قطعية في كل موضوع ، أو لتعلق الناس به لسهولته ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل والنظر والاستدلال ، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به ، ولما في المتشابه من الاستيلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمزلزل فيه ، ولما في تقادح العلماء واتباعهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله.[2]

وكلام الزمخشري هنا وإن كان واضحاً عن المحكم والمتشابه في القرآن إلا أن له صلة بما نحن فيه ، يقول المطعني : معقباً على هذا النص وإن كان في الدفاع عن ورود المتشابه في القرآن فإن له بما نحن فيه نسباً وصلة.[3]

وقد قالوا عن الزمخشري إنه كان يقلب وجوه المعنى في تشبيهات القرآن فيردد كثيراً من صور التشبيه بين التشبيه المركب والتشبيه المفرق ، وهذا الترديد يرجع إلى الرغبة في تحليل الجزئيات والوقوف عند المفردات.[4]

ويقول المطعني عند حديثه عن الخصائص القرآنية التي يغلب عليها جانب المعنى والاختلاف في بيان المراد من ألفاظ القرآن وجمله كان مورداً غنياً للمفسرين والمشرعين والفقهاء ، وجهودهم في ذلك معروفة لا نحتاج إلى بيان لها وذكر المطعني

---

[1] - المطعني عبدالعظيم بن إبراهيم بن محمد - خصائص التعبير القرآني – القاهرة – ط1 1413ه - ص 382

[2] - الزمخشري – الكشاف – ص 25

[3] - المطعني – خصائص التعبير القرآني – ص 382

[4] - الزمخشري - البلاغة القرآنية – ص 476

في صدر كتابه حديثاً مرفوعاً لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة.[1]

ولقد تناول أيضاً بعض الباحثين المعاصرين هذا الموضوع تناولاً كلياً وجزئياً.[2]

لقد أراد الله أن ينزل القرآن بلغة العرب ، فيخاطب به كل الأمم في كل الأزمان ، ولذلك اختار له أفصح لغة بين لغات البشر فهي أوفر اللغات مادة وأقلها حروفاً ، وأفصحها لهجةً ، وأكثرها تصرفاً في الدلالة على أغراض المتكلم ، وأوفرها ألفاظاً ، وجعل القرآن جامعاً لأكثر ما يمكن أن تتحمله اللغة العربية في نظم تراكيبها من المعاني في أقل ما يسمح به نظم تلك اللغة ، فكان قوام أساليبه جارياً على أسلوب الإيجاز ، فلذلك كثر فيه ما لم يكثر في كلام بلغاء العرب.[3]

لقد أعجز القرآن العرب لأنه جاء على أسلوب أبدع مما كانوا يعهدون وأعجب فكان من وجوه إعجازه وإيجازه لتقليل ألفاظه وتكثير معانيه ، فالقرآن من جانب إعجازه يكون أكثر معانٍ من المعاني المعتادة التي يودعها البلغاء في كلامهم ، وهو بكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم كان حقيقياً بأن يودع فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما تحتمله الألفاظ ، في أقل ما يمكن من المقدار ، بحسب ما تسمح به اللغة الوارد بها التي هي أسمح اللغات بهذه الاعتبارات ، ليحصل تمام المقصود من الإرشاد الذي جاء لأجله في جميع نواحي الهدى.[4]

لقد جرت عادة المتكلمين إذا أرادوا التعبير عن فكرة أو غرض أن يقصدوا إليها فيودعوا كلامهم من المعاني ما يعبر عن هذه الفكرة التي قصدوا إليها ، وربما حصل لبلغائهم من الدقائق واللطائف في التعبير عن هذا المعنى ما من أجله استحسن الناس كلامهم ، أما القرآن فإنه أودع من المعاني كل ما يحتاج السامعون إلى عمله وكل ما له حظ في البلاغة.[5]

---

[1] - المطعني – خصائص التعبير القرآني – ص 361

[2] - النورسي بديع الزمان سعيد – إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز – تحقيق إحسان قاسم الصالحي – القاهرة ط2 1414هـ - 1994م – ص 48-49

[3] - الزمخشري – الكشاف – ص 23

[4] - سيد قطب – في ظلال القرآن – ص 194

[5] - سيد قطب – في ظلال القرآن – ص 29

وهذه المعاني التي أودعت في جمل القرآن ربما كانت متساوية أو متفاوتة في البلاغة وربما كانت دلالة التركيب عليها متساوية في الاحتمال والظهور أو متفاوتة بعضها أظهر من بعض فإن الأخذ بها فيه إثراء للمعنى وهي كلها – الراجح والمرجوح منها – معانٍ مرادة لقائلها العليم بكل شيء.

وذهب بعض العلماء والمفسرين إلى ما هو أبعد من ذلك فيرون أن المعاني البعيدة المرجوحة التي لا يمكن اجتماعها مع غيرها هي أيضاً معانٍ مرادة ، وقالوا عندما تحدثوا عن الإيجاز العظيم : وهو صلوحية معظم آياته لأن تؤخذ منها معاني متعددة كلها تصلح لها العبارات باحتمالات لا ينافيها اللفظ ، فبعض تلك الإحتمالات مما يمكن اجتماعه ، وبعضها وإن كان فرض واحد منه يمنع من فرض آخر ، فتحريك الأذهان إليه وإخطاره بها يكفي في حصول المقصد من التذكير به.[1]

وليس هناك مانع صريح من دلالة شرعية أو لغوية ، فهي معان مرادة لمنزلة ومحيط علمه بكل شيء الذي لو شاء لجعله كلاماً غير مكتمل ، ولما جعل من المحكم والمتشابه ، أنزله بلسان عربي مبين فجعل منه آيات محكمات وأخر متشابهات ، وأودعه جملة من المعاني ما دعا إليها العلماء لينظروا فيها ويستنبطوا معانيها ، وبذلك جعل لهم المزية على غيرهم ، لذلك كان القرآن كما قال علي رضي الله عنه : (حمال أوجه) فإنك لتمر بالآية الواحدة تتأملها وتتدبرها فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي ، وقد تتكاثر عليك فلا تكن من كثرتها في حصر ولا تجعل الحمل على بعضها منافياً للحمل على البعض الأخر ، وإن كان التركيب يسمح بذلك فمختلف المحامل التي تسمح بها كلمات القرآن وتراكيبه وإعرابه ودلالته ... يجب حمل الكلام على جميعها.[2]

ومن أمثلة ذلك ما استنبطه العلماء والمفسرين من فعل النبي صلى الله عليه وسلم في سجود التلاوة ، حيث يقول : وما أرى سجوداً راجعاً إلى هذا الأصل ، فإن كان فهماً

[1] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 54
[2] - الزمخشري – الكشاف – ص 220

منه رجع إلى ما شرحنا تأصيله ، وإن كان وحياً كان أقوى حجة في إرادة الله من ألفاظ كتابه ما تحتمله ألفاظ مما ينافي أغراضه.[1]

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :(لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ).(التوبة بعض الآية 108)

فالمعنى الأصلي أنه أسس من أول أيام تأسيسه ، واللفظ صالح لأن يحمل على أنه أسس من أول يوم من الأيام أي أحق الأيام أن يكون أول أيام الإسلام فتكون الأولية نسبية.

وقد استدل الشافعي على حجية الإجماع ، وتحريم خرقه في قوله تعالى : (وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً)(النساء الآية 115)

مع أن سياق الآية في أحوال المشركين ، والمراد من الآية مشاقة خاصة واتباع غير سبيل خاص ، ولكن الشافعي قدر حجية الإجماع من كمال الآية.[2]

ومما يرجح إلى هذا الأصل القراءات المتواترة إذا اختلفت في قراءة ألفاظ القرآن اختلافاً يقضي إلى اختلاف المعاني ، ومما يرجح إلى ذلك ما يكون أيضاً بين هذه المعاني المحتملة في التركيب من عموم وخصوص ، فإن معاني التركيب المحتملة معنيان فأكثر وقد يكون بينهما العموم والخصوص.

وهذا النوع من الدلالة لا تردد في حمل التركيب فيه على جميع ما يحتمله ما لم يكن عن بعض تلك المحامل صارف لفظي أو معنوي ويمثل ذلك بالمراد من (الجهاد) في قوله تعالى : (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ).(العنكبوت بعض الآية 6)

فإن الجهاد هنا يحتمل أن يكون المراد منه مجاهدة النفس في إقامة شرائع الاسلام ويحتمل أن يكون المراد مقاتلة الأعداء والدفاع عن حوزة الإسلام.

---

[1] - المرجع نفسه – ص 216

[2] - ابن عاشور – التحرير والتنوير – ص 96

ومن المعاني المختلفة في هذا الباب عند الوصل والوقف في القراءة فالوقف عند انتهاء جملة من جمل القرآن قد يكون أصلاً لمعنى الكلام ، فقد يختلف المعنى باختلاف الوقف على أن التعدد فيه قد يحصل به ما يحصل في تعدد وجوه القراءات من تعدد المعنى مع إتحاد الكلمات.[1]

وأمثلة ذلك في القرآن كثير ، فمنه قوله تعالى : (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ***).(آل عمران بعض الآية 7)

فمن اختلاف المعنى عند الوقوف على اسم الجلالة ، ومن أدق ما هو في هذا الباب بأن ينبه عليه استعمال اللفظ المشترك في معانيه ، استعمال اللفظ في معناه الحقيقي ومعناه المجازي معاً ، وبل إرادة المعاني المكنى عنها مع المعاني المصرح بها وإرادة المعاني من التراكيب المستتبعة.[2]

واستعمال اللفظ المشترك في معانيه وفي حقيقته ومجازه محل تردد بين المتصدين لاستخراج معاني القرآن تفسيراً وتشريعاً ، وسبب ذلك أنه غير وارد في كلام العرب قبل القرآن أو واقع بندرة ولكن الذي يجب اعتماده أن يحمل المشترك في القرآن على ما يحتمله من المعاني سواء كان ذلك في اللفظ المفرد المشترك والتركيب المشترك بين مختلف الاستعمالات ، سواء أن كانت المعاني حقيقية أو مجازية ، محضة أو مختلفة.[3]

وعلى هذا القانون يكون طريق الجمع أو الترجيح بين المعاني التي يذكرها المفسرون الذين كانوا غافلين عن تأصيل هذا الأصل ، فلذلك كان الذي يرجح منهم معنى من المعاني التي يحتملها لفظ آية من القرآن يجعل غير ذلك المعنى ملغيّاً ، بل كل الاحتمالات معانٍ معتبرة في تفسير الآية.

---

[1] - الزمخشري - الكشاف – ص 83

[2] - سيد قطب – في ظلال القرآن – ص 93

[3] - المرجع نفسه – ص 94

والقرآن من جانب إعجازه يكون أكثر معان من المعاني المعتادة التي يودعها البلغاء في كلامهم ، وهو لكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم كان حقيقياً بأن يودع فيه المعاني والمقاصد أكثر ما تحتمله الألفاظ في أقل ما يمكن من المقدار ، بحسب ما تسمح به اللغة الواردة بها ، التي هي أسمح اللغات لهذه الاعتبارات ، والقرآن كتاب تشريع لذلك البلاغة به مقصودة ، بل إن دقائقها مرادة.[1]

وقد أورد النورسي مثل هذا التساؤل وأجاب عنه بكلام عجيب فيه شفاء لما في الصدور يقول رحمه الله : إن قلت : إن الهداية والبلاغة والبيان والوضوح وحفظ الأذهان من التشتت فما بال المفسرين في أمثال هذه الآية اختلفوا اختلافا مشتتاً وأظهروا احتمالات مختلفة ، وبينوا وجوه تراكيب متباينة ، وكيف يعرف الحق من بينها ؟ قيل لك : قد يكون الكل حقاً بالنسبة إلى سامع فسامع ، إذا القرآن ما نزل لأهل عصر فقط بل لأهل جميع العصور ، ولا لطبقة فقط بل لجميع طبقات الإنسان ، ولا لصنف فقط بل لجميع أصناف البشر ولكل فيه نصيب من الفهم ، والحال أن فهم نوع البشر يختلف درجة درجة ، وذوقه يتفاوت جهة جهة ، وميله يتشتت جانباً جانباً ، واستحسانه يتفرق وجهاً وجهاً ، ولذته تتنوع نوعاً نوعاً ، وطبيعته تتباين قسماً قسماً ، فكم من الأشياء يستحسنها نظر طائفة دون طائفة وتلذذها طبقة ، ولا يتلذذ بها طبقة ، فلأجل هذا السر والحكمة أكثر القرآن من حذف الخاص للتعميم ليقدر كل مقتضى ذوقه واستحسانه ولقد نظم القرآن جملة ووضعها في مكان ينفتح من جهاته وجوه محتملة لمراعاة الأفهام المختلفة ليأخذ كل فهم حصته ، فإذاً يجوز أن تكون الوجوه بتمامها مرادة بشرط ألا تردها علوم العربية ، وبشرط أن تستحسنها البلاغة ، وبشرط أن يقبلها علم أصول مقاصد الشريعة ، فظهر من هذه النقطة أن للوجوه إعجاز القرآن نظمه وسبكه في أسلوب ينطبق على أفهام عصر فعصر على مرّ الزمان.[2]

---

[1] - ابن عاشور- التحرير والتنوير – ص 120

[2] - النورسي – إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز – ص 49

إنّ أحق الأساليب البيانية ارتباطا بالإيجاز هو التشبيه حتى جعله النظام* نهاية البلاغة فقال فيه : إيجاز اللفظ وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه وجودة الكناية نهاية البلاغة.[1]

ويقول عبد القاهر الجرجاني في التشبيه : " وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يقتصر لك بعده ما بين المشرق والمغرب ، ويجمع ما بين المشئوم والمعرق وهو يريك المعاني الممثلة بالأوهام شبهاً للأشخاص المماثلة والأشباح القائمة ، وينطق لك الأخرس ، ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجمال ويريك التئام عين الأضداد ، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين ".[2]

ولذلك جعلوا من أعظم ثمار التشبيه وفوائده الإيجاز ، وهو أمر ظاهر ، لأنّ فيه اختصاراً للفظ وتكثيراً للمعنى.[3]

ولقد أشكل ذلك على بعض المحدثين فأنكر على القوم أن عدو الإيجاز من ثمرات التشبيه وفوائده ، حيث يقول : قد تناقل القوم التوكيد والمبالغة والإيجاز ، فالعرب كما يقول المبرد : تختصر في التشبيه وربما أومأت به إيماءً ، ومعنى ذلك أن الطريقة المألوفة عندهم ألا يخرجوا بالوجوه المشتركة إلى الوجود ، لكن هذا الاختصار لا يمكن أن يعد وظيفة فائدة ، إنّما هو أسلوب في الصياغة ، وإذا جعلنا الإيجاز وظيفة وجب أن يكون مقصدنا أن التشبيه الشعري – يستطيع دون التعبير المجرد – أن يحتفظ بقوة غير المحدود الذي لا ينفد ما نستدركه منها آناً بعد آن ، دون أن ندرك له أسواراً ومعالم نهائية بينة.[4]

---

[1] - أبوالفضل أحمد بن محمد - مجمع الأمثال ج1 – ص 8

[2] - الجرجاني – أسرار البلاغة – ص 132

[3] - العلوي : يحي بن حمزة بن علي إبراهيم – الطراز – مراجعة وضبط جماعة من العلماء بإشراف الناشر – دار الكتب العلمية بيروت – 1400هـ - 1980م – ص 276

[4] - النورسي – إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز – ص 277

* النظام من النقاد العرب القدامى في القرون الهجرية الأولى .

فقائل هذا الكلام لو اطلع على ما كتبه العلامة النورسي من كلام حول إيجاز التشبيهات القرآنية وثرائها بالمعاني المتواردة ، لعدل عن رأيه هذا ، إذ أن كلام الأقدمين عن إيجاز التشبيه كان كلاماً عاماً لا يتناول بالتفصيل هذا النوع من الإيجاز الذي نتحدث عنه هنا وعلى هذا يمكن أن نقول أن تشبيهات القرآن جاءت بالإيجاز المضاعف ، فالقرآن أولاً – وكما قررنا سابقاً – إيجازه كله اختصاراً للألفاظ وكثرة المعاني ثم أن هناك نوعين آخرين من الإيجاز اختصت بها تشبيهات القرآن : أولهما ما فيه من الإيجاز بنوعيه القصر والحذف المبين في علم المعاني ، وثانيهما إيجاز خاص يتمثل في صلاحية بعض تشبيهاته لأن تؤخذ منها معان متعددة كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينافيها اللفظ ، والأمثلة على هذا الباب كثيرة ، فكل تشبيه قد بنى تركيبه عى هذا النوع من الإيجاز فاحتمل نظمه وتركيبه معنيين أو أكثر يصلح أن يكون مثالاً هنا ، وسوف أتناول الإيجاز بعض الأمثلة المتنوعة : مثل قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ).(الأنبياء الآيتان96،97)

هنا توجد ثلاثة أوجه في تفسير خروج يأجوج ومأجوج ، كلها أوجه يحتملها السياق ولا ينفيها ،ففتح يأجوج ومأجوج هو فتح السد الذي هو حائل بينهم بين الانتشار في الأرض ، وهو المذكور في قصة ذى القرنين ، فالآية وصفت انتشارهم وصفاً بدلياً وهو بذلك المغول والتتار ، وقد أخبر عنهم القرآن قبل خروجهم بخمسة قرون ، فيعد بذلك من معجزاته العلمية الغيبية ، وليس هناك دليل على أن المقصود بهم المغول والتتار ولا على أنهم قد ظهروا.[1]

[1] - العلوي - الطراز – ص 64

ويجوز أن يكون المراد بفتح يأجوج ومأجوج تمثيل إخراج الأموات إلى الحشر ، فالفتح بمعنى الشق كقوله تعالى : (يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ). (ق الآية 44)

ويكون اسم يأجوج ومأجوج تشبيهاً بليغاً ، وتخصيصهما بالذكر لشهرة كثرة عددها عند العرب من خبر ذى القرنين ، ويدل على هذا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله لآدم يوم القيامة أخرج بعث النار ، فيقول : يارب وما بعث النار ؟ فيقول الله : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد ؟ قال : أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين.[1]

ويجوز أن يكون اسم يأجوج ومأجوج استعمل مثلاً للكثرة كما في قول ذى الرمة* :

لو أن يأجوج ومأجوج معاً *** وعادعادوا واستجاشوا تبعا

أي حتى إذا أخرجت الأموات ، فيأجوج ومأجوج على نحو قوله تعالى : (خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ).(القمر الآية 7)

فيكون تشبيهاً بليغاً من تشبيه المعقول بالمعقول ، وهذا الوجه في تفسير الآية يؤيده ابن عباس وابن مسعود ومجاهد رضي الله عنهم أجمعين.

وهذان الوجهان الآخيران أكثر مناسبة للسياق فالكلام قبلها أن استحالة الرجوع إلى الدنيا أو عن الشرك والآية بعدها تتكلم عن البعث وهو المراد بالوعد الحق،وفي الأحاديث الشريفة فقد ذكر أن قوم يسمون يأجوج ومأجوج وأن خروجهم من الأشراط الكبري لقيام الساعة. [2]

فقد جاء عن البخاري عن زينب بنت جحش أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعاً يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج

---

[1] - الزبيدي : أبوالعباس أحمد– التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح "مختصر صحيح البخاري – باب أحاديث الأنتبياء – القاهرة – ط893ه – ص 148

[2] - ابن عاشور – التحرير والتنوير – ص 133

* ذو الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة – ديوان ذو الرمة - شرح أحمد حسن – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 1415هـ - ص 43

ومأجوج مثل هذه . وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها فقالت زينب بنت جحش : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال :نعم إذا كثر الخبث.[1]

يقول الله سبحانه وتعالى : (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ).(الأنبياء الآية 104)

فالذي يدل عليه السياق ، إن إعادة خلق الأجسام شبهت بابتداء خلقها ووجه الشبه هو إمكان كليهما والقدرة عليهما وهذا هو مورد التشبيه الذي يصلح للمماثلة في غير ذلك، وعن حديث بن عباس قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال : (يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين).[2]

فالتشبيه كما يفهم من الحديث صالح لأن يحمل على تمام المشابه لذلك أعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك مراد بأن يكون التشبيه بالخلق الأول شاملاً للتجرد من الثياب والنعال.[3]

[1] - أبوالعباس أحمد الزبيدي – مختصر صحيح البخاري – باب أحاديث الأنبياء ص 9 39

[2] - المرجع نفسه– ص 40

[3] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 46

المبحث الرابع : التفنن

التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر من عادة العرب ، تطرية للكلام ، وتنشيطاً للسامع.[1]

وقد عرفه الشهاب بقوله : التفنن كالافتنان ،إي الأتيان بفنون وأنواع من الكلام.[2]

وهو عند الأندلسي : دأب البلغاء ، وفيه دلالة على رفعة شأن المتكلم ، والقرآن الكريم مملوء منه ، ومن رام بيان سر لكل ما وقع فيه منه فقد رام ما لا سبيل إليه [3]

وقد وقف أبو حيان عند الآيات من قوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ).(غافر الآية 58) وقوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ).(فاطر الآيتان 19،20)

وقوله تعالى : (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ).(هود الآية 24)

فيبين طرائق القرآن في التقديم والتأخير والجمع والتفريق بين المتناسبات والمتقابلات من صفات كلا الطرفين ، ثم قال : " وكل ذلك تفنن في البلاغة وأساليب الكلام.[4]

وقف الألوسي مع هذه الآيات ، فعجب من هذا النظم البديع الذي قامت عليه وما فيها من عطوفات ومقابلات ، وأدخل ذلك كله في باب التفنن ، حيث قال : وكل ذلك من ضرب باب التفنن في البلاغة وأساليب الكلام البديع.[5]

وقد عجب علماء البلاغة من هذا الافتنان والتوسيع في أساليب القرآن والأعجب أنه من أكثر الكلام افتنانا وتنويعاً في الموضوعات ، وهو أكثر افتنانا وتلويناً في الأسلوب في الموضوع الواحد ، فهو لا يستمر طويلاً على نمط واحد من التعبير كما إنّه لا يستمر طويلاً على هدف واحد من المعاني ألا تراه كما يتنقل في السورة الواحدة من معنى إلى معنى بين إنشاء وإخبار وإظهار واضمار ، واسمية وفعلية ، ومضي وحضور

---

[1] - البيضاوي - تفسير البيضاوي – ص 175
[2] - الخفاجي - حاشية الشهاب – ص 175
[3] - الألوسي - تفسير روح المعاني – ص 425
[4] - الأندلسي أبوحيان - تفسير البحر المحيط – ص 268
[5] -الألوسي - تفسير روح المعاني – ص 122

واستقبال وتكلم وغيبة وخطاب إلى غير ذلك من طرق الأداء على نحو من السرعة لا عهد لك بمثله ولا بما يقرب منه في كلام غيره .[1]

والكلام على التنوع في طرق الأداء يذكر بكلام البلاغيين في تعريف علم البيان إنه علم يراد به إيراد المعنى الواحد بطرق متعددة ومختلفة في وضوح الدلالة عليه.[2]

إن البيان يعنى القدرة على تصريف الصورة البيانية في سياقات متعددة بحسب مقتضيات أحوال المخاطبين في المواطن المختلفة وفي السياقات المتعددة ، فقد يقتضي المقام الوقوف عن التصوير الحقيقي للمعنى ، وقد يقتضي سياق آخر للتعبير عن المعنى بالتشبيه بعنصر خاص يهدف إلى تحقيق مزيدٌ من التأثير ، وقد يتعدد المشبه به مع أن المشبه واحد بحسب المقام.[3]

وقد ضرب بعض الباحثين مثلاً لهذا التنوع بحديث القرآن عن شجرة الزقوم[4] فقد جاء مرة خالياً من التشبيه ذلك عند قوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ).(الواقعة الآيات 51،53)

ثم جاء في سياق آخر عن طريق التشبيه وذلك في قوله جل شأنه : (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ).

(الصافات الآيات 63– 66)

وفي سياق ثالث جاء الحديث عنها عن طريق التشبيه أيضاً ولكن هذه المرة كان التشبيه بعنصر آخر مختلف وذلك في قوله سبحانه : (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ).(الدخان الآيات 43– 45)

---

[1] -ابن كثير - تفسير ابن كثير – ص 144

[2] - القزويني – الإيضاح – ص 326

[3] - سيد قطب - أساليب البيان والصورالقرآنية – ص 15

[4] - المرجع نفسه – ص 16

وترجع وجوه الإعجاز هنا إلى ثلاث جهات منها : ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهوداً من كلام العرب وأساليبهم ، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.[1]

وما هو معلوم أن أدب العرب نوعان ، شعر ونثر ، وأصحاب هذين النوعين وإن تنافسوا في ابتكار المعاني وتفاوتوا في تراكيب أدائها في الشعر فهم بالنسبة إلى الأسلوب قد التزموا في أسلوبي الشعر والخطابة فطريقها واحد وتتشابه فنونها ، فكادوا لا يعدون ما ألفوه من ذلك ، ولما جاء القرآن ابتكر للقول أساليب كثيرة بعضها تتنوع بتنوع المقاصد ، ومقاصدها بتنوع أسلوب الإنشاء ، وفيها أفانين كثيرة ، فيجد فيه المطلع على لسان العرب رغبته.[2]

ولقد اشتمل القرآن على أساليب الكلام العربي ، وابتكر أساليب لم يكونوا يعرفونها ، وإن لذلك التنويع حكمتين داخلتين في الإعجاز :

أولهما : أنه كلام الله الذي لايقارن بكلام غيره، وذلك إن الأدباء في كل عصر يظهر نبوغ نوابغهم على أساليب مختلفة كل يجيد أسلوباً أو أسلوبين.

والثانية : أن يكون في ذلك زيادة التحدي للمتحدين به بحيث أحداً أن يقول هذا الأسلوب لم تسبق لي معالجته ، ولو جاء بأسلوب آخر لعارضته.[3]

ويذكر ابن عاشور من أساليب القرآن ما يسميه بالتفنن وهو براعة تنقلاته من فن إلى فن ، بطرق الاعتراض ، والتنظير والتزييل والأتيان بالمترادفات عند التكرير تجنباً لثقل تكرار الكلم ، وكذلك الإكثار من أسلوب الإلتفات المعدود من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العربية فهو في القرآن كثير.[4]

---

[1] - ابن عاشور - التحرير والتنوير – ص 104
[2] - سيد قطب – في ظلال القرآن– ص 114
[3] - الخفاجي - حاشية الشهاب – ص 115
[4] - ابن عاشور – التحرير والتنوير– ص 116

والتفنن من الأساليب الشائعة في القرآن الكريم ، ومن عادة القرآن التفنن في التعبير ، والانتقال من أسلوب إلى آخر.[1]

فإن في ذلك تنشيطاً للمخاطبين والسامعين والقارئين ، وتجديداً لنشاط أذهانهم ، ودفعاً لسآمة التكرار.[2]

قد كان التفنن في تشبيهات القرآن خاصة من السمات البارزة فيه ويكفي للتدليل على ذلك ما جاء في القرآن من معنى تصريف الأمثال وتنويعها وضربها ، والأتيان بها والمقصود بالتفنن في تشبيهات القرآن تنوعها من حيث الشكل والدلالة ، فتشبيهات القرآن من حيث الشكل قد جاءت مفردة ومركبة ، وقد أنكر قوم أن يكون فيه تعدد في التشبيه ، وتعدد التشبيهات في القرآن جاء بطريقة عجيبة لذلك تكلمنا عليه في هذا المبحث.

أما التفنن في تشبيهات القرآن من حيث الدلالة فقد جاءت تشبيهات القرآن عجيبة وبارعة في تنوعها حتى أنكر بعض الباحثين بعض أنواعها ، فأقمنا الدليل علي صحة هذه الأنواع من أمثلة ذلك ما جاء في قوله عز وجل : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).(البقرة الآيات 17– 20)

والتشبيه في قوله تعالى : (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ) قد عطف على السابق وهو قوله : (كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً) فأعيد تشبيه حال المشبهين بتمثيل آخر ، وبمراعاة أوصاف أخرى ، وقد جاء ذلك على طريقة بلغاء العرب في التفنن بالتشبيه ، وهم يتنافسون فيه لا سيما التمثيلي منه ، وهي طريقة تدل على تمكن الواصف من الوصف والتوسع فيه.[3]

---

[1] - الزمخشري - تفسير الكشاف – ص 26

[2] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 338

[3] - المرجع نفسه– ص 315

والعرب يسلكون في ذلك طرق عديدة منها :

أولاً : طريقة عطف تشبيه على تشبيه ب (أو) وكثر أن يكون العطف بأو دون الواو ، و (أو) موضوعة بأحد شيئين أو أشياء ، فيتولد منها معنى التسوية ، من أمثلة ذلك قول لبيد في معلقته يصف راحلته* :

وَلَهَا هِبَابٌ فِي الزِّمَامِ كأنّها *** صَهْبَاءُ خفّ مَعَ الجُنُوبِ جِهَامُهَا

أَوْ مَلْمَعٌ وَسَقَتْ لأَحْقُبَ لاحَهُ *** طرَدَ الفُحُولِ ضَرْبُهَا وَكِدَامُهَا [1]

ثانياً : عطف تشبيه على تشبيه ب (الواو) والعطف به أقل استعمالا من العطف بأو ومن أمثلته في الذكر الحكيم قوله تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ).(النحل بعض الآية 75) ثم قال : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ).(النحل بعض الآية 74)

وقوله : (وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ * وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ).(فاطر الآيات 19– 21)

ثالثاً : طريقة الجمع بلا عطف فربما جمعوا تشبيهاً إلى تشبيه بدون عطف ومن أمثلته قوله تعالى : (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ).

(الأنبياء بعض الآية 15)

رابعاً : طريقة إعادة التشبيه عن طريق الاستفهام ، فربما سلكوا في إعادة التشبيه مسلك الاستفهام بالهمزة ، أي تختار التشبيه بهذا أم ذاك وذلك كقول لبيد عقب البيتين السابقين له :

أَفَتِلْكُ أَمْ وَحْشِيّةٌ مَسْبُوعَةٌ *** خَذَلَتْ وَهَادِيَةَ الصّوارِ قَوَامُهَا .[2]

وما جاء من هذه التشبيهات في القرآن على هذا الأسلوب كلام في الذروة العليا من البلاغة ، لأن إعادة التشبيهات المفردة على هذه الطريقة لا يستطيعها إلا فحول البلاغة وقد جاء القرآن بأبدع وأروع من ذلك وأعجب ، حيث جاء بإعادة التشبيهات التمثيلية عجيبة وأعجب منه التفنن في إعادتها وقد تفنن القرآن الكريم في أدائها بطرق مختلفة

---

[1] - الهباب بكسر الهاء مصدر الهبوب وهو النهوض والنشاط ، والصهباء : السحابة المائل لونها للسواد ، والجهام : السحاب الذي لا مطر فيه ، والملمع : التي استبان حملها وأراد الأتان ، وسقت : حملت ، والأحقب : حمار الوحش

[2] - المسبوعة : التي أكل السبع ولدها ، وخزلت بمعنى تأخرت ، الهادية : المتقدمة ، الصوار بكسر الصاد قطيع الغنم

* لبيد بن ربيعة أبوعقيل بن مالك بن صعصعة – ديوان لبيد بن ربيعة – تحقيق حمدو طمّاس – بيروت – ط1 1425هـ - ص61 .

فما جاء على الطريقة الأولى وهي العطف ب(أو) قوله تعالى : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا).(البقرة بعض الآية 259)

ف (أو) هنا للتخيير في التشبيه على طريقة تكراره ، لأن قوله قبل هذه الآية : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ).(البقرة الآية 258)

في معنى التمثيل والتشبيه وهو مراد صاحب الكشاف بقوله : " ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل : أرأيت كالذي حاجه أو كالذي مرّ " .[1]

ومنه قوله تعالى : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ).(النور الآية 40)

وهذا التشبيه معطوف على الذي قبله وهو قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ).(النور الآية 39)

فشأن (أو) إذا جاءت في عطف التشبيهات أن تدل على تخيير السامع أن يشبه بما قبلها وبعدها ، وهنا يجوز أن يكون العطف بين هذين التشبيهين مع اتحاد وجه الشبه أو عدمه.

ومن العطف الذي جاء بمعنى التخيير قوله تعالى (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا).(النازعات الآية 46)

فالعيشة معبر بها عن مدة يسيرة من زمان طويل على طريقة التشبيه ، وهو مستفاد من (كأنهم) حيث شبه حالهم بحالة من لم يلبث إلا عشية ، وهذا التشبيه المقصود منه تقريب معنى المشبه من المتعارف ، وقوله : (أوضحاها) تخيير في التشبيه ، وفي هذا العطف زيادة في تقليل المدة لأن حصة الضحى أقصر من حصة

[1] - الزمخشري - تفسير الكشاف – ص 34

العشية .[1] ، وقد جاءت (أو) لتنقل الكلام على التشبيه إلى غيره كما في قوله تعالى : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً).(البقرة بعض الآية 74)

ف (أو) بمعنى بل الانتقالية ، وهذا المعنى متولد من معنى التخيير الموضوع له أو لأن الانتقال ينشأ عن التخيير ، فإن القلوب بعد أن شبهت بالحجارة ، وكان الشأن أن يكون المشبه أضعف في الوصف من المشبه به وابتدئ التشبيه بما هو أشهر ثم عقب بالترقي إلى التفضيل في وجه الشبه على حد قول ذى الرمة*

بَدَتْ مِثْلُ قَرْنَ الشّمْسِ فِي رَوْنَقَ الضُّحَى ** وَصُورَتَهَا أَو أَنْتِ فِي العَيْنِ أَمْلَحُ

فليست (أو) هنا للتخيير في التشبيه.

ويجوز الجرجاني أن تكون أو للتخيير في الإخبار عطفاً على الخبر الذي هو كالحجارة ، أي فهي مثل الحجارة أو هي أقوى من الحجارة والمقصود من التخيير أن المتكلم يشير إلى أنه يرمي بكلامه جزافاً ولا يذمهم تحاملاً بل هو مثبت في شأنهم ، فلا يثبت لهم إلا ما تدين له بالاستقراء أو التقصي ، فإن ساواهم بالحجارة في وصف ثم تقصى فرأى أنهم فيه أقوى ، فكأنه يقول للمخاطب إن شئت فسوهم بالحجارة في القسوة ، ولك أن تقول هم أشد منها وذلك يقيد مفاد الانتقال الذي تدل عليه (بل) وهو إنما يحسن في مقام الذم.[2]

وجاءت (أو) للانتقال أيضاً في قوله جل شأنه : (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً).(البقرة بعض الآية 200)

فالمراد تشبيه ذكر الله بذكر آبائهم في الكثرة والتكرير وتعمير أوقات الفراغ به وليس فيه ما يؤذن بالجمع بين ذكر الله وذكر الآباء ، وأصل (أو) أنها للتخيير ، ولما كان المعطوف بها في مثل ما هنا أولى بمضمون الفعل العامل في المعطوف عليه وأفادت (أو) معنى من التدرج إلى الأعلى ، فالمقصود أن يذكروا الله كثيراً ، وشبه أولاً

---

[1] - الزمخشري – تفسير الكشاف– ص 98

[2] - الجرجاني – أسرار البلاغة – ص 78

* ذو الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود – ديوان ذو الرمة – شرح أحمد حسن – بيروت ط1 1415هـ - ص74

بذكر آبائهم بأنهم ينشغلون في تلك المناسك بذكر لا ينفع وأن الأجدر بهم أن يعوضوه بذكر الله فهذا تعريض بإبطال ذكر الآباء بالتفاخر ، وبهذا ينقل أبي على الفارسي عن ابن جني أنه قال : إن (أو) في مثل هذا للإضراب الانتقالي ، ونفياً لاشتراط تقدم نفي أو شبهه واشترط إعادة العامل.[1]

ونظير الآية السابقة قوله تعالى : (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً).(النساء بعض الآية 77)

وجاءت (أو) للإضراب في قوله تعالى : (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).(النحل الآية 77)

فأو هنا للإضراب الانتقالي ، إضراباً عن التشبيه الأول لأن المشبه أقوى في وجه الشبه من المشبه به ، فالمتكلم يخيل للسامع أنه يريد تقريب المعنى إليه بطريق التشبيه ثم يعرض عن التشبيه لأن المشبه أقوى في وجه الشبه إنه لا يجد له شبيهاً فيصرح بذلك فيحصل التقريب ابتداء ثم الإعراض عن الحقيقة ثانياً.[2]

ومن الأمثلة التي تدخل في التفنن عطف التشبيه على تشبيه عن طريق الواو كقوله تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).(البقرة الآية 265)

فقد عطف هذا التمثيل للذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله على مثل الذي ينفق ماله رئاء الناس ، فالزيادة هنا بيان ما بين المرتبتين وتأكيداً للثناء على المنفقين بإخلاص.

لقد مثل القرآن الذي ينفق ابتغاء مرضاة الله قبل ذلك بحبة أنبتت سبعة سنابل ومثله فيما أسلف أيضاً تمثيلاً غير كثير التركيب لتحصل السرعة لتخيل مضاعفة الثواب ، فلما مثل حال المنفق رئاءً بالتمثيل الذي مضى قبل هذا أعيد تمثيل حال

[1] - ابن جني – الخصائص – ص 131
[2] - الزمخشري - تفسير الكشاف – ص 113

المنفق إبتغاء مرضاة الله لما هو أعجب في حسن التخيل ، فإن الأمثال تبهج السامع كلما كانت أكثر تركيباً ، وضمنت الهيئة المشبه بها أحوالاً حسنة تكسبها حسناً ليسري ذلك التحسين إلى المشبه ، وهذا صلة مقاصد التشبيه.[1]

ومن أمثلة التفنن بعطف تمثيل على آخر بالواو ماجاء في قوله تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِيان هُوَ ومَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).(النحل الآية 76)

فهذا تمثيل معطوف على تمثيل ، وهو تمثيل ثان للحالتين بحالتين باختلاف وجه الشبه ، إذ مثل هناك حال من يشبه الخلق بربهم بحال من مثّل عبداً بسيده في الإنفاق ، أما هنا فقد اعتبر المعنى الحاصل من حال الأبكم وهو العجز عن الإدراك وعن العمل ، وتتعذر الفائدة منه في سائر أحواله ، والمعنى الحاصل من حال الرجل الكامل العقل في إدراكه الخير وهديه إليه ، وإتقان عمله وعمل من يهديه ، ضرب الله مثلاً لكماله وإرشاده الناس للحق ، ومثلاً للأصنام الجامدة التي لا تنفع ولا تضر.[2]

وقد جاء هذا التمثيل على أسلوب يخالف سابقه ، وفي هذه المخالفة تفنن وتنويع في الكلام فقد قرن حال الرجلين في هذا التمثيل منذ البداية ، ثم فصل في آخر الكلام مع ذكر عدم التسوية بينهما بأسلوب من نظم الكلام البديع على طريقة الإيجاز ، فقد حذف من صدر التمثيل ذكر الرجل الثاني للاقتصار على ذكره في استنتاج عدم التسوية ، أما التشبيه الأول فقد جاء بذكر حال الرجلين مفرقاً ومعطوفاً بينهما بالواو ، وهذا الأسلوب يعد تفنناً في المخالفة بين أسلوب هذا التمثيل وأسلوب سابقه ... ، ومثل هذا التفنن من مقاصد البلغاء كراهية التكرار لأن تكرار الأسلوب بمنزلة تكرار الألفاظ .([3])

ومن ذلك عطف التمثيل على التمثيل في قوله تعالى : (أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ

[1] - المرجع نفسه – ص 234
[2] - سيد قطب – في ظلال القرآن – ص 227
[3] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 275

مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ). (الرعد الآية 17)

فقوله : (ومما توقدون عليه) تمثيل آخر ورد استطراداً ، فالكلام من قبيل التشبيه القريب.[1] ومن ذلك العطف في قوله تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ) ثم قال : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ) وقال بعدها :

(وَمَرْيَمَ بْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا).(التحريم الأيتان10،12)

عادة القرآن في اتباع الترهيب والترغيب حيث جعله بحال امرأتين إتماماً للمقابلة ، وهذا من مراعاة النظير في الملّتين.

ومن أعجب أمثلة التفنن في العطف بالواو أيضاً قوله تعالى : (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ).(هود الآية 24)

هذا التشبيه من قبيل المفرد المفرق وليس من المركب ، فالواو من قوله : (والأصم) للعطف على (الأعمى) عطف أحد المشبهين على الآخر وكذلك الواو في قوله : (والسميع) للعطف على (البصير) فهي لعطف التشبيه الثاني على الأول ، وهذا هو النشر بعد اللف ، فهي لعطف أحد الفريقين على الآخر ، والعطف بها للتقسيم.[2]

وذكر صاحب الكشاف أن المناسب ترك العطف لصفة (الأصم) على صفة (الأعمى) كما لا يعطف نظيراهما في قوله تعالى : (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ).(البقرة بعض الآية 18)

وقد أجاب أصحاب حواشي الكشاف بأن العطف مبني على تنزيل تغاير الصفات منزلة تغاير الذوات.[3]

ولكن يرى ابن عاشور أن الداعي للعطف غير ذلك ، فالوجه عنده الداعي للعطف صفة (الأصم) على صفة (الأعمى) أنه ملحوظ فيه أن لفريق الكفار حالين كل حال منهما جدير بتشبيهه بتلك الصفتين ، وهم يشبهون الأعمى في عدم الاهتداء إلى الدلائل

[1] - ابن عاشور - التحرير والتنوير – ص 118
[2] - المرجع نفسه – ص 41
[3] - الزمخشري – الكشاف - ص 387

التي طريق إدراكها البصر ، ويشبهون الأصم في عدم فهم المواعظ النافعة التي طريق فهما السمع ، وهم في حالتين كل حال منهما مشبه به [1]

وأما الداعي إلى العطف في صفتين (البصير والسميع) بالنسبة لحال فريق المؤمنين خلاف ما قرر في حال فريق الكافرين ، لأن حال المؤمنين تشبه حال مجموع صفتي (السميع والبصير) إذ الاهتداء يحصل بمجموع الصفتين ، فلو ثبتت إحدى الصفتين وانتفت الأخرى لم يحصل الاهتداء إذا الأمران المشبه بهما أمران وجوديان ، فهما في قوة الإثبات فتعين كون الداعي إلي العطف السميع على البصير في تشبيه حال فريق المؤمنين هو المزاوجة في العبارة لتكون عن حال المؤمنين مماثلة للعبارة عن حال الكافرين في سياق الكلام.[2]

فعلى هذه الآية عند الزمخشري ثلاثة تشبيهات ، فالفريق الأول هم الكافرون له حالان يشبه أحدهما الأعمى ، والآخر يشبه الأصم ، فهما تشبيهان على طريقة امرؤ القيس في قوله* :

كأنّ قُلُوبَ الطّيْرِ رَطِباً وَيَابِساً *** لَدَى وَكَرِهَا العُنّابُ وَالحَشَفُ البَالِي

أما الفريق الثاني فقد شبه تشبيهاً واحداً للبصير والسميع ، وقد ذكرت أوجه عدة في هذا التشبيه جمعها الألوسي في تفسير الآية.[3]

فعلى الوجه الأول في الآية تشبيهان ، وعلى الثاني يكون هناك أربعة تشبيهات ، وقد يعد التشبيه تمثيلياً على الوجه الثالث .

وأعجب ما في التفنن في التشبيه في الآية السابقة ما جاء أيضاً في قوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ* وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ* وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ).

(فاطر الآيات 19– 22)

---

[1] - الخفاجي - حاشية الشهاب – ص 112

[2] - ابن عاشور – التحرير والتنوير– ص 42

[3] - الألوسي - تفسير روح المعاني – ص 51

* امرؤ القيس – ديوان امرؤ القيس- ص49

فهنا أربعة أمثال من المؤمنين والكافرين ، وللإيمان والكفر ، شبه الكافر بالأعمى والميت وشبه الكفر بالظلمات وبالحرور ، وشبه المؤمن بالبصير والحي وشبه الإيمان بالنور والظل.[1]

وقد جاءت هذه التشبيهات معطوفة بالواو وقال فيها ابن عاشور : " واعلم أن تركيب الآية عجيب فقد احتوت على أدوات عطف وأدوات نفي ، فكل من الواوين اللذين في قوله : (ولا الظلمات) ألخ ، وقوله : (ولا الظل) إلخ ، عطف جملة إلى جملة وعطف تشبيهات ثلاثة كل تشبيه منهما يجمع الفريقين ، والتقدير : ولا يستوي الظلمات والنور ، ولا يستوي الظل والحرور ، وقد صرح بالمقدر أخيراً في قوله : (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) ، وأما الواوات الثلاثة في قوله : (والبصير) ، (ولا النور) ، (ولا الحرور) فكل واو عاطف مفرداً على مفرد فهي ستة تشبيهات موزعة على كل فريق فالبصير عطف على الأعمى والنور عطف على الظلمات والحرور عطف على الظل ولذلك أعيد حرف النفي ، أما التشبيه الرابع في قوله : (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) فقد أظهر فيه الفعل (يستوي) وأن التمثيل فيه عاد إلى التشبيه في حال المسلمين والكافرين ، إذ شبه حال المسلم بحال الأحياء ، وحال الكافر بحال الأموات ، وفي ذلك ارتقاء في تشبيه الحالتين من تشبيه المؤمن بالبصير والكافر بالأعمى إلى تشبيههما بالحي والميت.[2]

ومن أمثلة الطريقة الثالثة ، وهي جمع تشبيه إلى آخر بدون عطف كما في قوله تعالى : (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِين).(الأنبياء الآية 15)

فقد شبهوا بزرع حصد ، أي بعد أن كان قائماً على سوقه مخضراً ، وكذلك شبهوا حين هلاكهم بالنار الخامدة فحصل تشبيهان بليغان[3] ومنه ما جاء في قوله تعالى : (فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ).(الرحمن الآية 37)

أي كوردةً في شدة الحمرة أو كثرة التشوق ، وفي كالدهان تشبيه ثاني للسماء في التموج والاضطراب.[4]

---

[1] - الزمخشري – الكشاف - ص 294

[2] - ابن عاشور – التحرير والتنوير – ص 42

[3] - المرجع نفسه – ص 295

[4] - الصابوني – صفوة التفاسير – ص 261

ومنه ما جاء في قوله تعالى : (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ).(المرسلات الآيتان 33،34)

فهذا تشبيه بعد تشبيه بدون عطف فالأول تشبيه في عظم الحجم والثاني تشبيه في الحجم واللون والحركة.[1]

ومنه قوله تعالى : (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).(لقمان الآية 7)

فقد شبه المستكبر في إعراضه بالذي لا يسمع الآيات التي تتلى عليه ووجه الشبه هو عدم التأثر ، وكرر التشبيه لقوته مع اختلاف الكيفية في أن عدم السمع مرة مع تمكن آلة السمع ، ومرة انعدام قوة آلته فشبه ثانياً بمن في إذنيه وقر ، وهو أخس من معنى (كأن لم يسمعها).

أما الطريقة الرابعة وهي إعادة التشبيه عن طريق الاستفهام بالهمزة أي لتختار التشبيه لهذا أم ذاك ،ولقد مثّل لها البلاغيون أمثلة شعرية كثيرة، وعلى طريقتها في القرآن بهل في قوله تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ).(الرعد بعض الآية 16) فنفيت التسوية بين الحالتين في الآية بتضمن تشبيهاً بالحالين وهو من صيغ التشبيه البليغ و (أم) للإضراب الانتقالي في التشبيه فهي لتشبيه آخر بمنزلة (أو) في قول لبيد* :

أَوْ رَجَعُ واشِمَة أُسفّ نُؤُوْرِهَا *** كِفَفَاً تَعَرّضَ فَوْقَهُنّ وِشَامُهَا**

واختير التشبيه في المتقابلات العمى والبصر ، والظلم والنور ، لتمام المناسبة لأن حال المشركين أصحاب العمى كحال الظلمة في انعدام إدراك المبصرات ، وحال المؤمنين كحال البصر في العلم وكحال النور في الإفاضة والإرشاد.[2]

---

[1] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 937

[2] - المرجع نفسه– ص 114

* لبيد بن ربيعة – ديوان لبيد – ص 64

** الواشمة : من الوشم وهو الترديد والتجديد للحناء .

لقد تكلم البلاغيون وتفننوا على تقسيم التشبيه من حيث دلالته فذكروا تقسيمه من حيث الطرفين إلى أربعة أقسام أولها : تشبيه المحسوس بالمحسوس ، وثانيها تشبيه المعقول بالمعقول وثالثهما تشبيه المعقول بالمحسوس ، ورابعهما تشبيه المحسوس بالمعقول.[1]

وجاءت كثيرة من تشبيهات القرآن من النوع الأول ، وقد رصد بعض الباحثين فيه ما يزيد على ثلاثة مائة من التشبيهات التي يكون فيها الطرفان من المحسوسات الحقيقية [2] وجاء أكثر التشبيهات التمثيلية على النوع الثالث ، وهو تشبيه المعقول بالمحسوس.

أما تشبيه المعقول بالمعقول ، والمحسوس بالمعقول ، فقد حصل في اعتبارهما في القرآن اختلاف ، حيث أنكر بعض العلماء وجودهما في القرآن ، وتشبيه المعقول بالمعقول كثيرٌ في القرآن الكريم ، وقد رصد له بعض الباحثين ما يزيد على مائة تشبيه ، وليس في ذلك غرابة ، لأن التشبيهات فيه ليست هدفاً في حد ذاتها ، وإنما يخضع استعمالها للمعاني التي يراد إيضاحها وبيانها بقياسها على غيرها.[3]

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى : (لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ). (يس الآية 70) وذلك في تشبيه الإيمان بالحياة ، فالحي هو المشبه به يستعار لكامل العقل وصائب الإدراك ، والتشبيه هنا بليغ ، أي من كان مثل الحي كالفهم ، والمقصود منه التعريض بالعرضين عن دلائل القرآن بأنهم كالأموات لا إنتفاع لهم بعقولهم.[4]

وإذا بحثنا في القرآن وجدنا أمثلة هذا النوع فيه كثيرة فمن ذلك قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمْ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ). (البقرة الآية 13)

في الآية تشبيه إيمان بإيمان ، وقد جعلوا الإيمان المتبرأ منه تشبيهاً بإيمان السفهاء تشنيعاً له وتعريضاً للمسلمين كأنهم حملهم على الإيمان سفاهة عقولهم .[5]

---

[1] - القزويني - الإيضاح – ص 235
[2] - العيسوي – خصائص التشبيه في القرآن الكريم – ص 325
[3] - المرجع نفسه – ص 341
[4] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص 66
[5] - ابن عاشور التحرير والتنوير – ص 287

ومنه قوله تعالى : (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ).(البقرة الآية 165)

فالتشبيه في الآية مفيد لمساواة الحبين المشبه والمشبه به والتقدير : إذا قدرت حب الله فحب هؤلاء أندادهم مساو لذلك الحب ، فكلا الطرفين معنى معقول والعجيب أن هذا النوع من التشبيه على كثرة وجوده في القرآن الكريم إلا أن بعض الباحثين أنكره ، ولكنه موجود بالصورة المتخيلة المبنية على اعتقاد المخاطبين فمن ذلك قوله تعالى : (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ).(الصافات الآيات 62– 65)

يجوز ابن عاشور في قوله (رؤوس الشياطين) أن يكون مراداً بها رؤوس شياطين الجن ، جمع شيطان بالمعنى المشهور ورؤوس هذه الشياطين غير معروفة ، فالتشبيه بها مقصوده على ما تصور لهم المخيلة وطلع شجرة الزقوم غير معروف ، ووصف للناس فظيعاً بشعاً وشبهت بشاعته ببشاعة رؤوس الشياطين ، وعلى هذا الوجه فهو من تشبيه المعقول بالمعقول والمقصود منه هنا تقريب حال المشبه فلا يمتنع كون المشبه به غير معروف ولا بكون المشبه كذلك ونظير هذا التشبيه قول أمرؤ القيس* :

أَيَقْتُلَنِي والمُشْرَفِي مَضَاجِعِي *** ومَسْنُونَةٌ زرقٌ كأنْيَابِ أغْوَالِ

وذُكر وجهان آخران في المراد من (رؤوس الشياطين) فقيل : أريد بها ثمر الأستن وهو شجر ينبت في بادية اليمن يشبه شخصيات البشر ويسمى ثمره رؤوس الشياطين ، وإنما سمي بذلك لبشاعة رؤيته ، وقيل : الشياطين جمع شيطان وهو الحيات القبيحة الشكل والشنيعة المنظر.[1]

ومن تشبيه المعقول بالمعقول قوله تعالى : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ).(البقرة بعض الآية 275)

[1] - ابن عاشور – التحرير والتنوير– ص 219

* هذا البيت سبق ذكره

فحقيقة القيام النهوض والاستقلال ويطلق مجازاً على تحسن الحال وعلى القوة من ذلك قولهم : قامت السوق ، وقامت الحرب ، فإن كان القيام المنفي القيام الحقيقي فالمعنى : لا يقومون يوم القيامة إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان أي إلاّ قيامه كقيام الذي يتخبطه الشيطان.

وإن كان القيام مجازي فالمعنى : على أن حرصهم ونشاطهم في معاملات الربا كقيام المجنون تشنيعاً لجشعهم ، ويجوز على هذا أن يكون المعنى تشبيه ما يعجب الناس من استقامة حالهم ، ووفرة مالهم ، وقوة تجارتهم بما يظهر من حال الذي يتخبطه الشيطان حتى تتخيله قوياً سريع الحركة ، مع أنه لا يملك لنفسة شيئاً فالآية على المعنى الحقيقي وعيداً لهم بابتداء تعذيبهم من القيام للحساب إلى أن يدخلوا النار[1].

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى : (قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا)(الأنعام الآية 71)

حيث ارتقى في تمثيل حالهم لو فرض رجوعهم على أعقابهم بتمثيل آخر أدق وهو تمثيل هيئة بهيئة متخيلة مبنية على اعتقاد المخاطبين.[2]

[1]- ابن عاشور- التحرير والتنوير – ص 77

[2] - الزمخشري – تفسير الكشاف – ص213

الخاتمه:

الحمد لله الذي وفقني لاكمال هذه الدراسة البلاغية التي جاءت بعنوان أثر التشبيه في تكوين الصورة الفنية (دراسة تطبيقية على الربع الأخير من القرآن الكريم) والتي تناولت فيها أربعة فصول ، وهي على النحو التالي :الفصل الأول : مفهوم التشبيه ويتكون من أربعة مباحث ، المبحث الأول التعريف بمفهوم التشبيه ،المبحث الثاني التمثيل في القرآن الكريم ، المبحث الثالث بين الحقيقة والتشبيه ، المبحث الرابع بين الاستعارة والتشبيه ، الفصل الثاني : الصورة الفنية في القرآن الكريم ويتكون من ثلاثة مباحث ، المبحث الأول مفهوم الصورة الفنية ، المبحث الثاني خصائص الصورة الفنية في القرآن الكريم ، المبحث الثالث موضوعات الصورة الفنية في القرآن الكريم ، الفصل الثالث : الدراسة التطبيقية ، ويشمل تطبيق التشبيه على الربع الأخير من القرآن الكريم ، الفصل الرابع : خصائص التشبيهات القرآنية ، ويتكون من أربعة مباحث ، المبحث الأول الإعجاز ، المبحث الثاني الابتكار ، المبحث الثالث الإيجاز ، المبحث الرابع التفنن ، ومن خلال هذه الدراسة البحثية توصلت إلى العديد من النتائج ، وهي ما يلي :

1- تعريفات علماء البلاغة للتشبيه رغم اختلافها إلاّ أنّ غايتها واحدة.

2- يعد التشبيه من أكثر مباحث علم البيان وروداً في الذكر الحكيم.

3-إنّ النقاد العرب القدامى جعلوا التشبيه من أكثر وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم وأحد مقاييس التميز الأدبي.

4- ورد لفظ ضرب المثل في مواضع كثيرة من القرآن ، حيث فسر بأقوال ومعانٍ مختلفة.

5- قد اقتبس علماء البيان من لفظ المثل ثلاثة مصطلحات يمكن أن تكون أنواع المثل وهي التشبيه التمثيلي ، الاستعارة التمثيلية والأمثال السائره.

6- قد جاءت إمكانات السياق واستنباط الأحكام فحملت الأوجه بين الحقيقة والتشبيه وذلك في عود الضمير وتعيين المشار.

7- إن الفرق بين الاستعارة والتشبيه ،فالاستعارة في الأصل هي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه أو هي جعل المعنوي في صورة المحسوس ، والفرق بينهما أن التشبيه يحسن ظهور الادأة والاستعارة لا تحسن ذلك.

8-الصورة الفنية عند النقاد العرب القدامى تميزت بطابع الحسيه فلم تكن براعة الشاعر في التعبير عن ذاته تشكل قيمه بالمقارنة، مع تحريه مطابقة صورة الواقع .

9- يرتبط جمال الصورة عند النقاد الغربيين بالأثر النفسي الذي يدركه الفكر على الوجدان ،ومن ثم لا يدرك علاقاتها إلا العقل وحده الذي يصنع التميز في قدرته على الجمع بين المتناقضات وتركيبها بأجزاء الصورة.

10- الصورة الفنية عند النقاد العرب المحدثين والمعاصرين عباره عن وسيله تخدم المعنى الذي يحكم ويوجه عمل الشاعر وإيصاله إلى المتلقي بأقرب طريقه ممكنه فهي عندهم وسيلة تعبيريه لا تنفصل طريقة استخدامها عن مقتضى الحال الخارجي الذي يحكم الشاعر ويوجه مسار قصيدته.

11-من خصائص الصوره الفنيه في القرآن الكريم ارتباط مفهومها بأهم ثلاثة معايير وهي التخيل الحسي ، التجسيم الفني والتناسق الفني.

12- اشتملت موضوعات الصورة الفنية في القرآن الكريم على النماذج الإنسانية ، إيجابية كانت أم سلبية بالإضافة إلى مظاهر الطبيعة ومشاهد القيامة.

13- أكثر أنواع التشبيه وروداً في هذه الدراسة هو التشبيه المرسل المذكوره فيه الادأة ، إذا كان مجملاً أو مفصلاً.

14- يعد جانب التشبيه بالمحقرات أحد دعامات الإعجاز الذي هو من سمات التشبيهات القرآنيه.

15- يعتبر الابتكار هو أحد وجوه الإعجاز وهذا يرجع إلى ثلاث جهة :

- بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ.

– ماأبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام الذي لم يكن معهوداً من كلام العرب ، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة

– ماأودع فيه من المعاني الحكيمهة والإرشادات إلى الحقائق العقلية والعلمية.

16– الإيجاز هو أحق الأساليب البلاغية ارتباطاً بالتشبيه حتى جعله بعض العلماء نهاية البلاغة.

17– أبدع ما في التفنن كأحد خصائص التشبيه ، ماجاء في القرآن الكريم عطف تشبيه على آخر ب(أو) و(الواو).

18–توجد الصورة الفنية في القرآن الكريم ولها خصائصها ومجالتها وموضوعاتها

التوصيات :

1- أوصي الباحثين في علوم اللغة العربية بالبحث في القرآن الكريم لأنه أهم روافد اللغه ، مع أنه لا تنقضي عجائبه حتى يرث الله الأرض وماعليها.

2- التشبيه هو أحد دعائم التميز الأدبي لذا أوصي الباحثين بالبحث فيه أكثر.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- الحديث الشريف.

1–الإسكافي : أبوعبدالله محمد بن عبدالله الأصبهاني / درة الترتيل وغرة التأويل / تحقيق : د / مصطفي محمد / معهد البحوث العلميه / بيروت / الطبعة الأولى / 1422هـ .

2–الأعشى : ميمون بن قيس بن جندل / ديوان الأعشى / تحقيق : محمد الرضواني / دار صادر / بيروت / د ، ت ، ط .

3– الألوسي : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني / روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني / تحقيق عبد الباري عطيه / دار الكتب العلميه / بيروت / الطبعة الأولى / 1415هـ .

4– أبو حيان : محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي / تفسير البحر المحيط / عناية الشيخ ذهيرجعيد / دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت / 1412هـ – 1992م .

5–أبو السعود : محمد بن محمد العمادي / تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مذايا القرآن الكريم / دار إحياء التراث العربي / بيروت / الطبعة الرابعة / 1414هـ – 1994م .

6–أبو العباس : أحمد بن محمد بن المهدي / البحر المديد في تفسير القرآن المجيد / دار صادر/ بيروت / د ، ت ، ط .

7–أبو الفرج : قدامه بن جعفر / نقد الشعر/ تحقيق : محمد عبد المنعم الخفاجي / دار الكتب العلميه / بيروت / د ، ت ، ط .

8–أبو الفضل : أحمد بن محمد بن أحمد / كتاب مجمع الأمثال / تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / مطبعة مصطفى الحلبي / القاهره / د ، ت ، ط .

9–امرؤ القيس : أوس بن حجر بن الحارث بن عمرو / ديوان امرؤ القيس / تحقيق : مصطفى عبد الشافي / دار الكتب العلميه / بيروت / الطبعة الخامسه / 1425هـ .

10–ابن الأثير : ضياء الدين ابن الأثير نصر الدين ابن محمد / المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / تحقيق : أحمد الحوفي / دار نهضة مصر للطباعة والنشر / القاهره / د ، ت ، ط .

11–ابن برد : بشار بن برد / ديوان بشار بن برد / شرح وتقديم / محمد الطاهر / دار صادر / القاهره / 1369هـ .

12–ابن جني : أبو الفتح عثمان بن جني / الخصائص / الهيئة المصرية للكتاب العربي / الطبعة الرابعة / د، ت ، ط .

13–ابن رشيق : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني / العمده في محاسن الشعر وآدابه / تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد / دار الجيل / الطبعة الخامسة / 1401هـ .

14–ابن طباطبا : أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم / ديوان ابن طباطبا / دار الكتب العلمية / بيروت / د ، ت ، ط .

15 –ابن عاشور : الشيخ محمد الطاهر / تفسير التحرير والتنوير / الطبعة الأولى / 1984هـ .

16 –ابن عباس : عبد الله بن عباس / تنويرالمقباس من تفسير بن عباس / جمعه محي الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب / دار الكتب العلمية / لبنان / د ، ت ، ط .

17–ابن عطيه : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطيه الأندلسي / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / تحقيق : المجلس العلمي / المكتبة التجارية / 1991هـ .

18–ابن قتيبيه : أبو محمد عبد الله بن مسلم / أدب الكاتب / تحقيق : محمد الدالي / بيروت / الطبعة الثانية / 1407هـ .

19–ابن كثير : الإمام الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير / تفسير القرآن العظيم / دار المعرفة / بيروت / 1388هـ – 1969م .

20–ابن المعتز : عبد الله بن المعتز / ديوان ابن المعتز / دار بيروت / للطباعة والنشر / 1406هـ – 1986م .

21–ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم / لسان العرب / دار صادر / بيروت / د ، ت ، ط .

22–ابن ناقيا : عبد الله بن مهر بن الحسين / الجمان في تشبيهات القرآن / تحقيق : د/ مصطفى الصاوي الجويني / منشأة المعارف / الاسكندريه / د ، ت ، ط .

23–ابن هشام : جمال الدين بن هشام الأنصاري / مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / تحقيق : د/ مازن المبارك / دار الفكر / بيروت / الطبعة الخامسة / 1979م .

24–الباقلاني : أبوبكر محمد بن الطيب / إعجاز القرآن / تحقيق : السيد أحمد صقر / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الخامسة / د ، ت ، ط .

25–البحتري : أبوعبادة الوليد بن عبيد بن يحى / ديوان البحتري / داربيروت / للطباعة والنشر / 1403هـ –1983م .

26–البخاري : أبوعبد الله محمد بن إسماعيل / صحيح البخاري / ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي / دار الريان للتراث / القاهرة / الطبعة الأولى / 1407 هـ – 1987 م .

27–البقاعي : برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه / عبد الرازق غالب المهدي / الطبعة الأولى / 1415 هـ – 1995 م .

28 –البروسوي : إسماعيل حقي / تنوير الأذهان من تفسير روح البيان / تحقيق : الشيخ محمد علي الصابوني / المجلد الرابع / دار الصابوني للطباعة والنشر / د ، ت ، ط .

29–بهاء الدين السبكي : أحمد بن علي بن عبد الكافي / عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح / دار الكتب العلمية / بيروت / د ، ت ، ط .

30–البيضاوي : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر / أنوار التنزيل وأسرار التأويل / تحقيق : محمد بن عبد الرحمن / دار إحياء التراث العربي / بيروت / الطبعة الأولى / 1418 هـ .

31–البيومي : محمد رجب / البيان القرآني /طبعة مجمع البحوث الاسلامية / د ، ت، ط .

32–الثعلبي : أحمد بن محمد بن إبراهيم / الكشف والبيان عن تفسير القرآن / تحقيق : الإمام بن عاشور / دار إحياء التراث العربي / بيروت / الطبعة الأولى / 1422 هـ – 2002 م .

33–جابر عصفور : جابر أحمد عصفور / الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي / دار الثقافة للطباعة والنشر / القاهرة / 1974 هـ .

34–الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محجوب الكناني / البيان والتبين / تحقيق : عبد السلام محمد هارون / دار صادر / القاهرة / الطبعة الخامسة / 1405 هـ – 1985 م .

35–الجزائري : أبوبكر جابر الجزائري / أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير / مكتبة العلوم / المدينة المنورة / 1427 هـ – 2006 م .

36–الجرجاني : الإمام عبدالقاهر الجرجاني ،

أ/ أسرار البلاغة في علم البيان / تحقيق : الإمام محمد عبده / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / 1409 هـ .

ب/ دلائل الإعجاز / تحقيق : محمود محمد شاكر / مطبعة المدني / القاهرة / الطبعة الثالثة / 1413 هـ .

37–الجوزي : أبو الفرج جمال الدين عبدالله بن علي بن محمد / تذكرة الأريب في تفسير الغريب / تحقيق : طارق فتحي السيد / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / 1425 هـ – 2004 م .

38–حجازي : محمد محمد حجازي / التفسير الواضح / دار التفسير للطباعة والنشر / الطبعة الثانية عشر / 1424 هـ – 2003 م .

39 –حسين : د/ عبد القادر حسين / القرآن والصورالبيانية / دار المنار للطباعة والشر والتوزيع / القاهرة / الطبعة الاولى / 1421 هـ .

40–الحسيني : أبو الطيب محمد صديق بن حسن بن علي / تفسير القرآن / تحقيق : عبدالله بن إبراهيم الأنصاري / المكتبة العلمية / بيروت / 1412 هـ – 1998 م .

41–الخالدي : صلاح عبدالفتاح الخالدي / الميزان في ظلال القرآن / دار الشهاب الدزائري / الطبعة الأولى / 1986 م .

خضر : د/ محمد ذكي محمد / المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظاً في القرآن / دار صادر / عمان / الطبعة الأولى / 1422 هـ .

42–الخطابي : أبوسليمان حمد بن محمد إبراهيم / بيان إعجاز القرآن / تحقيق : محمد خلف الله أحمد / دار المعارف / القاهرة / د ، ت ، ط .

الخفاجي : أبوعبدالله بن محمد بن عبدالله بن سعيد بن سنان / سر الفصاحة / دار الكتب العلمية / بيروت / د ، ت ، ط .

43– الدسوقي : محمد بن أحمد بن عرفه / شرح مختصر تلخيص المفتاح / دار الكتب العلمية / بيروت / د ، ت ، ط .

44– الذهبي : محمد حسين الذهبي / التفسير والمفسرون / مكتبة وهبة / القاهرة / الطبعة الرابعة / 1409 هـ .

45– ذوالرمة : غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة / ديوان ذي الرمة / شرح : أحمد حسن / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / 1415 هـ .

46- الرازي : أبو عبدالله بن محمد بن عمر الحسن بن الحسين ،
أ/مفاتيح الغيب / دار إحياء التراث العربي / بيروت / الطبعة الثالثة / 1424 هـ .
ب/نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز / تحقيق : نصر الله حاجي / دارصادر / بيروت / الطبعة الأولى / 1420 هـ .
47- الراغب : أبوالقاسم الحسين بن محمد الأصفهاني / البيان في مجازات القرآن / تحقيق : محمد خليل / دار المعرفة / بيروت / الطبعة الأولى / 1418 هـ - 1998 م
48- الرضي : الشريف الرضي / تلخيص البيان في مجازات القرآن / تحقيق : محمد عبد الغني حسن / دار إحياء الكتاب العربي / القاهرة / 1955 م .
49- الرماني : أبو الحسن علي بن عيسى / النكت في إعجاز القرآن / تحقيق : محمد خلف الله أحمد / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الرابعة / د ، ت ، ط .
50- الزحيلي : د/وهبه بن مصطفى / التفسير المنير / دار الفكر / دمشق / 1418 هـ .
51- الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله /البرهان في علوم القرآن / تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة الأولى / 1376 هـ .
52- الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد ،
أ/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل / دار الكتاب العربي / بيروت / الطبعة الثالثة / 1407 هـ .
ب/ أساس البلاغة / تحقيق : محمد باسل / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / 1419 هـ .
53- السكاكي : يوسف بن أبي بكر بن علي بن يعقوب / مفتاح العلوم / تحقيق : نعيم زرزور / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الثانية / 1407 هـ .
54- سلوم : تامر سلوم / نظرية اللغة والجمال في النقد العربي / دار الحوار / الطبعة الأولى / 1983 م .

55- السمعاني : أبو المظفر منصور محمد بن عبد الجبار / تفسير القرآن / تحقيق : ياسر بن إبراهيم / دار الوطن / الرياض / الطبعة الأولى / 1418 هـ .

56- سيبويه : أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر / كتاب سيبويه / تحقيق : عبد السلام محمد هارون / مكتبة الخانجي / القاهرة / الطبعة الثالثة / 1416 هـ .

57- سيد قطب : سيد بن الحاج بن إبراهيم / التصوير الفني في القرآن الكريم / دار صادر / بيروت / 1980 م .

58- السيوطي : عبد الرحمن جلال الدين / الإتقان في علوم القرآن / محمد إبراهيم / الهيئة المصرية العامة للكتاب / 1934 م .

59- شادي : د/ محمد إبراهيم / أساليب البيان والصور القرآنية / دار والي / المنصورة / الطبعة الأولى / 1416 هـ .

60- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد / فتح القدير الجامع بين فنّي الراوية والدراية من علم التفسير / تعليق : محمد سعيد اللحام / المكتبة التجارية / مكه المكرمة / د ، ت ، ط .

61- الصابوني : الشيخ محمد علي الصابوني / صفوة التفاسير / دار الصابوني للطباعة والنشر / الطبعة العاشرة / د ، ت ، ط .

62- الصغيّر : محمد حسين علي الصغير / الصورة الفنية في المثل القرآني / دار صادر / بيروت / الطبعة الأولى / 1422 هـ .

63- الصنوبري : أحمد بن محمد بن حسين / ديوان الصنوبري / تحقيق : د/ إحسان عباس / دار الكتب العلمية / بيروت/ الطبعة الأولى / 1998 م .

64- الطبري : محمد بن جرير يزيد بن غالب / جامع البيان في تأويل القرآن / تحقيق: أحمد محمد شاكر / مؤسسة الرسالة / عمان / الطبعة الأولى / 1420 هـ .

65- الطيبي: شرف الدين الحسين بن عبدالله / التبيان في المعاني والبيان / تحقيق : عبدالله أحمد يوسف هنداوي / المكتبة التجارية / مكه المكرمة / د ، ت ، ط .

66- الطرماح : حكيم بن حكم بن نفر بن قيس الطائي / ديوان الطرماح / تحقيق : د/ عزة حسن / دار الكتب العلمية / بيروت / د ، ت ، ط .

67- العلايلي : الشيخ عبد الله / الصحاح في علوم اللغة / دار الحضارة العربية / بيروت / 1974 م .

68- العلوي : يحى بن حمزة / الطراز / المكتبة العصرية / بيروت / الطبعة الأولى / 1423 هـ .

69- عنترة بن شداد : عنترة بن عمرو بن معاوية بن ربيعة بن شداد العبسي / ديوان عنترة بن شداد / تحقيق : مجيد طراد / دار الكتاب العربي / بيروت / الطبعة الأولى / 1412 هـ .

70- الفرزدق : همام بن غالب بن صعصعة / ديوان الفرزدق / تحقيق : علي فاعور / الطبعة الأولى / 1407 هـ - 1998 م .

71- الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم / القاموس المحيط / مطبعة مصطفى البابي / الطبعة الثانية / 1371 هـ .

72- القاسمي : محمد جمال الدين / محاسن التأويل / تحقيق: أحمد بن علي / دار الحديث / القاهرة / د ، ت ، ط .

73- القذويني : الإمام الخطيب القذويني / الإيضاح في علوم البلاغة / شرح وتعليق : د/ محمد عبدالمنعم / دار الكتاب اللبناني / بيروت / الطبعة الرابعة / 1395 هـ .

74- القرطبي : أبوعبدالله محمد بن أحمد شمس الدين / الجامع لأحكام القرآن / تحقيق : أحمد البردوني / دار الكتب المصرية / القاهرة / الطبعة الثانية / 1384 هـ .

75- القرطاجني : حازم بن محمد / منهاج البلغاء وسراج الأدباء / تحقيق : محمد حبيب / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الثانية / 1981 م .

76- لبيد بن ربيعة : أبوعقيل بن مالك بن صعصعة / ديوان لبيد بن ربيعة / تحقيق : حمدو طمّاس / دار المعرفة / بيروت / الطبعة الأولى / 1425 هـ - 2004 م .

77- الماروديّ : أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب / النكت والعيون / تحقيق : السيد عبدالمقصود / دار الكتب العلمية / بيروت / د ، ت ، ط .

78- المتنبي : أبوالطيب أحمد بن الحسين / ديوان المتنبي / دار بيروت / للطباعة والنشر/ 1403 هـ .

79- المطعني : عبد العظيم بن إبراهيم بن محمد / خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغيه / دار صادر / القاهرة / الطبعة الأولى / 1413 هـ - 1992 م .

80- النسفي : أبوالبركات عبدالله بن أحمد بن محمود / مدارك التنزيل وحقائق التأويل / تحقيق : يوسف علي بدوي / دار الكتب العلمية / بيروت / 1419 هـ - 1998 م .

81- النميري : عبيد بن حصين بن معاوية / ديوان النميري / دار صادر / بيروت / الطبعة الأولى / 1401 هـ - 1980 م .

82- النورسي : بديع الزمان سعيد / إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز / تحقيق : إحسان قاسم الصالحي / القاهرة / الطبعة الثانية / 1414 هـ - 1994 م .

النيسابوري : أبوالحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / تحقيق : صفوان عدنان / الدار الشامية / دمشق / الطبعة الأولى / 1415 هـ .

83- الهاشمي : عبد الحميد محمد الهاشمي / لمحات نفسية في القرآن / نشر وتوزيع /مكتبة الجزائر / د ، ت ، ط .

المراجع الأجنبية :

1- بيتروف : الواقعية النقدية / ترجمة / شوكت يوسف / منشورات وزارة الثقافة / دمشق / 1983 م .

2- روز عزيز : تمهيد في النقد الحديث / بيروت / الطبعة الأولى / 1991م

3- رينيه ويليك واستن : نظرية الأدب / ترجمة / محي الدين صبحي / المؤسسة العربية للدراسات والنشر / 1986 م .